د. عبد العظيم رمضان

خواطر مؤرخ

الجزء الرابع









الهيئة المصرية
العامة للكتاب

خواطر مؤرخ

(الجزء الرابع)

بقلم

د. عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٣

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى: صبرى عبد الواحد

يوم ٢٣ يوليو : انقلاب أم ثورة ؟

منذ أن قامت ثورة يوليو والخلاف يدور حول إذا ما كان يوم ٢٣ يوليو انقلابا أم ثورة ؟

وإذا اتفقنا على أن "الانقلاب" فى أبسط تعريف له هو ما يستهدف قلب نظام الحكم أو إسقاط حاكم ، وأن الثورة هى ما تستهدف إسقاط طبقة، فإن ضباط ٢٣ يوليو لم يكونوا فى ذلك اليوم يستهدفون أكثر من القيام بانقلاب محدود لإسقاط حاكم هو فاروق مع إجراء بعض التغيير والإصلاح فى الحياة السياسية، ومع الاحتفاظ بنظام الحكم السابق الذى أرساه دستور عام ١٩٢٣ !

وبمعنى آخر أن ضباط ٢٣ يوليو لم يكونوا فى ذلك يستهدفون الاستيلاء على السلطة ومباشرة الحكم، وإنما كانوا يستهدفون فقط إسقاط فاروق ،ثم تسليم الحكم بعد ذلك إلى نفس الطبقة التى كانت تحكم قبل ثورة يوليو، وهى طبقة كبار الملاك والرأسماليين ،وهى الطبقة التى خاضت النضال ضد الاستعمار والاستبداد ،وقامت بالثورة العرابية وثورة ١٩١٩!!

الاثنين ٢٠٠٢/٧/١٨ .

وقد كفانا الرئيس جمال عبد الناصر نفسه مشقة حشد الأدلة لإثبات هذه الحقيقة - حقيقة أن يوم ٢٣ يوليو كان انقلابا ولم يكن ثورة ، حين استخدم لفظ "انقلاب " بالذات فى وصف حركة الجيش التى قام بها ، فى مقال نشر بمجلة التحرير يوم أول أكتوبر ١٩٥٢ بعنوان : «كيف دبرنا هذا الانقلاب؟» ثم فى خطابه يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى حين قال :

يوم ٢٣ لم يكن فى خاطرنا بأى حال من الأحوال أن نستولى عى الحكومة . ولكن كنا نعبر عن أمل الشعب فى القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم أعوان الاستعمار .. وكنا نعتقد أننا قد نستطيع أن ننفذ المبدأ السادس أو الهدف الأساسى من أهداف الثورة ،وهو إقامة حياة ديمقراطية نطمئن لها ويطمئن لها الشعب. ولكن كان لنا طلب واحد، وهو أننا حين ننفذ الهدف السادس ،لم يكن بأى حال من الأحوال أن نهمل الأهداف الخمسة الأخرى. فطالبنا أن تتعهد الأحزاب، وأن يتعهد الوفد بالذات بوضع هذه الأهداف موضع التنفيذ .

ومن الطريف أن رئيس مجلس قيادة الثورة فى ذلك الحين ،وهو اللواء محمد نجيب ،كان يظهر كراهية لكلمة "الثورة " ويفضل عليها كلمة "النهضة "! بل لقد أعلن "محاربة كل شئ يرمى إلى أى تغيير فجائى أو غير فجائى بقدر المستطاع " وقد استفز هذا الموقف طه حسين، فكتب مقالا بعنوان "روح الثورة " لام فيها اللواء محمد نجيب لهذا التفضيل. وقال إن كلمة " الثورة أدق معنى وأصدق دلالة وأجود

تصويرا للحياة التى نحياها منذ شهور، ثم طالب الثورة بأن تقدم "الإقدام الجرئ السريع على طائفة من الأعمال الإصلاحية الخطيرة التى تهيئ للشعب فى كل يوم صدمة نفسية ليعلموا أن حياتهم قد تغيرت حقاً».

يوم ٢٣ يوليو : انقلاب أم ثورة (٢)؟

لم تكن فكرة الثورة مطروحة فى ذهن ضباط يوليو ، وإنما كانت هى فكرة الانقلاب العسكرى الذى يطيح بالملك الفاسد الذى كان بغيضا فى عين الشعب المصرى. وقد رأينا كيف أن عبد الناصر نفسه وصف يوم ٢٣ يوليو بأنه «انقلاب» فى مقاله بعنوان "كيف دبرنا هذا الانقلاب"!

وفى الحقيقة أن منشورات الضباط قبل الثورة تخلو من الاهتمام بقضايا التغيير الاجتماعى الذى تحقق فيما بعد على يد ثورة ٢يوليو ذاتها ، وعلى نحو يثير الدهشة ! ففيما عدا النص على إقامة "عدالة اجتماعية " فى الوثيقة المسماة : «أهداف الضباط الأحرار» وهو نص لم يفصل تفصيلا واضحا كما يقول خالد محيى الدين ، فإن اهتمام الضباط تركز فى القضاء على الاستعمار الأجنبى ، وعملائه الخونة فى الداخل ، ورفض الأحلاف ، واتباع سياسة الحياد ، وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ (وقد حقق الوفد هذا الهدف) ، وإقامة جبهة وطنية فى الداخل،

الثلاثاء ٢٠٠٢/٧/٩ .

وإقامة جيش وطني يسمح فيه للجنود بالترقى إلى رتبة الضباط .
وهي أهداف سياسية وطنية بحتة كما هو واضح.

هذه الحقيقة التي كشف الستار عنها ، وهي أن الأهداف الستة الشهيرة ، التي مثلت فلسفة الثورة ، لم تظهر في ذلك الحين ، وإنما ظهرت بعد أعوام من قيام الثورة ! ومعنى ذلك أن ضباط ٢٣ يوليو لم يكن في ذهنهم أية فلسفة اجتماعية أو سياسية يقدمونها كبرنامج للحكم ، فيما عدا خلع فاروق . وقد يرجع ذلك أن نجاح الحركة كان أمرا في علم الغيب ، ولم يكن نجاحه مضمونا في ذهن الضباط، وبالتالي لم يكونوا يفكرون فيما هو أبعد من نجاح الحركة ، دون أن تطيح برقابهم.

وفي الوقت نفسه فإن الإصلاح الزراعي لم يكن من بنات أفكار الضباط الذين قاموا يوم ٢٣ يوليو ،وإنما كان من فكر القوى السياسية السابقة على الثورة ، والتي قدمته في برنامجها بعد قيام الثورة. كما أن مشروع قانون الإصلاح الزراعي لم يكن من وضع ضابط يوليو، وإنما كان من وضع مفكر اقتصادي تقدمي، هو الدكتور راشد البراوي.

ذلك أن حركة الضباط بعد نجاحها، واستتباب أمرها، كانت قد تناست وعودها عن الدستور والحياة الديمقراطية التي وردت في بيانها الأول، وقررت فيالاجتماع الثاني لمجلس الثورة - باعتراف كل من خالد محيي الدين وأنور السادات - إقامة دكتاتورية، بدلا من الحكم الدستوري.

ومن هنا فقد أخذت تقيم العراقيل فى وجه عودة الحياة الدستورية، عن طريق مطالبة الأحزاب القائمة تقديم برامجها «ليكون الشعب على بينة من أمره». وكان من الطبيعى أن تفرض مسألة تحديد الملكية والإصلاح الزراعى نفـ ـها على برامج هذه الأحزاب.

يوم ٢٣ يوليو: انقلاب أم ثورة (٣)؟

لم تكن قضية تحديد الملكية الزراعية والإصلاح الزراعي جديدة فجرتها ثورة يوليو، وإنما كانت هذه القضية مثارة في برامج أحزاب ما قبل الثورة.

ذلك أن الولايات المتحدة كانت تلح على دول العالم الثالث في تطبيقها بعد الحرب العالمية الثانية، حتى لا تسوء أحوالها إلى الدرجة التي توقع البلاد في قبضة ثورات شيوعية.

لقد كان الإصلاح الزراعي هو وسيلة الولايات المتحدة للوقوف في وجه الشيوعية! فهو النقيض لإلغاء الملكية الفردية التي تطبقها الشيوعية، لأنه يزيد من عدد الملكيات الفردية ولا يلغيها! فالإصلاح الزراعي يحيل المالك الكبير الذي يملك مليون فدان - على سبيل المثال - إلى عشرة آلاف مالك، وهو دعم للنظام الرأسمالي، وليس هدم له!

لهذا السبب انقسمت برامج الأحزاب المصرية إزاء مسألة الإصلاح الزراعي إلى قسمين: القسم الأول، ويتمثل في الأحزاب التقليدية التي

الأربعاء ٢٠٠٢/٧/١٠ .

مارست الحكم، مثل: الوفد، والأحرار الدستوريون، والسعديون، والحزب الوطني.

وقد اتفقت ـ فيما عدا الحزب الوطني الذي وقف موقفا خاصا ـ على الأخذ بطريق الضرائب التصاعدية على جميع الدخول. ذلك أن هذا الحل كان يناسبها باعتبارها أحزابا تتكون من عصبيات زراعية بالدرجة الأولى، لأن الضرائب التصاعدية سوف تطبق عندئذ على كل من كبار رجال الصناعة والتجارة وكبار الملاك الزراعيين على حد سواء، في حين أن تحديد الملكية الزراعية سوف يصيب بالضرار كبار الزراعيين فقط.

ثانيًا ـ الأحزاب الراديكالية (التي تطالب بالحلول الجذرية) والتي لم تمارس الحكم. وهي الإخوان المسلمون، والحزب الوطني لفتحي رضوان، والحزب الاشتراكي لإبراهيم شكري، وحزب الفلاح لأحمد قطب. وقد اتفقت على الأخذ بطريق تحديد الملكية الزراعية. ففي برنامج الأخوان المسلمون أعلن بوضوح أنه «لا سبيل إلى إصلاح جدي في هذا الميدان إلا بتقرير حد أعلى للملكية الفردية».

وفي برنامج الحزب الوطني الجديد نص على «وضع حد أعلى لملكية الفرد الواحد».

وأما الحزب الاشتراكي فقد قدم إبراهيم شكري صورة من مشروعه الذي سبق أن قدمه إلى مجلس النواب في فبراير سنة ١٩٥٠، ويقضي بأن تنتقل إلى الدولة ملكية ما يزيد على خمسين فدانًا.

أما حزب الفلاح، فقد نص على» وضع حد للملكية الزراعية لا يزيد على خمسين فدانا».

وقد وقف الحزب الوطنى القديم، ورئيسة عبد الرحمن الرافعى، موقفا خاصا، وضع لزيادة الملكية الزراعية، إما بوضع حد أعلى لنصابها، أو بجعل إيراد ما يزيد على هذا النصاب داخلا فى نطاق ما تستوعبه الدولة من الضرائب التصاعدية».

يوم ٢٣ يوليو : انقلاب أم ثورة (٤)؟

اتضح لنا مما سبق أن حل مسألة الإصلاحالزراعى فى رأى القوى السياسية القديمة السابقة على يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والذى ظهر فى فى برامجها، بعد قيام حركة الضباط، قد تبلور فى اتجاهين:

الاتجاه الأول، ويقضى برفعالضريبة بشكل تصاعدى.

الاتجاه الثانى، ويقضى بتحديد ملكية الأرض الزراعية.

وحتى يوم ٣ أغسطس ١٩٥٢، كان الرأى الرسمى داخل حركة ضباط الانقلاب، يميل إلى ترجيح جانب الضرائب التصاعدية ـ كما تبين من تحريات جريدة المصرى فى ذلك الحين. فقد كتبت فى اليوم التالى تقول: «أشرنا إلى الأبحاث التى تجريها الدوائر الوزارية بشأن التقريب بين الطبقات أو بين الطبقات أو بين الثروات. وقلنا أن هناك اتجاهين لتحقيق هذه الغاية:

أولهما ، تحديد الملكية الزراعية.

وثانيهما ، فرض ضرائب تصادعية على الأرباح.

السبت ٢٠٠٢/٧/١٣ .

ويؤخذ من المعلومات التي حصلنا عليها أن الاتجاه الثاني هو الراجح، وذلك لأسباب وجيهة تتلخص فيما يلي:

أولا ، أن مصادر الثروة في البلاد لم تستغل استغلالا علميا.

ثانيا ، إننا في حاجة ماسة إلى تشجيع الحافز الشخصي في العمل والاقتصاد .

ثالثا ، أن مصر محتاجة إلى رءوس الأموال الأجنبية.

رابعا، أن المصلحة تقتضي أن يسير الإصلاح سيرا وئيدا حتى لا تحدث طفرة قد تسبب نكسة . وهذا ما يتفاداه المصلحون».

كان في هذا الوقت بالذات أن برز دور الدكتور راشد البراوي - وهو مفكر اقتصادي كبير - ليقلب التقديرات رأسا على عقب ، وذلك بمقال تاريخي نشره في جريده الزمان في يوم ٤ أغسطس ١٩٥٢، بعنوان «تحديد الملكية الزراعية أم رفع الضريبة التصاعدية»! أثار فيه قضية غائبة عن أذهان ضباط يوليو، وهي أن الإصلاح الزراعي، في شكل تحديد الملكية الزراعية، سوف يحد من سطوة كبار الملاك الزراعيين على الفلاحين، وهي السطوة التي اعتمدوا عليها في الوصول إلى الحكم طوال المائة سنة السابقة على الثورة.

ثانيا، أنه بضرب المصالح الاقتصادية لطبقة كبار الملاك، التي تسيطر على الحياة السياسية في مصر، فإن ذلك سوف يضعف هذه الطبقة عند اصطدامها المحتوم بالضباط، بعد أن قرروا البقاء في السلطة، وحكم البلاد حكما ديكتاتوريا.

ففي كل الأحوال، وعلى الرغم من انه لا يمكن القول بأن النظام الذى أرساه دستور ١٩٢٣، كان نظاما ليبراليا صحيحا، بسبب سيطرة الملك على الحياة النيابية، فأن هذا العهد كان يتيح لهذه الأحزاب تداول السلطة فيما بينها، وهى سلطة كان حكم عسكر يوليو سوف يقضى عليها.

ومن هنا بدأ ضرب المصالح الاقتصادية لطبقة كبار الملاك الزراعيين الحاكمة قبل يوم ٢٣ يوليو، قد أصبح أمرًا ملحا. وهو ما كان يتيحه مشروع الإصلاح الزراعى الذى قدمهالدكتور راشد البراوى.

يوم ٢٣ يوليو : انقلاب أم ثورة (٥)؟

يتضح من مقالاتنا السابقة جملة حقائق ،الحقيقة الأولى ، أن قانون الإصلاح الزراعى ، الذى نقل حركة ضباط يوليو من حركة انقلابية إلى ثورة اجتماعية ، لم يكن من فكر ضباط يوليو ، وإنما كان من فكر الطبقة المثقفة قبل ثورة يوليو .

ثانيا : أن السبب الرئيسى الذى جذب ضباط يوليو إلى قانون الإصلاح الزراعى ، لا يتصل بإنصاف الطبقة الفلاحية ، أو رفع مركزها الاقتصادى ، وإنما كان بالدرجة الأولى نزع مصدر القوة الاقتصادية من طبقة كبار الملاك التى كان فى يدها الحكم ،وحرمانها من مصدر التأثير على الفلاحين ،وهى قوة المال .

والدليل على أن إصلاح أحوال الطبقة الفلاحية ، لم يكن هو منشأ قبول ضباط يوليو لقانون الإصلاح الزراعى ،هو أن هؤلاء الضباط لم يترددوا فى تصويب ضربة قاضية للطبقة العمالية ، فى حادث كفر الدوار بشنق عاملين نقابيين ظلما وعدوانا ،لطمأنة الرأسمالية

الأحد ٢٠٠٢/٧/١٤ .

المصرية ، ولطمأنة الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن حركة الضباط ليست حركة شيوعية .

ولما كان الفرق الزمنى بين صدور قانون الإصلاح الزراعى وشنق نقابيين لأول مرة فى تاريخ الحركة النقابية المصرية لا يتجاوز شهرا واحدا ، فانه لا يمكن الزعم بأن دافع الضباط فى شهر سبتمبر قد تغير، من الرغبة فى التغيير الثورى الاجتماعى إلى النقيض -أى من إنصاف الطبقة الفلاحية إلى ضرب الطبقة العمالية ! مع ذلك ، ويغض النظر عن دوافع ضباط يوليو لإصدار قانون الإصلاح الزراعى، فان إصدار هذا القانون ،قد نقل حركة الضباط من حركة انقلابية إلى حركة ثورية -أى من انقلاب إلى ثورة .

ذلك أن الثورة فى مفهومها العلمى ،لا تكون ثورة إلا إذا غيرت علاقات الإنتاج. فعلاقات الإنتاج هى التى يترتب عليها كل ما يتمثل فى البناء الفوقى من قوانين ودساتير وفنون وآداب وغير ذلك. ومن هنا فإذا تغيرت علاقات الإنتاج ،تغير كل شئ ينبنى فوقها .

ولقد ضرب الضباط بقانون الإصلاح الزراعى علاقات الملكية فى الصميم. فقبل هذا القانون كانت الملكية بحكم دستور ١٩٢٣ ، مقدسة لا تمس ، ولكنها بقانون الإصلاح الزراعى ،لم تمس فقط وإنما هدمت! وهو ما يعنى أول اعتداء على دستور ١٩٢٣ .

وهذا يفسر لماذا سقطت طبقة كبار الملاك ، التى كانت تحكم قبل ثورة يوليو بسهولة فى يد ضباط يوليو لم يكن يتوقعها أكثر الحالمين .

مهزلة أحمد منصور وسيادة النائب!

تابعت باهتمام الحلقة الهزلية، التى عرضتها قناة الجزيرة، بين السيد أحمد منصور ومن كان يطلق عليه سيادة النائب، ويقصد به السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية السابق. وتعجبت عندما اتهم السيد حسين الشافعى الرئيس الراحل السادات، بطل حرب أكتوبر بتهم شنيعة منها الخيانة والعمالة وتنفيذ مؤامرات الغرب، خصوصا وأنا أعلم - بوصفى مؤرخا قدم دراسات علمية موضوعية فى تاريخ هذه الفترة - أنها تهم كاذبة وباطلة ولا تستند إلى أساس سليم.

ولم افهم إلى الآن لماذا كان السيد أحمد منصور يخاطب السيد حسين الشافعى بلقب سيادة النائب !

ففى حدود علمى أن الرئيس محمد حسنى مبارك لم يعين إلى اليوم نائبا له، منذ توليه الحكم حتى اليوم . لقد كان السيد حسين الشافعى نائبا لرئيس الجمهورية فى عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات، ولأمر ما أراد الرئيس الراحل أن يقيله بطريقة مهينة، فاسقط اسمه

الأحد ٢١/٧/٢٠٠٢ .

دون أن يصدر قرارا جمهوريا بذلك! وإنما سحب منه كل سلطات نائب رئيس الجمهورية فلم يعد مسمى، وبالتالى أصبح اسما على غير مسمى !

على هذا النحو وجد السيد حسين الشافعى نفسه بلا منصب وبدون اختصاصات وبدون سلطات، ودون أى مظهر من مظاهر نائب رئيس الجمهورية، ودون أى اعتراف به من رئيس الجمهورية أو من الدولة أو من الناس !

وإذا لم تكن هذه المظاهر من مظاهر الإقالة كافية لتقنع السيد حسين الشافعى بأنه لم يعد نائبا لرئيس الجمهورية، فما هى الوسائل التى تقنعه بذلك ؟

إن الوظيفة عبارة عن اختصاصات ومسئوليات، يترتب عليها تبعات ومشاركة فى الحياة العامة. ولم يتمتع السيد حسين الشافعى بشىء من ذلك، منذ أن أقاله الرئيس السادات بتلك الطريقة الفريدة، طريقة تجاهله تجاهلا تاما كأن لم يكن ! وكأن لم يكن فى يوم من الأيام نائبا لرئيس الجمهورية !

وقد يرى البعض فى هذه الطريقة، طريقة غير مألوفة، ولكنها بالنسبة لثورة يوليو طريقة عادية جدا ! كما أن الشتائم بينهم تعتبر مألوفة جدا ! وقد كانت هذه الشتائم بين المشير السابق عبد الحكيم عامر والضباط مألوفة أيضا !

بل إن التخلص بالاغتيال يعتبر مألوفا أيضا ! فعلى سبيل المثال لم يصدر قرار من عبد الناصر بإقالة عبد الحكيم عامر، ولكن هذا لم يؤثر فى الموقف شيئا ، فقد تم التخلص منه بالاغتيال !

وقد كان فى وسع الرئيس الراحل السادات التخلص من السيد حسين الشافعى بالاغتيال أيضا ،كما تخلص عبد الناصر من المشير عامر بالاغتيال ،ولكن الرئيس السادات اختار طريقة أخرى هى الطريقة التى حدثت بالفعل ، وهى تجريده من كل اختصاصاته، وسلطات نائب رئيس الجمهورية ، واعتبره كأن لم يكن ! فلا مكتب ولا حرس ولا أى شئ من المظاهر التى ترافق نائب رئيس الجمهورية.

ولعل هذه الطريقة هى أفضل من طريقة الاغتيال التى حدثت للمشير عبد الحكيم عامر. اللهم إذا كان السيد حسين الشافعى يرى إن الطريقة التى اتبعت مع المشير عامر هى الأفضل !

مهزلة أحمد منصور وسيادة النائب (٢)!

غضب السيد حسين الشافعى لتخلص الرئيس السادات منه بتلك الطريقة المهينة ولم يكن له أن يغضب! فقد كانت هذه الطريقة -على كل حال- هى أفضل من طريقة الاغتيال التى اتبعت مع المشير عبد الحكيم عامر! وقد كان من حسن حظه أن الزمن كان قد عفا على هذه الأساليب بعد انتقال عبد الناصر إلى ربه! وبوصول الرئيس محمد حسنى مبارك إلى السلطة. عندئذ يمكن القول أن مصر قد أصبحت تخضع بالفعل لنظام حكم متمدن يلجأ إلى الأساليب التى تواضع عليها العالم المتمدن فى الحكم .

ومن هنا أصبحت القرارات بالتعيين والإقالة تصدر من رئيس الجمهورية علنا ، ولا يلجأ فيها إلى الأساليب التى أتبعها رؤساء ثورة يوليو، والتى كانت نهايتها فى عهد الرئيس السادات، ولن تتكرر بعد ذلك.

على أن السيد حسين الشافعى لم يعترف بإقالة الرئيس الراحل السادات له ! فقد اعتبر أن عدم صدور قرار بإقالته يعنى استمرار

الأثنين ٢٢/٧/٢٠٠٢ .

وجوده فى الحكم كنائب لرئيس الجمهورية ! ولكن كيف ؟ ومنصب نائب رئيس الجمهورية ليس اسما على غير مسمى ، وإنما هو اسم على مسمى؟ بمعنى انه اسم يطلق على اختصاصات ومسئوليات جسيمة يتحملها من يحمل هذا اللقب. ويعلم السيد حسين الشافعى جيدا أن هذا المسمى لم يتمتع به فى حياته منذ أقاله الرئيس السادات بتلك الطريقة الفريدة .

والسيد حسين الشافعى منذ جرد من اختصاصات نائب رئيس الجمهورية بتلك الطريقة الفريدة التى اتبعها معه الرئيس السادات، يقيم فى بيته ولم تسند إليه أى مسئوليات، مما يسند لنائب رئيس الجمهورية .

ولكن السيد حسين الشافعى ـ لأمر ما يعرفه جيدا ـ لم يعترف بإقالة الرئيس السادات له ، واعتبر نفسه ما يزال نائبا لرئيس الجمهورية .

و فى الوقت نفسه أخذ يصفى حسابه مع الرئيس السادات ،عن طريق كيل الإهانات والشتائم ،واتهامه بالخيانة والعمالة للمخابرات الأمريكية .

وهذه بطبيعة الحال طريقة غير مألوفة فى نظم الحكم ،ولكنها كانت مألوفة فى عهد ثورة يوليو !

ففى عهد عبد الناصر كان من المألوف أن يشتم المشير عامر سامى شرف يا ابن (٠٠٠٠) والآخر يعتذر ويحلف براس أبيه انه على العهد.

وتوجيه اللوم كان أمرا مألوفا عن طريق الشتائم التى تتناول الأب والأم والجد.

لا جديد إذا فيما اتهمه الرئيس الراحل السادات فى إعفاء السيد حسين الشافعى من منصبه! كما أنه لا جديد أيضا فى أن يكيل السيد حسين الشافعى الشتائم والإهانات للرئيس الراحل السادات ويتهمه بالخيانة والعمالة . هذه الشتائم بين ضباط ثورة يوليو هو أمر مألوف ، ولا يجب أن يزعج أحد.

ولكن المثير حقا هو إصرار السيد حسين الشافعى على انه مازال نائبا للسيد رئيس الجمهورية ! وهو ما اضطر السيد أحمد منصور بأن يناديه طوال الوقت بسيادة النائب ـ مع انه لا نائب ولا حاجة !

مهزلة أحمد منصور وسيادة النائب (٣)!

لم يكن فى مصلحة السيد حسين الشافعى ،أن يخاطبه أحمد منصور طوال حديثه معه بلقب سيادة النائب، مع انه لا نائب ولا حاجة! وقد أثار ذلك سخرية البعض ! فلن أكون سعيدا إذا خاطبنى أحد فى يوم ما بلقب لا أحمله، أو لم أعد أحمله ، فسوف اعتبر ذلك سخرية منه ولن اقبلها! ولكن هذا اللقب المزعوم يتقبله السيد حسين الشافعى بسعادة ، ويعتبره حقا له -الأمر الذى حول حواره مع السيد أحمد منصور إلى مهزلة حقيقية ،خصوصا عندما كان السيد النائب يثور ويزعد ويبرق كما لو كان نائبا حقيقيا .

وهذه المهزلة ، وإن كانت قد تضحك مؤرخا مثلى ، فإنها لا تضحك الناصريين ! الناصريين الذين أصبح هذا الحوار يسئ إليهم وإلى ثورتهم !

فالكثيرون يعرفون أن هذا الحوار لا يتم بهذه الطريقة اعتباطا ، وإنما يرسمه السيد أحمد منصور بعناية للانتقام من ثورة يوليو !

الثلاثاء ٢٠٠٢/٧/٢٣ .

فالسيد أحمد منصور من الأخوان المسلمين الذين نكلت بهم ثورة يوليو، واكتووا بنارها ،وهم يشعرون بان السيد أحمد منصور بهذا الحوار يريد السخرية من ثورة يوليو ! بإظهار أحد زعمائها الذين كان لهم دور بارز فيها ، وفي شئون الحكم ، فى صورة لا تتفق مع ما ينبغى لقادة وحكام هذه الثورة من الوقار.

فالآراء التى يبديها السيد حسين الشافعى أو سيادة النائب كما يريد ذلك السيد أحمد منصور أن يخاطبه به ، ليست من النضج والحكمة التى يتوقعها بعض الذين يحسنون الظن بثورة يوليو من حكامها وقادتها وزعمائها!

وعلى سبيل المثال ، يصف «سيادة النائب» حرب يونية ١٩٦٧ بأنها خيانة ! ولكنه لا يذكر من خان من ؟

إن الخيانة لا تقع إلا من الداخل! فلا يقول أحد أن إسرائيل خانت مصر أو أن أمريكا خانت مصرا! أو أن العدو خان مصر ، وإنما يقال إن الخيانة من الداخل افمن الذى خان مصر ؟ هل خان مصر المشير عبد الحكيم عامر الذى كان يشغل قائد عام الجيش ؟أو خان مصر أى مسئول آخر؟

كذلك اتهامه للرئيس السادات بالخيانة ! خيانة من ؟ خيانة مصر؟ وكيف يكون الرئيس السادات خائنا لمصر وهو بطل حرب أكتوبر ؟ وهو الذى ألحق بإسرائيل أول هزيمة فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى! فماذا يقصد السيد حسين الشافعى بخيانة الرئيس السادات ؟

إننى حزين لما تردى إليه السيد حسين الشافعى ،وهو يكيل التهم الشنيعة الغير مسئولة جزافا للرئيس السادات .إننى أتفهم غضبه للطريقة المهينة التى أقاله بها الرئيس السادات ، وحقده عليه لهذا السبب ، ولكن هذا شئ ورميه بتهم الخيانة والعمالة وغيرها شئ آخر. فغضبه على السادات له أسباب معقولة ، ولكن رميه له بتلك التهم الشنيعة لا توجد له أسباب معقولة ! وإنما يعبر عن تصرف أهوج ،كان يجب أن يتنزه عنه السيد حسين الشافعى .

ومن هنا ليتصور القارئ أن صاحب هذا الكلام غير المسئول ، كان يمكن أن يكون رئيس جمهورية مصر اليوم ،لو لم يتدارك الرئيس السادات الأمر بنظرته الثاقبة وبحكمته العالية فيقيله بهذه الطريقة المبتكرة فى الوقت المناسب.

وماذا كان يمكن أن يكون مصير مصر اليوم لو كان السيد حسين الشافعى رئيسا لجمهورية مصر يمسك بزمام الأمور فيها ،ويقودها إلى الحرب أو السلام ؟

مهزلة أحمد منصور وسيادة النائب (٤)!

الحوار الذى دار بين السيد أحمد منصور، والسيد حسين الشافعى، اتسم فى كثير من أجزائه بالهزل على نحو أشعر الكثيرين بأنه فخ نصبه السيد أحمد منصور للسيد حسين الشافعى ،لكى يوقعه فى أخطاء تسئ إلى قادة ثورة يوليو ، وتظهرهم فى مظهر يتنافى مع ما ارتسم فى ذهن الجماهير لهؤلاء القادة الذين حكموا مصر عقدين من الزمان !

ولأن السيد أحمد منصور يبيت النية للانتقام من السيد حسين الشافعى ، فانه أراد أن يكشف جوهره باعتباره رئيس المحكمة التى حاكمت الأخوان المسلمين ،وحكمت عليهم ظلما وعدوانا ،فترك للدكتور عصام العريان الفرصة أن يسأله إن كان ضميره مستريحا لحكمه على الأخوان المسلمين بالإعدام ؟ وهل كان يعرف حقا وهو يصدر هذا الحكم أنهم كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم ؟

وقد أثبت السيد حسين الشافعى أنه لم يتغير منذ ذلك الحين لقد أكد لسائله للدكتور عصام العريان ، انه مطمئن لهذا الحكم ،وأن

الأربعاء ٢٠٠٢/٧/٢٤ .

الأخوان المسلمين فى ذلك الحين يستحقون أحكام الشنق التى صدرت ضدهم .

وكان يمكن تبرير هذا الإصرار لو كان الخلاف بين الأخوان المسلمين والثورة فى ذلك الحين كان خلافا أيدلوجيا ، كما هو الحال اليوم بين نظامنا السياسى والأخوان المسلمين! ولكن الأخوان المسلمين كانوا قبل الثورة حلفاء ضباط يوليو، وكانوا يعرفون بميعاد الثورة ، وقد ساعدوا بفصائلهم يوم ٢٣ يوليو ، وبالتالى لم يكن الصراع صراعا أيدلوجيا ، وإنما كان الصراع على السلطة كما هو الحال الآن . وبذلك السيد حسين الشافعى أثبت انه يتمسك بأخطاء ثورة يوليو وبانتهاكها لحقوق الإنسان.

وهو ما يكشف طبيعة قادة ثورة يوليو. فقد كانوا متجبرين على الضعفاء! ضعفاء فيما بينهم.

فلم يكن السيد حسين الشافعى من أسود ثورة يوليو ، وإنما كان من حملانهم لويكشف ذلك الحوار الطريف الذى دار بينه وبين شمس بدران ، فى أثناء محاكمة شمس بدران،والتى كان يرأسها السيد حسين الشافعى فعندما سأل شمس بدران (الذى كان متفقا بين عبد الناصر والمشير عامر ،أن يخلف عبد الناصر بعد التنحى) قائلا :

ـ يعنى عايز تقول انك كنت مرشح لرئاسة الوزارة ؟

شمس بدران :وزارة ايه ؟ إكترا

الشافعى :أنا ما عرفتش حاجة زى دى !

شمس بدران :وانت من امتى بتعرف حاجة !

والمهم فى ذلك كله انه إذا كان السيد أحمد منصور قد نجح فى شئ فى حواره الهزلى مع السيد حسين الشافعى ،فهو انه كشف للجماهير المصرية ،وللجماهير العربية عامة لماذا كانت إسرائيل عند قيام ثورة يوليو دويلة صغيرة ، يطلق عليها العرب اسم «إسرائيل المزعومة»! استخفافا بشأنها - لتصبح عند موت عبد الناصر إسرائيل التى تحتل أراضى ثلاث دول عربية فى سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة .

وعلينا أن نحمد الله مرة أخرى على أن السيد حسين الشافعى لم يصبح رئيس جمهورية مصر، وأن الرئيس السادات تدارك هذا الأمر فى الوقت المناسب!

نداء للمصريين: لا .. لجلد الذات!

مع تفاقم الأزمة الفلسطينية، وتزايد البطش الإسرائيلى بالفلسطينيين، وتحدى الجزار الإسرائيلى شارون للمجتمع الدولى، واستهانته بالرأى العام العربى والحكومات العربية ،سرت فى القنوات الفضائية نغمة. جلد الذات"والبكاء والولولة على الكرامة العربية المهدرة ، وعلت المطالبة للحكومات العربية بالتصدى للجزار الإسرائيلى، وقد تخصصت بعض القنوات الفضائية فى مطالبة مصر بالذات، ومعها الأردن بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ،وإنهاء المعاهدات المعقودة بين البلدين !

والغريب فى الأمر أن هذه القنوات صورت مسألة قطع العلاقات مع إسرائيل وإنهاء المعاهدات المبرمة معها، كما لو أن ذلك سوف ينهى على الفور الاحتلال الإسرائيلى لمدن الضفة الغربية ، وينهى حصار القوات الإسرائيلية للفلسطينيين داخل المدن الفلسطينية !

وهو تصوير مغرض لأن الجميع يعرفون أن مثل هذا الإجراء لن يفيد فى شئ ، وبالتالى فلا جدوى منه .

الخميس ٢٠٠٢/٤/١٨

وفى الوقت نفسه تأثر فريق كبير من الشباب المصرى فى الجامعات بهذه الأفكار، واعتقد الكثيرون أن نظامنا السياسى لا يساعد الفلسطينيين بالقدر الكافى لرفع يد البطش الإسرائيلية عنهم، وقد اتصلت بى قريبة لى من فيينا صارخة :افعلوا شيئا للفلسطينيين! الناس هنا يأكلون وجوهنا ! ويقولون أن مصر أكبر الدول العربية وأقواها، وعليها دور أكبر فى مساعدة الفلسطينيين !

وأود أن أقول أنه لا يجب على المصريين بالذات أن يجلدوا ذاتهم لما يحدث للفلسطينيين ، فقد كانت مصر هى الدولة العربية التى قدمت للفلسطينيين ما لم يقدمه بلد عربى آخر.

فمنذ نشأت القضية الفلسطينية كرست مصر حياتها لهذه القضية عسكريا واقتصاديا. فقد خاضت بسبب القضية الفلسطينية أربع حروب، مات فيها ألوف الشهداء ،وأخرت عمليات التنمية الاقتصادية فيها عشرات السنين .وقد أكلت هذه الحروب ثمار التجربة الاشتراكية، وقضت على البنية التحتية.

وكان بسبب الدفاع عن القضية الفلسطينية ،أن احتلت سيناء مرتين : مرة فى١٩٥٦ ومرة فى ١٩٦٧.

وكانت مصر تحارب بالسلاح فى حين كانت البلاد العربية تحارب بالكلام !

وعندما حطمت مصر خط بارليف ، حطمته وحدها دون شريك ، فلم تصل قوات الدعم العربى إلى مسرح الحرب إلا بعد خمسة أيام من بدء القتال .

بين رعونة شارون وحكمة شارون وحكمة شعبان عبد الرحيم

بدأت أغير رأيي في شعبان عبد الرحيم لو بدأت أشعر بأنه ليس مغنيا مهرجا ، وإنما هو مغنى منتم لمصر ولقضاياها ، كما أنه منتم لأمته العربية ، وينفعل بمآسيها وأحزانها.

وربما كانت هذه بالفعل هي بداية شهرة شعبان عبد الرحيم، عندما غنى أغنية «أحب عمرو موسى وأكره إسرائيل».

والمثير في قصة شعبان عبد الرحيم ،أنه اشتهر في الخارج قبل أن يشتهر في مصر . فهو يغنى منذ سنوات عديدة ، ولم يلتفت إليه أحد ،فقد كان يعد من مغنى الأفراح والموالد الشعبيين ،كانت طريقته في الغناء تناسب الجماهير الشعبية التي تشارك المغنى في أغانيه وفي صياحه وفي تهليله ، وتقضي معه كل الوقت في حالة استمتاع .

ولكن شعبان عبد الرحيم كان مختلفا ، فلم تكن أغانيه أغاني ساقطة ، وإنما كانت تبرز عيوب المجتمع .

الاثنين ٢٢/٤/٢٠٠٢

ثم كان تدخله فى السياسة على المستوى العربى ، ومهاجمته إسرائيل مما استرعى أنظار القنوات الفضائية الأجنبية فتحدثت عنه. وتبعها فى ذلك الإذاعى الكبير حمدى قنديل فقفز به إلى عالم الشهرة بين يوم وليلة .

فى البداية هاجمته بمقال تحت عنوان «مطرب القاع» وقصدت بذلك أنه مطرب الطبقة الدنيا ،ولكنه سرعان ما أخذ يصعد إلى اهتمامات الطبقة المثقفة،ببساطته وعدم ادعاءه ،ولأنه يرضى غرور الطبقة المثقفة التى تسخر من صعود الطبقة الدنيا إلى الثراء ، ومجد الشهرة .

ولم يتغير شعبان عبد الرحيم فقد ظل هو المطرب الشعبى الذى يخاطب الجماهير بجمل بسيطة وعبارات شعبية ، ولا يملك القدرة على التحذلق والإدعاء.

وفى هذا الإطار نحكم على شعبان عبد الرحيم ، فهو من إفرازات التدهور الكبير الذى حدث فى الذوق الفنى للشعب المصرى ، ولكنه مع ذلك يتحدث عن قضايا كبيرة يحتاج إليها جمهور القاع.

كما أنه يسد حاجة الجماهير الشعبية إلى هذا اللون الجديد الذى يبعث الحماس فى نفوسها على اختلاف أذواقها .

وقد شاهدته فى حلقة بقناة دريم استضافته فيها الإذاعية هالة سرحان منذ أيام وقد غنى فيها أغنية شعبية يهاجم فيها شارون بالاسلوب الشعبى الذى تفهمه الجماهير الشعبية ،ويتوعده بالويل

والثبور وعظائم الأمور، و يصوره فى صورة مجنون فقد عقله ،وهو تصوير صحيح ،لان ما فعله شارون لا يفعله إلا حاكم فقد عقله ، ولا ينظر إلى مستقبل العلاقات الإسرائيلية العربية ،وقد أثارت الأغنية حماسة الجماهير.

ومعنى هذا أن جماهيرنا الشعبية فى حاجة إلى الاحتفاظ بحماستها وروح التحدى للاحتلال الإسرائيلى ، وعدم تسرب الهزيمة إلى قلبها ، ويناسبها فى هذا الصدد أغانى شعبان عبد الرحيم الحماسية.

هذه التعبئة ما هو هدفها

أكاد أشعر بأن هناك مؤامرة ، مدبرة أو غير مدبرة للقذف بعالمنا العربي إلى الهوة التي سقط فيها بعد نكبة فلسطين الأولى سنة ١٩٤٨ ! جميع ما يكتب في الصحف تقريبا يكاد ينصب على جلد الذات ،وعلى إدانة كل الأنظمة العربية بدون استثناء ، وإظهار الجميع في صورة التقاعس عن مساعدة الشعب الفلسطيني في محنته الأليمة .

وأكثر من ذلك أنه ظهرت نغمة تتعالى تدريجيا تتحدث عن فساد الأنظمة العربية الحالية وعجزها وضرورة تغييرها .

وقد تأثرت بهذه النغمة كل المظاهرات التي ظهرت في العالم العربي ،فجميعها تتعالى فيها صيحات التنديد بكل الأنظمة العربية الحالية بدون استثناء ،وتتحدث عن عجزها ،وقلة حيلتها .

وقد تخصصت بعض القنوات الفضائية العربية في هذا اللون من التحريض على الأنظمة العربية ، حتى لا يمكن أن أسمي ما يحدث بأنه تعبئة للجماهير العربية ضد حكامها ونظمها الحاكمة .

الثلاثاء ٢٣/٤/٢٠٠٢.

وقد أخذ البعض يتحدث عما أسفرت عنه نكبة فلسطين الأولى من تغيير كل الأنظمة العربية ، وهو تحريض خفى على النظم العربية الحالية .

وأود أن أوضح ـ كمؤرخ ـ أن النكبة الحالية هى ـ بكل بساطة ـ هى من إنتاج النظم التى خلفت النظم القديمة .

فلقد كان من سوء الحظ تماما ، أن هذه الأنظمة كلها كانت نتاج انقلابات عسكرية قام بها العسكر العرب فى كل مكان ، لنفس السبب الحالى الذى يعو لتغيير النظم العربية ،وهو نكبة فلسطين.

تحت اسم نكبة فلسطين تقوضت النظم القديمة ، وثلت عروش ، ونفى ملوك وأعدم آخرون ، وكان ظن الجماهير العربية أنها تخلصت من جيل هزيمة ١٩٤٨ ، وأصبحت بفضل سقوط السلطة فى الجيش فى طريق الانتصار. ولكن ما لبثت آمال الأمة العربية أن تقوضت ،وثبت أن العسكر فى كل نظام انقلابى خلف النظم القديمة ، كانوا أسوأ بكثير، ومعظمهم كانوا جماعة من الأفاقين الذين صعدوا على سلم فلسطين إلى الحكم ،وثبت فيما بعد أنهم لم يعملوا لا لفلسطين، ولا لشعوبهم ، وإنما كانوا يعملون من أجل مصلحتهم وثرائهم ، وتكوين طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة .

وبدأت الأمة العربية ترى الهزائم تتوالى على يد العسكر ، ودون أية انتصارات .

وحتى عندما أحرز السادات أكبر انتصار عربى رفع به شأن الأمة العربية ، خرجت النظم العسكرية الحاكمة تتهمه بالخيانة وتصور انتصاره هزيمة .

واختلط الحابل بالنابل ،فقد أصبح بطل هزيمة يونيو ١٩٦٧ بطلا ،وبطل نصر أكتوبر خائنا .

وحتى عندما خرج الجيش العراقى مقهورا من الكويت جرى تصوير هذه الهزيمة انتصارا .

هذا هو تراث النظم العسكرية التى حلت محل النظم التى ارتكبت نكبة ١٩٤٨. وهذا هو حال العالم العربى على يد هذه النظم .

ومن هنا فان ما تحتاجه أمتنا العربية ليس انقلابات عسكرية على نحو الانقلابات العسكرية التى ظهرت بعد نكبة ١٩٤٨، وإنما كشف حساب كما تفعل الأمم المتمدنة فى أعقاب الهزائم التى تصاب بها .. كشف حساب يفرز الصالح من الطالح ،ويفرز الحكام الذين امتهنوا كرامة شعوبهم واستعبدوها وامتهنوا حقوق الإنسان ، ومازالوا يركزون على أعناق هذه الشعوب ،ويضللون الأمة العربية بالألفاظ الجوفاء .

وللأمة العربية أن تحكم فى مصائر هؤلاء الحكام ، وهذه النظم ، وألا تدع للعسكر الفرصة مرة أخرى لاستغلال اسم فلسطين ، والصعود فوق محنها وأحزانها إلى كراسى الحكم .

مهزلة مهرجان السينما:
سقط السادات ونجح شعبان عبد الرحيم!

لم أدهش كثيرا حين ظهرت نتائج مسابقة الأفلام الروائية فى المهرجان القومى الثامن للسينما المصرية، وكانت خالية من فيلم أيام السادات ! فى حين كانت حافلة بفوز فيلم شعبان عبد الرحيم بثلاث جوائز ، وفيلم اسمه أسرار البنات بأربع جوائز ، وفيلم آخر اسمه مذكرات مراهقة بجائزتين ،وخروج فيلم أيام السادات صفر اليدين .

منذ البداية كنت أشك فى أن وطنية لجنة التحكيم سوف ترقى بها إلى التقييم الصحيح لفيلم أيام السادات ، وإنما كنت أدرك فى قرارة نفسى أن مزايدة بعض الفنانين المصريين على الفنانين العرب فى التقليل من شأن السادات ،وفى الحط من قدره سوف تتغلب فى النهاية.

ومن حق العرب الذين رفضوا مبادرة السادات تحت اعتقاد مريض بأنهم سوف يحققون عن طريق الصمود والتصدى ، ما عجز عنه السادات بمبادرة القدس ـ أن يحقدوا عليه بعد أن كشف تضليلهم

الخميس ٢٠٠٢/٤/٢٥.

لأمتهم العربية ، وبأن الصمود والتصدى الذى أعلنوه فى ذلك الحين، إنما هو صمود وتصدى كلامى وهمى ،وأنه أنزل بقضية فلسطين وبالأمة العربية كوارث لم يسبق لها مثيل .

ولكن ماذا بشأن المصريين الذين يعرفون اليوم جيدا أنه لولا شجاعة السادات فى الحرب والسلام ،ولولا مبادرة القدس ،ولولا معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ،لكانت سيناء إلى اليوم محتلة مثلها فى ذلك مثل الجولان والضفة الغربية والقدس ؟ لماذا يتخذ هؤلاء موقف المزايدة على العرب فى العداء للسادات ،ورفض أى عمل فنى يرد على افتراءات خصومة ويظهر الحقائق دامغة للرأى العام المصرى والعربى .

لقد تعرض فيلم أيام السادات منذ ظهوره لحرب شعواء ، إذ قاطعته معظم البلاد العربية ،فى الوقت الذى كانوا يقبلون فيه بسرور على مشاهدة الأفلام الأمريكية والإشادة بها وتسويقها وفرضها على المشاهد العربى ، على الرغم مما هو معروف من أن هذه الأفلام الأمريكية تدخل فى باب الغزو الثقافى الأمريكى .

وفى الوقت نفسه لم يجرؤ منتج مصرى على الاستجابة لداعى الوطنية والحقيقة التاريخية والاعتراف بجميل بطل الحرب والسلام على إخراج فيلم يصور الحقيقة التاريخية فيما يتصل بالسادات! حتى تصدى لهذه المهمة النبيلة والوطنية الشريفة الفنان الكبير أحمد زكى.

وعلى الرغم من أن الفيلم مصرى بحت ، وممول بمال مصرى بحت، ويدخل فى باب الأعمال الفنية العظيمة ، غير المسبوقة ، وعلى الرغم من الحرب غير الشريفة التى خاضها الإخوة العرب ضد هذا الفيلم ،فانه لم يجد من وطنية لجنة الجوائز ما يدفعها إلى تقديره التقدير الذى يستحقه ، وهو أمر مؤسف للغاية ومحزن لأنه إذا نسينا مصريتنا ، فلن تحترمنا عروبتنا .

ومن حسن الحظ ، ومما يصفع هذه اللجنة صفعة قاسية أن الجمهور المصرى الشريف قال كلمته فى هذا الفيلم ، وأن رئيس الدولة كان الأكثر وطنية وتقديرا لهذا العمل فكرمه التكريم الذى يستحق ، وبذلك ارتفع الفيلم فوق مستوى هذه الجوائز ، ولم يعد فى حاجة إليها .

بل مصر وقائدها يدعمان الانتفاضة

مشكلة الشعب العربى والشعب المصرى مع القضية الفلسطينية، ومع الأمة العربية، هى مشكلة الدس الذى يدسه المتخاذلون من حكام الأمة العربية، الذين لم يقدموا للقضية الفلسطينية غير الكلام والخطب ، والتظاهر بالبطولات الزائفة، وتضليل الشعب الفلسطينى بكل الطرق ، وقد كانت المعاهدة المصرية الإسرائيلية فرصة للحكام المزايدين لإظهار مصر فى صورة من تخلى عن القضية الفلسطينية.

ومن هنا أصبحت العلاقة بين مصر والقضية الفلسطينية علاقة غريبة. فالمصريون فى هذا البلد يعطون ألقضية الفلسطينية كل تفكيرهم ، ويشاركون الشعب الفلسطينى آلامه وأحزانه، وتخرج مظاهرات الشباب فى الجامعات المصرية تطالب بمعاقبة شارون وحكومته ، لما ارتكبوه من جرائم فى جنين ونابلس ورام الله وغيرهم، وحتى ليشعر كل من يعيش فى مصر بأن قضية فلسطين هى قضيته الأولى.

السبت ٢٧/٤/٢٠٠٢.

ولكن فى البلاد العربية الأخرى التى تزايد على مصر، فإنها تتحدث عن مصر، كما لو كانت قد انعزلت عن القضية الفلسطينية ، وما يحدث للفلسطينيين من مجازر على يد قوات شارون.

بل هى فى كل نشراتها تقريبا واستعراضها للأحداث تطالب مصر بإلغاء المعاهدة المصرية الإسرائيلية، كما لو أن هذه المعاهدة هى سبب ما يحيق بالفلسطينيين من تنكيل وعسف وظلم.

وبذلك تصور هذه القنوات الفضائية العربية موقف الأمة العربية من القضية الفلسطينية على هذا النحو المضلل، وهو أن هناك دولاً انسحبت من النضال العربى وأبرمت معاهدة سلام مع إسرائيل وهى مصر والأردن. وهناك دول عربية لم تنسحب من هذا النضال وهى التى تتصدى لإسرائيل ، وتتصدى لمساعدة الفلسطينيين.

ويلمس ذلك المرء فى بعض القنوات العربية ـ قناة الجزيرة على سبيل المثال ـ فهى تعمد إلى إخفاء الجهود التى يبذلها الرئيس مبارك فى خدمة نضال الشعب الفلسطينى.

وفى الوقت نفسه تحرص على أن تستضيف الكتّاب الذين يتحدثون باسم النظم العربية المعادية لمصر، وانتقاء ما يهاجم مصر من كتاباتهم.

وعلى هذا النحو ففى الوقت الذى تستحوذ فيه القضية الفلسطينية، وما يجرى للفلسطينيين على يد قوات شارون من مذابح وتنكيل على اهتمام الشعب وعلى كل بيت مصرى ، فإن هذه الصورة الإيجابية للشعب المصرى، تقابلها صورة السياسة المصرية التى يوجد بينها وبين

إسرائيل معاهدة سلام ، والتى فيها سفارة إسرائيلية، ويرتفع فى سمائها العلم الإسرائيلى، وهو ما يظهر الشعب المصرى فى جانب، والنظام السياسى فى جانب آخر. وهى صورة مضللة كما ذكرنا لأن الشعب المصرى يستمد حماسته من القضية الفلسطينية، وما يحدث للفلسطينيين من حماسة النظام السياسى المصرى، وعلى رأسه مبارك، ولو كان اتجاه النظام السياسى المصرى مخالف لاتجاه الجماهير لما خرجت مظاهرة من تلك المظاهرات ، ولقام الإعلام المصرى بعمل التعتيم اللازم على هذه المظاهرات.

فالشعب المصرى، والنظام المصرى وعلى رأسه الرئيس مبارك هو شىء واحد وليس شيئين.

مملكة المسيح ومحنة كنيسة المهد!

فى ظل الحصار المفروض على المسيحيين والمسلمين داخل كنيسة المهد فى بيت لحم، يعيش الجميع حياة لا تفرق بين مسلم ومسيحى، إنما تربطهما معاً رابطة إنسانية بحتة، يقتسم فيها الجميع الطعام والعلاج، ويتعاون فيها الجميع على تحمل المحنة التى فرضها اليهود!

لو كانت الدولة التى فرضت هذا الحصار الغريب دولة إسلامية، لقام الغرب المسيحى على قدم واحدة ولم يقعد، حتى تكفر الدولة الإسلامية عن خطيئتها، وتعتذر عن فعلتها الشنعاء وهو ما حدث فى وقائع كثيرة عبر التاريخ، فكثير من الفتن الدينية والحروب الدينية قامت لأقل من ذلك!

ولكن لأن الدولة التى تقوم بهذا العمل المتكرر وتعتدى على كنيسة المهد، هى دولة تملك سلاحاً ذرياً، ولأنها تلقى مساعدة مطلقة من الولايات المتحدة التى تحكم العالم اليوم، فإن الغرب المسيحى يستقبل هذه الإهانة متخاذلاً ويدخل فى مفاوضات طويلة للتوصل إلى صيغة

الخميس ٢٠٠٢/٤/٢٨.

ترضى، وعلى هذا النحو، فنحن نعيش اليوم عصر سيطرة اليهود على العالم، وذلك لأول مرة فى التاريخ البشرى كله.

فمنذ ظهور السيد المسيح، وظهر بعده النبى محمد صلى الله عليه وسلم، تقاسم العالم المسيحيون والمسلمون، وتكونت مملكة المسيح، والخلافة الإسلامية. وكان المسيحيون أشد عداء لليهود من المسلمين، بل إنه لم يكن ثمة عداء بين المسلمين واليهود على أرض الواقع، وعلى العكس من ذلك كان التعاون بين المسلمين واليهود تعاوناً وثيقاً، وقد اشترك اليهود فى كافة مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية الإسلامية.

كذلك عندما فتح صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس، أقام اليهود الأفراح ورفعوا الأعلام!

فقد ظل اليهود منبوذين فى المجتمع المسيحى، ومبعدين عن مملكة المسيح إلى وقت قريب، حتى داخل الولايات المتحدة، حيث كانت بعض المحال تكتب على بابها «ممنوع دخول اليهود والكلاب»!

وقد أدرك اليهود أنهم ما داموا متفرقين بلا وطن، فلن يكون لهم شأن. ومن هنا فرح تيودور هيرتزل بفكرة الدولة اليهودية. ولم تكن دولة بالمعنى الحالى، إنما كانت مجرد وطن يضم شتات اليهود. وقد كان هذا هو نص وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود. فقد نص على HOME ولم ينص على دولة STATE.

ولم ينتبه العرب إلى الخطر، فقد كان اليهود يعيشون داخل كل بلد عربى كجزء لا يتجزأ من شعبها، ذلك بفضل الغفلة العربية، تحول اليهود تدريجياً ليصبحوا دولة إسرائيل الحالية، التى تحاصر كنيسة المهد وبها مائتان من المسيحيين والمسلمين، بمباركة العالم الغربى المسيحى!

مقاطعة من الحمار أو البردعة !

وصلتنى رسالة من العاملين بمحلات كنتاكى وماكدونالد ، يشكون فيه من مقاطعة الجمهور المصرى لمحلاتهم! ويقولون إنه إذا استمر حال المقاطعة على هذا النحو ، فانهم سوف يفقدون أعمالهم، ويتعرضون للبطالة .

وبالفعل شاهدت ذلك عند مرورى ببعض هذه المحلات .

وقد شعرت على الفور بمدى غضب الشعب المصرى، لما يرتكبه شارون من تنكيل غير مسبوق بالفلسطينيين ، وللسياسة الأمريكية التى تقلب الحق باطلا، وتصور شارون فى شكل رجل سلام ، وتصور الفلسطينيين الذين يدافعون عن وطنهم ضد المحتلين فى صورة إرهابيين .

كانت المفارقة فى تقييم الإدارة الأمريكية للوضع المأساوى فى فلسطين صاعقة، وقد استفز كل مشاعر الشعب المصرى ، الذى لم يشهد فى التاريخ الحديث كله مثل هذا التضليل ، وهو ما جعله لأول

الخميس ٢٠٠٢/٥/٢ .

مرة يستجيب لدعوة مقاطعة المحلات الأمريكية على هذا النحو فتخلو محلات الأطعمة الشهيرة من الزبائن ، احتجاجا على الموقف الأمريكى، وقرفا منه .

ولكن الذى لا يعرف المقاطعون أنهم فعلوا كمن يترك الحمار ويضرب البردعة ، فهذه المحلات ليست هى أمريكا ، وليست هى الإدارة الأمريكية ، بل ليست محلات أمريكية أصلا ، إنما هى تحمل فقط أسماء أمريكية .

فالعادة فى مثل هذه المتاجر ذات الأسماء الأجنبية الشهيرة التى تنتشر فى أنحاء العالم كلها، أنها لا تعبر عن أصحاب هذه المحلات، إنما هى تحمل اسما تجاريا فقط مدفوعا ثمنه لأصحاب المحلات الأصليين ، وبالتالى فأصحاب هذه المحلات هم فيما عدا الولايات المتحدة الأمريكية ليسوا أمريكيين فى الغالب ، إنما هم مستثمرون ينتمون للبلاد التى تقام فيها هذه المحلات .

وعندما كنت فى الاتحاد السوفيتى منذ عامين ، شاهدت أحد هذه المحلات فى شارع أربات فى موسكو، ولم يكن أصحاب هذه المحلات أمريكيون ، إنما روس. وفى كل العواصم الأوروبية توجد هذه المحلات بأسمائها التجارية ، ولكن أصحابها ينتمون لنفس الدولة .

والمشكلة أن هذه المحلات تستخدم أيدى عاملة محلية ! ولا يعمل فيها أمريكى واحد، وبمعنى آخر أنه لا يملكها أمريكى ، ولا يعمل فيها أمريكيون ، وبالتالى فهى جزء من النشاط التجارى الذى تمارسه

الرأسمالية فى تلك البلاد، وتخدم بالتالى اقتصاد البلاد الذى تقام فيه ، كما تخدم مواطنيها .

ولكن العادة جرت على أن ينزل سخط الشعوب على الأسماء الأمريكية ، دون أن يتأثر الأمريكيون بذلك السخط أيما تأثر !

والمهم بالنسبة لمصر فقد أشعرتنى مقاطعة هذه المحلات بحجم الغضب الهائل الذى يملأ صدور المصريين ، لذلك الظلم البالغ الذى ينزل بالفلسطينيين على يد الإسرائيليين من جانب ، وعلى يد الإدارة الأمريكية من جانب آخر ، والذى تنجو الإدارة الأمريكية من عواقبه، ويدفع ثمنه العاملون المصريون فى هذه المحلات .

شارون ينظر تحت قدميه !

من المحقق أن حكومة شارون لديها من الأسباب، ما يبرر سياسة البطش والتنكيل والقتل التى تطبقها على الفلسطينيين فى الأراضى الفلسطينية المحتلة. وذلك بسبب الضعف العربى العام من جهة ، وبسبب التأييد الأمريكى من جهة أخرى. ولكنها على الجانب الآخر تفقد الفرصة التاريخية من إقامة هذه الدولة فى المنطقة العربية.

فلم يؤسس اليهود دولتهم فى المنطقة العربية لكى يعيشوا فى حالة حرب وصراع ونزاع دائم ودماء تراق على الجانبين، انما أقاموا دولتهم فى هذه المنطقة العربية الغنية بالإمكانات الاقتصادية ، لاستيعاب العرب نفوذهم ، والسيطرة عليهم اقتصاديا، ولكى يصبحوا فيما بعد مركز نفوذ اقتصاديا مسيطرا على المنطقة ، وبمعنى آخر يصبحون جزءًا لايتجزأ من هذه المنطقة.

وقد كانت فكرة تقبل الكيان الإسرائيلى فى المنطقة العربية بالفعل فى توقعات بعض المفكرين المصريين. ففى أوائل الستينيات كتب فكرى

الخميس ٢٠٠٢/٥/٥

أباظة وهو من رجال الحزب الوطنى الذى عرف عنه التطرف مقالا فى مجلة المصور يتحدث فيه عن إمكانية أن تصبح إسرائيل جزءًا من المنطقة العربية بل أن تصبح إسرائيل عضوا فى جامعة الدول العربية!

وصحيح أن المرحوم الأستاذ فكرى أباظة وجد نفسه فى اليوم الثانى فى الشارع ، مبعدا من دار الهلال، ولكنه عاد مرة أخرى، بعد أن ماتت الفكرة.

ومن الجدير بالذكر أن القادة الإسرائيليين كانوا يتوقعون بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، أن يأتى إليهم عبدالناصر طائعا ذليلا لإبرام تسوية ومعاهدة سلام ، ولكنهم فوجئوا بأن المقاومة المصرية، التى ظنوا أنها قضى عليها بالهزيمة المنكرة، مازالت باقية ، ومازالت مشتعلة ، فبعدها مباشرة وقعت معركة رأس العش ، وتلاها إغراق المدمرة إيلات فى معركة بحرية غير مسبوقة فى التاريخ خاضتها البحرية المصرية ضد إسرائيل . وجاء مؤتمر القمة العربية الذى عرف باسم مؤتمر اللاءات الثلاث ليبرهن على أن حرب ١٩٦٧، لم تكن إلا معركة ، فى حرب طويلة الأمد.

وهو ما حدث بالفعل ، فقد قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتلاها تمزق الجبهة العربية، بقيام الحرب العراقية الإيرانية ثم الغزو العراقى للكويت، ثم حرب تحرير الكويت، التى انقسمت حولها الدول العربية ،

وكان هذا التفسخ العربى هو الذى قاد إلى المرحلة الحالية ، التى انتهزتها إسرائيل للتنكيل بالفلسطينيين.

واعتقادى الشخصى، أن ما فعله شارون فى جنين وقلقيلية ورام الله ومحاصرته الرئيس الفلسطينى فى رام الله يعد من الأخطاء التاريخية الكبرى، لأنه وإن كان قد حقق انتصارا على الفلسطينيين العزل من السلاح فانه قضى على مستقبل إسرائيل، فى المنطقة العربية. لقد كانت سياسة شارون سياية قصيرة النظر.

الخطأ الذى تقع فيه الفضائيات العربية

ربما كانت أسوأ الحلقات النقاشية التليفزيونية ما تدور ليثبت فيها المناقشون النزعة الاستعمارية فى السياسة الأمريكية، أو ليثبت فيها المناقشون أن إسرائيل دولة غير سلامية ، وأنها تتربص بالعرب، ولاتريد حل القضية الفلسطينية!

هذا كلام معاد، وتكرار ممل لحقيقة يعرفها رجل الشارع الفلسطينى ورجل الشارع العربى. إنه أشبه بأن يمضى المرء الوقت فى إثبات أن الثعلب حيوان غدار، أو أن الأفعى الرقطاء هى حيوان زاحف خطر.

إنه لمن الأجدى لتلك الحلقات النقاشية التى تكتل فيها القنوات الفضائية العقول العربية المفكرة أن تدور حول أبعاد المأزق العربى الذى نعيش فيه، وكيفية الخروج منه، سواء بالطرق السلمية أو العسكرية، ومناقشة البدائل.

فهذا وحده هو الذى يساعد صناع القرار فى حكومتنا العربية ذلك أن الكثيرين ممن لا رأى لهم، أو من من المتاجرين بالقضية

الخميس ٥/٥/٢٠٠٢ .

الفلسطينية، ينتهزون هذه الفرصة ليتظاهروا بالتطرف فى الوطنية ، ويصبون جام غضبهم على إسرائيل ، وعلى الولايات المتحدة .

ومن المحقق أنه لا أحد فى إسرائيل أو فى الولايات المتحدة الأمريكية يستمع لهذه الشتائم ، فكل منهما تسير فى خطها المرسوم الذى يحقق مصالحها ، دون اهتمام بما إذا كانت هذه السياسة تلقى الترحيب أو الاستياء من العرب أو من الفلسطينيين.

وفى الوقت نفسه فإن القنوات العربية، لاتنقل إلينا ما يدور فى إسرائيل ، من حوارات ونقاشات لصالح أو ضد العرب، لكى نطلع على العقل الإسرائيلى وكيف يفكر. فنحن فى هذه المنطقة العربية لانعرف عن إسرائيل إلا ما يفعله شارون من اعتداءات على الفلسطينيين ومذابح ، ولانعرف شيئا عما يدور فى الجانب المعارض لحكومة شارون.

ومعنى هذا الكلام أننا نعيش فى عزلة عن التيارات السياسية التى تعمل فى إسرائيل، ولانستطيع أن نقيّم الأوضاع السياسية فيها تقييما صحيحا .

ومن المحقق أنه لاتوجد إسرائيل واحدة تدين بالولاء لشارون ، وتوافق على جرائمه، إنما توجد فى إسرائيل فرق وأحزاب، قد تكره شارون أكثر مما يكرهه العرب، لأسباب تتصل بتدميره جسور السلام بين إسرائيل والعرب.

ونحن فى هذا نقع فى خطأ جسيم ولكنه قديم ، وهو أن إسرائيل ذيل لأمريكا تأتمر بأوامرها ، وتنتهى بنواهيها. وهو ما لعله قد ثبت عكسه فى الأزمة الحالية. فقد خرج الرئيس الأمريكى بوش يطلب من حكومة إسرائيل الانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة «اليوم وليس غدا» ولكن حكومة إسرائيل لم تعر هذا الأمر اهتماما واستمرت فى احتلالها للمدن الفلسطينية ، فى الضفة الغربية ، واستمرت فى اعتداءاتها ، وارتكاب مذابحها.

على الفضائيات العربية إعادة قراءة إسرائيل!

قنواتنا الفضائية العربية ، تهدر طاقتها فى عقد حلقات نقاشية تدور حول ما هو ليس فى حاجة إلى إثبات ، لأنه واضح ومعروف بالضرورة، وهو الصفة العدوانية لإسرائيل الاستعمارية للولايات المتحدة ، وذلك أن اهتمام الفضائية ينصرف كله إلى متابعة ما تقوم به الحكومة الإسرائيلية من اعتداءات على الفلسطينين ، وما ترتكبه من مجازر واحتلال للمدن. ولكنها لاتقدم لنا ما يدور فى الطرف المعارض، وإن العرب واقعون تحت وهْم أن إسرائيل هى ذيل لأمريكا تأتمر بأوامر، وتنتهى عما تنهى عنه. وهو ما ثبت عكسه فى الأحداث الأخيرة ، فلم تعر حكومة إسرائيل اهتماما لأوامر بوش بالانسحاب «اليوم وليس غدا» من المدن الفلسطينية.

وهذا يتطلب أن نعيد تقييم سياستنا على أساس الواقع الفعلى، وليس على أساس مانتصوره ، وهو أن إسرائيل ليست دولة متخلفة من دول أفريقيا ، إنما هى دولة متقدمة اقتصاديا وعسكريا ، وتملك الأسلحة النووية ، ولها مصالح خاصة منفصلة عن مصالح الولايات

الجمعة ٢٠٠٢/٥/١٠ .

المتحدة، وتستطيع أن ترسل الجواسيس للتجسس على الأسلحة الأمريكية.

ومن هنا فإن دور الولايات فى التأثير على حكومتها ، هو دور «المساعى الحميدة» ، وليس دور الأمر والنهى، وقد تفلح هذه المساعى الحميدة أحيانا ، وقد تخفق.

وفى كل الأحوال فإن الاعتماد على ضغوط الإدارة الأمريكية وحدها، لايحقق النتائج التى يرغبها العرب.

وفى ذلك فقد رأينا ما مارسته أوروبا من ضغوط على إسرائيل ، وما أسفرت عنه هذه الضغوط من نتائج .

ومعنى هذا الكلام أننا فى حاجة إلى إعادة تقييم إسرائيل وسياستها ، فى ضوء الحقائق الثابتة الواضحة أمامنا، وليس فى ضوء المعتقدات القديمة ، عندما كانت إسرائيل تعتمد على أوروبا اعتمادا أساسيا: تعتمد على إنجلترا وفرنسا فى البداية ، ثم على الولايات المتحدة اليوم.

إن إسرائيل تشبه - من وجوه كثيرة - الوحش فرانكشتاين، وهو المخلوق الذى صنعه أحد العلماء الألمان ليأتمر بأوامره، ويفعل ما يأمره به ، ولكنه عندما تضخم تمرد على صانعه، وأصبح مستقلا فى أعماله التدميرية.

ومعنى هذا الكلام أننا فى حاجة إلى إعادة تقييم إسرائيل فى عهدها الراهن، وإعادة تقييم علاقاتها الدولية سواء بالولايات المتحدة

أو بأوروبا، وكذلك بالإراضى العربية المحتلة ، وأن نعيد رسم سياستنا العربية فى ضوء الواقع الجديد لإسرائيل.

وفى الوقت نفسه فإننا فى حاجة إلى إعادة تقييم قوتنا الذاتية العربية، وفى ضوء المتغيرات التى ترتبت على خروج العراق من ميزان القوى العربية، بعد حرب تحرير الكويت. وفى ضوء استمرار الاحتلال الإسرائيلى لهضبة الجولان ، وفى ضوء الانقسامات العربية ، وما تبدد من الثروة العربية البترولية فى حرب تحرير الكويت وما بعدها.

إن إعادة التقييم هذه هى الخطوة الأولى الجديرة باهتمام القنوات الفضائية العربية ، وهى تعد حلقاتها النقاشية ، والتى يجتهد فيها المشتركون لإثبات البديهيات ، والاعتراف بالحقائق التى ليست فى حاجة إلى اعتراف ، حتى تكون هذه القنوات إيجابية فى توضيح الصورة للقيادات العربية ، بما يساعدها على رسم سياسة صحيحة ، تقوم على الحقائق الجديدة ، ولاتقوم على أوهام قديمة.

عن سلاح المقاطعة

كتبت منذ أيام مقالا بعنوان «المقاطعة لمن الحمار أو البردعة» تناولت فيه مقاطعة بعض المحلات التجارية فى مصر التى تضع على رأسها عناوين أمريكية، وكان ذلك بناء على خطاب وصلنى من بعض العاملين فى هذه المحلات يشكون فيها من المقاطعة ، ويقولون فيها إنها تهددهم بقطع العيش ، وكان رأيى أن هذه المحلات وإن كانت تحمل أسماء أمريكية، فإنها ليست أمريكية، لا من جهة رأس المال، ولا من جهة الإدارة. إنما هى مشروعات استثمارية تقوم بها كل دولة برأس مالها الخاص، وبإدارتها وبعمالها، وبالتالى فإن هذه المقاطعة لن تؤثر على الولايات المتحدة الأمريكية، إنما ستؤثر على هذة المشروعات التى يمكن وصفها بأنها مشروعات وطنية بأسماء أمريكية.

ويبدو أنه آن الأوان لمن «يتباركون» بالأسماء الأمريكية، ويعتبرونها المدخل الصاروخى للكسب والرخاء أن يدفعوا الثمن غاليا ، فسمعة الولايات المتحدة تتدهور تدريجيا ، وبصفة مستمرة، بسبب سياستها

السبت ٢٠٠٢/٥/١٢ .

المتحازة بلا تحفظ لإسرائيل، وأيضًا بسبب سياستها الاستغلالية للشعوب الفقيرة. فلا أنسى عندما كنت فى لندن فى أول مايو من عام مضى أن جميع المحلات الأمريكية قامت بحماية نفسها بتغطية أبوابها وفتارينها الزجاجية بألواح الخشب خوفا من تحطيمها على يد المتظاهرين.

ولم يكن المتظاهرون عربيا ولا مسلمين، إنما كانوا «إنجليز»، ومع ذلك فإن مظاهراتهم ضد العولمة التى هى المرادف اليوم للاستعمار الأمريكى، دفعتهم إلى تحطيم كل ما هو أمريكى.

ولقد كان الشعور المعادى للولايات المتحدة فى مصر قويا أثناء المذابح التى ارتكبها شارون فى جنين ونابلس ومدن الضفة الغربية، خصوصا عندما وصف الرئيس بوش الجزار شارون بأنه رجل سلام . فلأول مرة يظهر الغضب المصرى فى هذا المظهر وهو مقاطعة محلات الأكل ذات الأسماء الأمريكية.

ومن هنا فقد اتصل بى بعض المثقفين عقب نشر مقالى، وتساءلوا لماذا لم تعلن الجهات صاحبة هذه المحلات أسماء مالكيها الحقيقيين، ليعلم الجمهور المصرى أن هذه المحلات ليست مملوكة لأمريكيين، وللدفاع عن أنفسهم، بدلا من ترك هذه المحلات والعاملين فيها فريسة لسلاح المقاطعة.

وأرى أن هذا الكلام معقول أفمن المفروض أن يدافع كل صاحب مصلحة عن مصلحته، ومن الضرورى أن يعرف الجمهور المصرى الحقيقة من أصحاب الشأن أنفسهم.

وهذا ما يدعونى إلى أن أطالب أصحاب هذه المحلات بأن يعلنوا عن أنفسهم، حماية لمصالحهم ومحلاتهم وللعاملين فيها من سلاح المقاطعة!

أزمة كنيسة المهد
أنموذج للمماطلة الإسرائيلية

انتهت أزمة كنيسة المهد نهاية مأساوية، بإبعاد ثلاثة عشر من المناضلين الفلسطينيين إلى قبرص، وبعثرتهم فى كافة أنحاء المعمورة.

وقد مزق هذا الاتفاق المقاومة الفلسطينية، التى كادت تتوحد أيام حصار إسرائيل لياسر عرفات فى رام الله. ولا يعلم أحد إلى أى مدى سوف يحدث هذا الانشقاق تأثيره على المقاومة الفلسطينية. ومع ذلك فإن تمزق المقاومة الفلسطينية هو أمر معهود وغير غريب! فلم تتوحد هذه المقاومة فى يوم من الأيام، فكل فريق يفعل ما يراه فى مصلحة القضية الفلسطينية، حتى لو دمر القضية الفلسطينية.

ولن ندخل فى تأثير اتفاق كنيسة المهد على القضية الفلسطينية أو على المقاومة الفلسطينية، إنما يهمنا أن نوضح أن أزمة كنيسة المهد كلها، وهى التى استمرت نحو أربعين يوما، إنما هى أنموذج للعقلية الإسرائيلية، التى تدير شئون التصدى للانتفاضة الفلسطينية، فى

الثلاثاء ٢١/٥/٢٠٠٢ .

مرحلتها الجديدة التى بدأت بزيارة شارون للمسجد الأقصى يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠.

فكما ذكرنا من قبل، فإن العقلية الإسرائيلية تقوم على خطة ثابتة، استنتها منذ بداية الأزمة، وهى قطع سلسلة الأحداث كلما شعرت الحكومة الإسرائيلية بأن الأمور تمضى إلى نهاية تتفق مع مصلحة الفلسطينيين، ولا تتفق مع إسرائيل فهنا تفتعل إسرائيل أزمة ما تقطع بها سلسلة الأحداث لعدة شهور، أو لعدة سنين، وتشغل بها العرب والعالم بعض الوقت، ثم تعود إلى نقطة البداية.

وبذلك يتأخر حل القضية الفلسطينية، دون أن تخسر إسرائيل شيئا فهى تضع يدها على الأرض، وفى يدها كل السلطة والقوة.

ومن هنا فالمتابع لتطورات القضية الفلسطينية خاصة، والصراع العربى الإسرائيلى عامة، سوف يلاحظ أنه مكون من وقفات، أو انقطاعات، أو بمعنى أدق أزمات كبرى تشغل الرأى العام العربى والعالمى، وتتكون من بداية أزمة، ثم ذروة أزمة، ثم نهاية الأزمة. وعندما تنتهى هذه الأزمة تكون إسرائيل قد كسبت وقتا هى فى حاجة إليه لتأجيل حل القضية، أو لإعادتها إلى الوراء بضع خطوات.

وربما كانت أزمة الانتفاضة الأخيرة نموذجا لهذه السياسة الإسرائيلية العتيدة، لا يخرج فى كثير أو قليل عما سبقه من أزمات.

وعلى سبيل المثال لقد حققت المقاومة الفلسطينية . بعد أوسلو كثيرا من التقدم، فقد سمح بقيام سلطة فلسطينية على الأرض الفلسطينية

المحتلة، وقيام رئيس سلطة فلسطينية، وانسحاب إسرائيل من أراضى السلطة الفلسطينية، وأكثر من ذلك انسحاب إسرائيل من قطاع غزة. وعلى المستوى اللبنانى، انسحبت إسرائيل من الجنوب اللبنانى كله، ثم مضت المفاوضات عدة خطوات إلى الأمام فى عهد الرئيس الأمريكى بيل كلينتون، وفى عهد حكومة العمل فى إسرائيل، ولم يعد أمام المقاومة الفلسطينية سوى أن تقطع خطوات قليلة لتحقق معظم ما سعت إليه.

عند هذه المرحلة بالذات، التى كان الضغط الدولى والأمريكى يشتد على حكومة العمل برياسة إيهود باراك، شعر اليمين الليكودى أن إسرائيل تنجرف إلى نهاية سياسة، لا تتفق مع الخطة الإسرائيلية التى تؤثر الأرض على السلام.

فكان من هنا ضرورة قطع سلسلة الأحداث، وهو ما تم بزيارة شارون للمسجد الأقصى.

أزمة كنيسة المهد
أنموذج للمماطلة الإسرائيلية (٢)

أدرك اليمين المتطرف فى إسرائيل، المتمثل فى حزب الليكود، أن المفاوضات التى تجرى بين السلطة الفلسطينية وحكومة حزب العمل برياسة باراك، تمضى إلى حل سياسى فى صالح المقاومة الفلسطينية، وليس فى صالح إسرائيل . فكان من هنا أن تقدم الليكود ليلعب اللعبة الإسرائيلية القديمة، وهى قطع سلسلة الأحداث، للعودة بالقضية إلى نقطة الصفر، أو ماقبل نقطة الصفر، فكان من هنا زيارة شارون للمسجد الأقصى.

ولايعلم أحد بدقة، ما إذا كانت هذه الزيارة قد تمت باتفاق بين شارون وباراك، رئيس حكومة حزب العمل، أو شارون استطاع أن يضحك على باراك ويقنعه بصواب هذه الزيارة وأهميتها، وإن كنا نرجح أن الزيارة تمت باتفاق بين السياسيين الإسرائيليين، ففى كل الأحوال فإن النتيجة التى تحققت بالزيارة، وهى نسف الاتفاق المتوقع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، هى نتيجة لمصلحة كل من الليكود والعمل على السواء.

الأربعاء ٢٢/٥/٢٠٠٢ .

والدليل على ذلك هو أن شارون لم يقم بزيارته المشئومة للمسجد الأقصى، كإسرائيلى عادى، إنما ذهب فى حراسة عدد كبير من الجند الإسرائيليين، يقدر عددهم فى بعض الأقوال بما يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف جندى أى أنه ذهب فى مهمة حربية! وقد كان الرئيس مبارك هو أول من لاحظ ذلك، فقد تساءل عن الأسباب التى دفعت حكومة باراك إلى حراسة شارون بنحو ثلاثة آلاف جندى؟.

وعلى كل حال فقد آتت زيارة شارون المشئومة أكلها سريعا لمصلحة إسرائيل، فقد فجرت العالم العربى عامة، والفلسطينيين خاصة، وكان ذلك بداية الانتفاضة الفلسطينية الثانية فى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٠.

ومنذ ذلك الحين كان المجتمع العربى كله، يرقص على أنغام طبول إسرائيل، وكان الفلسطينيون كذلك يرقصون على هذه الطبول!

فقد تحولت الانتفاضة من انتفاضة حجارة، إلى انتفاضة مسلحة، وتفتقت عبقرية الانتفاضة الفلسطينية عن العمليات الاستشهادية، التى تمثل أعظم وأشرف وأنبل ألوان المقاومة الوطنية فى التاريخ.

وفى تلك الأثناء منت الظروف العالمية على إسرائيل بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، التى نقلت الولايات المتحدة فكريا وسياسيا من دولة ديمقراطية إلى دولة شبه نازية، اعتبرت فيه كل ألوان المقاومة الوطنية أعمالا إرهابية وانتهزت الحكومة الإسرائيلية الفرصة، فأدرجت العمليات الاستشهادية فى سلك الأعمال الإرهابية، وقبلت الإدارة

الأمريكية هذ التفسير، واعتبرته بالفعل من الأعمال الإرهابية التى توجه إليها جهودها لاستئصالها من العالم. وساندت إسرائيل فى احتلالها للمدن الضفة الغربية، والتنكيل بسكانها، وإقامة المذابح بين أهلها، ومحاصرة رئيس السلطة الفلسطينية فى غرفتين فى مقر إقامته؛ وبذلك تحولت القضية الفلسطينية من قضية تحرير فلسطين وإقامة دولة مستقلة إلى قضية فك الحصار عن رئيس السلطة الفلسطينية وسحب القوات الإسرائيلية من مدن الضفة الغربية.

وبمعنى آخر أن الحكومة الإسرائيلية تراجعت بالقضية الفلسطينية ليس فقط إلى نقطة البداية، إنما إلى ماقبل نقطة البداية. وكانت أزمة كنيسة المهد إحدى النقاط التى لعبت عليها السياسة الإسرائيلية بخبث، لصرف أنظار الفلسطينيين عن القضية الأساسية إلى هذه القضية الفرعية.

قليل من الحياء يا قناة الجزيرة!

السيد عبد البارى عطوان مناضل فلسطينى/ عراقى شديد البأس، من مناضلى قناة الجزيرة! وهو ضيف مستديم عليها تستطيع أن تشاهده فى أى يوم من أيام الأسبوع يناقش، ويحتد فى المناقشة ويهاجم بشراسة مصر.

ولأنه مناضل فلسطينى متطرف شديد البأس، ونصير للاستشهاديين العظام، فانه يعيش اليوم وأسرته فى أرقى أحياء لندن، حيث يرأس جريدة ممولة تمويلا مشبوها تسمى القدس العربى.

ومن هذا الموقع الآمن فانه دائما يهاجم مصر، لأنها لم تمتشق السلاح ولم تلغ المعاهدة المصرية الإسرائيلية، ولم تعلن الحرب على إسرائيل بسبب عدوانها على الشعب الفلسطينى.

وفى يوم الجمعة ١٧ مايو استضافته قناة الجزيرة ـ كالعادة ـ وأخذ يوجه اتهاماته إلى مصر، ورئيسها، وإلى ولى العهد السعودى. وفى الوقت نفسه فبركت فيه قناة الجزيرة مداخلتين ادعت أنهما من

الخميس ٢٠٠٢/٥/٢٣ .

أمريكا ولندن (ولعلهما من الغرفة المجاورة) هاجمتا الرئيس مبارك هجوما ساقلا، وادعتا بأنه اتفق مع شارون على اجتياح جنين!

وبطبيعة الحال فإن المستمع العادى، وهو الذى يشكل الغالبية الساحقة من مشاهدى القنوات الفضائية، لايدقق كثيرا عندما يتلقى مثل هذه المعلومات، ولايفحصها لمعرفة الغث من الثمين فيها، إنما يتقبلها كأنها حقائق، خصوصا عندما لاتتصدى قناة الجزيرة لإيقاف هذه السفالات والأباطيل والضلالات، وإلزام المتدخلين باحترام القناة واحترام عقل المشاهد، وخصوصا أيضا عندما تكون مثل هذه الأكاذيب والافتراءات على هوى السيد عبد البارى عطوان، لأنها تعزز افتراءاته على مصر.

ولو أن السيد عبد البارى كان يتحدث باسم الفلسطينيين، لغفرنا له هذه الاتهامات، فالمركب الفلسطينى يحفل بكل شئ يمكن تصوره أو عدم تصوره. فهو يحفل بالبطولات العظيمة، والخيانات العظيمة جنبا إلى جنب! وهو يحفل بالوطنية الصادقة والعمالة الصادقة! وهو يحفل أيضا بالاستشهاديين العظام الذين يضحون بأرواحهم من أجل تحرير واستقلال فلسطين، ويحفل أيضا بالمناضلين المزيفين الذين يحاربون من مكاتبهم ومخادعهم فى أرقى أحياء لندن مثل السيد عبد البارى عطوان.

ومن هنا فلا نتعجب كثيرا إذا شاهدنا كل يوم فى برامج قناة الجزيرة صدام حسين فى أحد التترات وهو يتكلم عن الأمة العربية

العظيمة ـ من دون كل زعماء الأمة العربية! ربما لأن صدام حسين هو الذى ذبح الأمة العربية بحربه ضد إيران التى استمرت ثمانى سنوات، وحربه ضد الكويت التى جلبت الأساطيل الأمريكية والإنجليزية إلى منطقة الخليج، ولم تخرج منها إلى الآن.

ونحن لانطلب الكثير من السيد عبد البارى عطوان أو من قناة الجزيرة العزيزة، إنما نطلب فقط قليلا من الحياء، كما نطلب من السيد عبد البارى عطوان شخصيا أن ينقل ميدان نضاله من أحياء لندن الراقية، إلى أحياء جنين ونابلس ورام الله ليقنعنا بشئ من المصداقية لنضاله المزعوم.

ولا حماية للشعب العراقى!

من حق النظام العراقى أن يحتمى بالأمة العربية ضد أى هجوم تشنه عليه الولايات المتحدة وانجلترا! كما أن من حقه أن يستنجد ببعض الدول الأجنبية، مثل فرنسا وروسيا والصين، لحمايته من مثل هذا العدوان.

كذلك من واجب الأمة العربية أن تحمى النظام العراقى من أى عدوان يشنه عليه عدو خارجى، لأن كل عدوان على العراق، إنما هو فى الحقيقة عدوان على الدول العربية جمعاء.

ولكن من حق الشعب العراقى المنكوب بنظام صدام حسين، أن يجد صوتا يدافع عنه، كما أن من حقه أن يجد أمته العربية نصيرا يساعده على التخلص من هذا النظام الغاشم ـ وهو ما لا يجده كما هو مشاهد.

فإذا كان من حق الدول العربية أن تحمى النظام العراقى من عدوان الولايات المتحدة وانجلترا، فمن واجبها أيضا أن تضع شروطا لهذه الحماية، لمصلحة الشعب العراقى، وهى أن يخفف النظام العراقى من قبضته على عنق الشعب العراقى، وأن يستبدل هذا النظام الدموى

الجمعة ٢٠٠٢/٥/٢٤ .

الوحشى نظاما ديمقراطيا يعطى للشعب العراقى الحق فى التمتع بالحرية التى يتمتع بها الكثير من شعوب المنطقة!

إن إعلان الدول العربية مساندتها للنظام العراقى فى وجه أى عدوان خارجى، دون أن تربط هذه المساندة بحماية الشعب العراقى من عدوان هذا النظام الشرس على حريته ومقدراته، معناه - بصريح العبارة - استدامة قبضة النظام على عنق الشعب العراقى، وحرمانه من أية فرصة فى المستقبل للتحرر، ولا يجب التذرع فى ذلك بأن مطالبة النظام العراقى بإقامة نظام ديمقراطى ومنح الشعب العراقى حريته، يعد تدخلا فى الشئون الداخلية العراقية، ولكن هذه مسئولية الدول العربية جمعاء فالشعب العراقى هو شعب عربى، وهو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، ومن حقه أن ينعم بشئ من الحرية والديمقراطية التى حرم منها طوال حكم صدام حسين وزبانيته.

فإذا تعرض النظام العراقى للتهديد والخطر بسبب سياسته الرعناء، واعتداءاته العسكرية على جيرانه المسلمين والعرب مثل إيران والكويت، فانه يكون قد أضعف نفسه بالضرورة، ووضع نفسه فى الموقع الذى يطلب فيه الحماية من الدول العربيةضد العدوان الخارجى. ومن حق الدول العربية فى هذه الحالة أن تنتهز الفرصة، لحماية الشعب العراقى فى مقابل حماية النظام العراقى، ويكون التدخل فى الشئون الداخلية للعراق لحماية الشعب العراقى، له مبرره الأخلاقى، والدينى أيضا، فإذا رفض النظام العراقى مثل هذا التدخل المشروع، فان الدول العربية تكون حرة فى تركه ومصيره، فلعل هذا المصير يجلب الحرية والمستقبل للشعب العراقى.

قمة شرم الشيخ وإنقاذ ما يمكن إنقاذه

مشكلة شعبنا العربى الكبرى ،تتمثل فى أنه يملك أكبر مجموعة من أغبياء المتطرفين ! الذين لا يتقنون غير التهييج ودفع القيادات العربيـة إلى اتخاذ القـرارات الخـاطئـة ، التى تصيب الأمـة العربيـة بنكسات ونكبات .

وفى هذا الصـدد لا ننسـى دور هؤلاء المزايدين فى دفع الرئيس عبد الناصر إلى اتخاذ القرار الخاطئ ، بإغلاق مضيق تيران ، وهو الذى كان ذريعة إسرائيل للضربة الجوية الإسرائيلية على المطارات المصرية فى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ، التى كانت بداية النكسة،التى مازلنا نعانى آثارها إلى اليوم .

هؤلاء المتطرفون الأغبياء والمهيجون لا يعرفون غير شئ واحد ،هو نطح الصخور ! ونطح الحقائق الصلبة بقرونهم .

لم تكد تظهر نتائج اجتماع القمة العربية المصغرة فى شرم الشيخ ، بين الرئيس مبـارك ، والرئيس السـورى بشـار الأسـد ، وولى عـهـد

السبت ٢٠٠٢/٥/٢٥ .

السعودية الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، حتى انطلقت كلاب المزايدين تنبح ، و تنهش فى البيان الذى صدر عن القمة ، يصورونه فى صورة التهاون والتنازل ، ويكيلون التهم لمن أصدروه .

هؤلاء لا يفترقون كثيرا عن السياسى المأفون بنيامين نتنياهو الذى قاد حزب الليكود إلى قرار مأفون مثله ، وهو رفض قيام الدولة الفلسطينية ، حتى أصبحنا أمام هذه المفاجأة الغريبة ،وهى أن شارون الذى كنا نظنه نهاية التطرف، يمثل الوسط الليكودى .

وهكذا يقع العالم العربى بين شقى الرحى ؛أى بين التطرف الإسرائيلى والتطرف العربى !

والسؤال الذى أطرحه على هؤلاء : إننى أستطيع أن أفهم تطرف الليكود إلى الحد الذى يناطح فيه الرأى العام العالمى كله ، وحتى الإدارة الأمريكية ، فإسرائيل تملك الأرض ، وتملك السلاح ، وتملك القنبلة الذرية ، وتستطيع أن تتبجح كما تشاء ، ولكن على أى شئ يستند هؤلاء المزايدون ، الذين هاجموا قمة شرم الشيخ ؟

إن جريمة قمة شرم الشيخ فى نظر هؤلاء المتهوسين هى أنها تتعامل مع الواقع ، ولا تتعامل مع تهويمات المتطرفين ، وشعاراتهم .

وبمعنى آخر أن قمة شرم الشيخ تتعامل مع الواقع الأليم الآتى :

١- عجز جماعات المقاومة الاستشهادية عن تحقيق تقدم فى القضية الفلسطينية ،يفرض على إسرائيل تغيير مواقفها السياسية المتطرفة ·وعلى العكس من ذلك فإن العمليات الاستشهادية قد

استنزفت دم اشرف المناضلين الفلسطينيين وأعظمهم عبر التاريخ. لقد استطاعت وحشية شارون ، وهمجية القوات الإسرائيلية ، أن تغتال عددا هائلا من القيادات الاستشهادية العظيمة ،وهى خسارة فادحة ،لم تكن لتحدث فى ظروف أخرى . وبالتالى يمكن القول إن المقاومة الاستشهادية فقدت الكثير من دمائها فى هذه العمليات .

(يتبع)

قمة شرم الشيخ وإنقاذ ما يمكن إنقاذه (٢)

٢- إن العمليات الاستشهادية فى العمق الإسرائيلى ،والتى كان يرجى أن تضغط جماهيريا على شارون ، وتجبره على الإقلاع عن خطته الإجرامية ، وعلى التنازل السياسى ،فعلت العكس ، فقد زادت من شعبيته حتى ارتفعت إلى ما لم ترتفع إليه من قبل ،بسبب الرفض الإسرائيلى لما أسموه قتل الأبرياء ، وبالتالى فقد زادت قوة الليكود، وزاد التطرف الإسرائيلى بسبب هذه العمليات .

٣- كان من سوء حظ هذه العمليات الاستشهادية ، أنها تمت بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فى نيويورك وواشنطن، التى أحدثت انقلابا جذريا فى العقلية الأمريكية ، وفى السياسة الأمريكية تجاه الإرهاب . فقد استطاعت إسرائيل أن تصور هذه العمليات الاستشهادية فى صورة عمليات إرهابية ، ولم تجد دفاعا قويا من الإعلام العربى ، وكانت تلك أول مرة فى التاريخ يحكم على عمليات مقاومة وطنية بأنها عمليات إرهابية .

الأحد ٢٠٠٢/٥/٢٦ .

وقد ترتب على ذلك تكوين رأى عام عالمى ضد هذه العمليات ، باعتبارها عمليات إرهابية ،تقتل الأبرياء ، وذلك دون النظر إلى أن هؤلاء الأبرياء الذين تقتلهم العمليات الاستشهادية ، إنما هم محتلون يؤيدون حكومتهم التى تنكل بالوطنيين الفلسطينيين .

٤- هذا الرأى العالمى الذى تكون ضد العمليات الاستشهادية باعتبارها عمليات إرهابية ، والذى لم يجد مواجهة فعالة من الإعلام العربى ،كان من شأنها أن تضعف من تأثير هذه العمليات عالميا ، وحتى إسرائيليا ، بل أضعفت من قوة جماعات السلام الآن فى إسرائيل .

كل ذلك أعطى لحكومة شارون دعما غير مسبوق لعملياتها القمعية، التى وصلت إلى حد القيام بعمليات وحشية كتلك التى وقعت فى صابرا وشاتيلا وذلك فى جنين وفى نابلس وغيرهما من مدن الضفة الغربية . وفى ذلك ظهرت حكومة شارون فى عين الإسرائيليين فى مظهر المناهض للإرهاب .

وفى الوقت نفسه كسبت بطولة فى عين الأمريكيين ،الذين مازالوا يعيشون تحت كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ،والذين شجعوا عمليات حكومتهم الوحشية مع الشعب الأفغانى .

فقد أظهرت الحكومة الإسرائيلية عملياتها لقمع المقاومة الاستشهادية فى الصورة التى قامت بها الإدارة الأمريكية ، لقمع ما أسمته بالإرهاب فى أفغانستان .

وعلى هذا النحو ، ولتلك الظروف السابقة ،فشلت عمليات المقاومة الاستشهادية فى تحقيق مكسب سياسى لقضية الدولة الفلسطينية المستقلة ، وإذا كانت قد نجحت فى شئ فهو إعادة احتلال القوات الإسرائيلية لمدن الضفة الغربية وقتل المدنيين فيها ، واصطياد العناصر النشطة للمقاومة ، وتدمير السلطة الفلسطينية وأجهزتها، وقواتها ، وأكثر من ذلك إهانة رئيس السلطة الفلسطينية ، ومحاصرته فى غرفتين .

(يتبع)

الشهيد..والكلاب!

حزنت كثيرا وأنا أرى صورة جثة الرئيس الراحل أنور السادات، وقد مزقتها رصاصات المجرمين، الذين زعموا أنهم يطبقون شريعة الإسلام، فى حين كانوا ينتهكونها ويعتدون عليها اعتداء منكرا.

فلو أنهم قرءوا خطبة الوداع، وقرءوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم...»

ولكنهم قتلوا مسلما عظيما وقائد ومحررا عظيما، قاد أشرف معركة ضد العدو الإسرائيلى، وأدخل الرعب فى قلوب أعداء هذا الوطن، وحقق أول نصر عربى فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى.

لو قرأت هذه الكلاب المسعورة التى قتلت الرئيس الراحل، محاضر لقاءاته مع أركان حربه، وهو يخطط لحرب أكتوبر، التى كانت شبه مستحيلة فى ظل موازين القوى بين مصر وإسرائيل فى ذلك الحين، ويجعل من هزيمة محققة نصرا محققا، ويدمر أمنع خط دفاعى أرضى مائى فى التاريخ فى ست ساعات . لما أقدموا على هذه الجريمة المنكرة.

السبت ٢٠٠٢/٦/١ .

ففى الوقت نفسه الذى كان السادات يخطط لهذا الحرب المجيدة، كانت تلك الكلاب العقورة تقبع فى جحورها تخطط لجريمتها المنكرة. وكل ذلك يمكن تصوره، ولكن الذى يثير الدهشة هو أن هذه الجماعات كانت تتزيى بزى الإسلام، وتطلق لحاها باسم الإسلام، وتزعم أنها تطبق الإسلام وتطبق الشريعة الإسلامية. فأساءت إلى الإسلام، وأساءت إلى مصر وتاريخها، وأساءت إلى القوات المسلحة المصرية.

لم يكن نشر تلك الصورة البشعة عملا صحفيا موفقا، إنما دعت إليه شهوة السبق الصحفى، وهى شهوة قاتلة يمكن أن تملك كل صحفى، وفى بلاد أخرى قد لا يستفز هذا العمل الشعور الوطنى أو الخلاقى، ولكن فى مصر للأموات حرمة، ولذلك فقد استفزت هذه الصورة مشاعرالمصريين، ولم يستثن منهم إلا من شمتوا فى السادات، وابتهجوا لمصرعه، وقد رأينا الكثيرين منهم فى أعقاب الجريمة المنكرة ينبحون نباحا هيستريا فى مصر وفى بلاد عربية أخرى.

بل رأينا فى أثناء محاكمة قتلة السادات، بعض أحقر المحامين فى تاريخ المحاماة المصرى، يتجرأ على السادات الشهيد بأبشع التهم المنكرة، التى ما كان يتجرأ عليهامحام محترم فى بلد متمدن.

لقد أقبل الكلاب على السادات ينهشون جثته، وينهشون عرضه، وينهشون تاريخه. وهم للأسف الشديد يعيشون بيننا دون أن تصبغ وجوههم حمرة الخجل.

من هنا كان حزنى لمشاهدتى صورة السادات مدرجة بالدماء، وإن كان حزنى الأكبر لوجود أمثال هؤلاء الكلاب، يتجولون فى الساحة السياسية المصرية، يتظاهرون بالثورية، ويخونون مصر باسم القومية العربية، ويقتلون أشرف أبناء الوطن باسم الدين الإسلامى الحنيف، وسحقا للتضليل السياسى والدينى الذى أصبح مصدر رزق للكلاب.

حصيلة العمليات الاستشهادية

كما أوضحنا من قبل ، فإن المحصلة النهائية للعمليات الاستشهادية العظيمة الناجحة ، كانت فشلا ذريعا على المستوى السياسى .

ويتضح ذلك من أن القضية الفلسطينية لم تتجمد فقط. بل رجعت إلى الوراء .

فقد أدينت المقاومة الاستشهادية عالميا ، بل أدينت من قبل السلطة الفلسطينية ذاتها ، ثم أدينت على المستوى العربى ، وبذلك حرمت المقاومة الفلسطينية من أهم أدوات الضغط ، وهى المقاومة المسلحة ـ وذلك لأول مرة فى تاريخ حركات المقاومة التحررية ، ثانيا ، أصبحت المطالب الفلسطينية تتركز فى إعادة الحال إلى ما كانت عليه قبل الانتفاضة ،أى سحب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية التى أعيد احتلالها بسبب العمليات الاستشهادية .

وكان مما ترتب على المقاومة الاستشهادية إضعاف السلطة الفلسطينية بدلا من تقويتها ، فقد أخذت الحكومة الإسرائيلية تطالب

الأحد ٢/٦/٢٠٠٢ .

بطرد عرفات من السلطة الفلسطينية وهو الرئيس المنتخب . والبحث عن بديل له. واستطاعت أن تقنع الإدارة الأمريكية بأن تحذو حذوها في هذا الصدد .

كان غرض الحكومة الإسرائيلية الحقيقي ،وهدفها النهائي من ذلك ، هو تدمير السلطة الفلسطينية التي نشأت كنتيجة لاتفاق أوسلو ومؤتمر مدريد .

هذا هو السبب فيما عمدت إليه حكومة شارون من تدمير كل مرافق السلطة الفلسطينية ، وأجهزتها الأمنية والخدمية بل تدمير مقر الرئاسة الفلسطينية.

هذه هي ظروف انعقاد القمة الثلاثية التي يمكن تسميتها قمة إنقاذ ما يمكن إنقاذه وسط هذا الدمار الشامل ، في السلطة الفلسطينية ،وفي البلاد العربية.

فأي شئ - إذن - كان في يد المقاومة الفلسطينية الاستشهادية ، أو في يد السلطة الفلسطينية ، أو في يد القوة العربية أضاعته قمة شرم الشيخ لتستحق عليه هجوم المزايدين ؟

هذا هو السؤال ؟ لقد كان في وسع قمة شرم الشيخ أن تزايد على هؤلاء المزايدين ، فتخرج بقرارات استعراضية تزايد بها على المزايدين ، وتستحق بذلك تصفيق جبهة الصمود والتصدي الجديدة ، ولكنها في الوقت نفسه تقضي على ما بقي من أمل في إنقاذ الفلسطينيين من المؤامرة الهائلة التي تطبق عليهم من كل جانب ، ولكنها استجابت

للداعي القومي الذي يشخص بأبصاره إلى مستقبل هذه الأمة ،وإلى مستقبل القضية الفلسطينية .

ولعلنا هنا نذكّر بكلمة كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الخالدة «إن ثورية الكلام إذا لم تسندها قوة فعلية تكون خيانة » .

لغز أسامة بن لادن!

أخشى أن قضية أسامة بن لادن سوف تجعلنى أعيد النظر فى إمكانية كتابة التاريخ المعاصر! منذ تسعة أشهر تقريبا كان أسامة بن لادن هو حديث العالم كله من مشرقه إلى مغربه ، ومن شماله إلى جنوبه، ولم يكن يخلو من ذكر اسمه برنامج تليفزيونى أو قناة فضائية أو صحيفة من صحف العالم ، حتى إننى كتبت مقالا أسخر فيه من هذه الظاهرة ،تحت عنوان "أغار من أسامة بن لادن".

وأسامة بن لادن كان معروفا من قبل الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ولكن اسمه قفز إلى السطح بشكل مرضى عندما تسرع الرئيس الأمريكى بوش باتهامه فى أعقاب تفجيرات نيويورك وواشنطن ، بأنه مرتكب هذه الأحداث ، ووعد بأن الولايات المتحدة لن يقر لها قرار حتى تعتقله فى أى مكان على ظهر الأرض ،وتقدمه للمحاكمة .

ولما كانت حكومة طالبان فى أفغانستان هى مقر أسامة بن لادن ، فقد جيشت الولايات المتحدة الجيوش ، وأعدت الأساطيل الجوية

الأحد ٢٠٠٢/٦/٩ .

الحربية الأمريكية ،كما استعانت بالأسطول الجوى البريطانى ،وأخذت تهدد حكومة طالبان بتسليم أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ،أو تتعرض لهجوم كاسح عليها.

فى ذلك الحين لم تتهم الإدارة الأمريكية حكومة طالبان بارتكاب أحداث ١١ سبتمبر ، وإنما اتهمت أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة فقط بارتكاب الأحداث ، ووعدت بأنه عندما تسلم حكومة طالبان أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة للإدارة الأمريكية ،فان أفغانستان سوف تنجو من العقاب.

كان معروفا أن حكومة طالبان هى صنيعه للولايات المتحدة ،منذ مقاومتها للغزو السوفيتى لأفغانستان ،ولذلك لم توجه إليها الإدارة الأمريكية أى اتهام بارتكاب الحادث ، وإنما كان الاتهام الوحيد لها هو إيواء أسامة بن لادن ،ومن هنا انحصرت مطالب الإدارة الأمريكية فى تسليم حكومة طالبان أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ،فإذا فعلت ذلك انتهى النزاع بينها وبين الحكومة الأمريكية.

على أن حكومة طالبان لم تستجب لمطالب الإدارة الأمريكية لسبب بسيط ،هو أنها كانت واقعة فى قبضة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، ولم يكن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة فى قبضتها ، ومن هنا تعذر على حكومة طالبان الاستجابة لطلب الولايات المتحدة ، وترتب على ذلك الهجوم الأمريكى الإنجليزى على أفغانستان كما هو معروف، وتغير موقف الإدارة الأمريكية من حكومة طالبان ، فقد مدت اتهامها

لأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة إلى حكومة طالبان ، ولم تعد تطالب بتسليم أسامة بن لادن وحده ، وإنما أخذت تطالب أيضا بتسليم الملا عمر ، وكان هذا هو الموقف حتى انتهاء الحرب في أفغانستان .

وهنا اختفى فجأة مطلب تسليم أسامة بن لادن والملا عمر ، على الرغم من أن أفغانستان كلها أصبحت في قبضة الولايات المتحدة ، وفي قبضة جيوشها ،حتى بدا كأن أسامة بن لادن كان شبحا من الأشباح ولم يكن له وجود على ظهر الأرض .

وهو أمر غريب وغير مسبوق لأنه إذا كانت الولايات المتحدة تؤمن حقا بأن أسامة بن لادن هو مرتكب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، فكيف تسقطه من أولوياتها بعد أن كان هو المطلب الشعبي والحكومي الأمريكي الأول .

لغز أسامة بن لادن (٢)

كتابة التاريخ المعاصر من الموضوعات التى كانت ترفضها اللجان العلمية فى الجامعات ، كموضوعات للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، تحت ذريعة أن وثائق الحدث التاريخى لا تكون قد اكتملت بعد ، فهى تحتاج إلى وقت طويل حتى تكتمل ،وعندئذ يمكن كتابة الحدث التاريخى .

وقد كانت هذه الحجة هى التى سيقت فى الاعتراض على تسجيل رسالتى للماجستير عن تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٣٦، وأن دار الوثائق البريطانية لا تبيح نشر الوثائق قبل خمسين عاما .

وقد أمكن التغلب على هذه الاعتراضات عن طريق القول بان هذه الحجة لا تمنع المؤرخين الأجانب من كتابة تاريخ مصر المعاصر ثم يستخدم المؤرخون المصريون هذه الكتابات كمراجع يبنون عليها دراساتهم التاريخية .

الأثنين ٢٠٠٢/٦/١٠ .

كنت من أشد المتحمسين لكتابة التاريخ المعاصر ! وكانت حجتى أن المعول فى كتابة التاريخ ليس هو الزمن وإنما هى الوثائق ! فقد يمضى على الحدث التاريخى ألف عام دون أن يكتب لسبب بسيط هو أن وثائقه اندثرت ، أو لم تظهر ، أو خفيت لسبب ما .

ومن هنا فإذا اكتملت وثائق الحدث التاريخى فانه يمكن كتابته بمجرد اكتمالها ، حتى ولو مضى على اكتمالها خمسة أعوام وليس خمسين عاما !

كذلك كان من الحجج التى أتذرع بها أن وثائق الأحداث لا تظهر كلها مرة واحدة ، فقد تكتمل وثائق حدث من الأحداث فى فترة وجيزة جدا ، ويتأخر اكتمال وثائق الأحداث الأخرى لوقت طويل .

ومن هنا فإذا أمكن للمؤرخ ، بجهده الدءوب ومهاراته الخاصة ، وبحثه عن الوثائق فى كافة مواطنها ، أن يستكمل وثائق حدث من الأحداث ، فانه يمكنه كتابة هذا الحدث .

وكانت المشكلة فى تحديد ماهية الوثيقة ؟ هل هى الوثيقة الأرشيفية الموجودة فى دور الوثائق الرسمية ، فى بلاد العالم المختلفة ، أو هى كل أصل ، مثل مذكرات السياسيين والزعماء ومضابط البرلمان، وخطب الحكام والسياسيين وتصريحاتهم المنشورة ، وغير ذلك من بقايا الحدث التاريخى .

ثم إن الصحف اليومية مصدر مهم جدا من مصادر التاريخ ! إذ هى مستودع لكل الأحداث والتقارير الصحفية وروايات شهود العيان ،

والتصريحات التى يدلى بها الحكام و الوزراء ورؤساء الأحزاب والسياسيين على اختلاف أهوائهم واتجاهاتهم الحزبية. وكل هذه المادة الخام التى ترسم صورة الحدث التاريخى تعتبر وثائق .

ثم إن الوثيقة أيان كان نوعها ، وسواء كانت وثيقة رسمية أرشيفية أو وثيقة تاريخية ، لا يقبلها المؤرخ على علاتها ، وإنما يفحصها فحصا علميا ،ويعرضها على غيرها من الوثائق حتى يقبلها أو يرفضها كمصدر التاريخى للحدث الذى يحققه .

وعلى هذا الأساس ،فانه لا يوجد ما يمنع من كتابة الحدث التاريخى إذا اكتملت وثائقه ـ بالمعنى سالف الذكر ـ فى أى وقت من الأوقات .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما هو الحال بخصوص أسامة بن لادن؟

لغز أسامة بن لادن (٣)

قلنا إن التاريخ يمكن كتابته إذا اكتملت وثائقه ، ويستوى فى ذلك التاريخ المعاصر والتاريخ الوسيط أو القديم . وربما كانت كتابة التاريخ المعاصر أقرب إلى التحقيق ، من التاريخ الوسيط أو القديم ،وذلك بسبب الكم الهائل من المعلومات التى تصدر فور وقوع الحدث التاريخى، بفضل نشاط وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، والتى تفوق كل ما كان يحدث فى زمن مضى .

وبالنسبة لأسامة بن لادن ، فلو أن المؤرخين اعتمدوا على المعلومات التى صدرت فى أعقاب وقوع أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، لصدر تاريخهم مزيفا . فقد أجمعت كل المصادر التى صدرت فى ذلك الحين على أن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة هو مرتكب تفجيرات نيويورك وواشنطن . وبناء على هذا التصوير جرى غزو أفغانستان .

ولكن ما كاد ينتهى غزو أفغانستان ويتم القضاء على طالبان ، وتأسيس حكومة ديمقراطية ، حتى تبين أن حجة أسامة بن لادن

الجمعة ٢٠٠٢/٦/١٤ .

وتنظيم القاعدة ليست هي السبب في غزو أفغانستان ،وإنما السبب الأساسي هو وصول الولايات المتحدة إلى بترول بحر قزوين ،والسيطرة عليه. وأن أمر غزو أفغانستان يشبه لحد كبير أمر غزو العراق في حرب تحرير الكويت !

فقد تبين أن تحرير الكويت لم يكن هو الهدف الأول للولايات المتحدة ، وإنما كان الهدف الأول هو السيطرة على بترول الخليج !

وهو ما تم بالفعل ! فقد دخلت القوات الأمريكية دول الخليج لتبقى ، وليس لتخرج بعد تحرير الكويت ! وأما العراق فانه أصبح منذ ذلك الحين تحت السيطرة التامة للولايات المتحدة ، تقصفه وقتما تشاء وتغير على مدنه كما تشاء، وتحدد تسليحه كما تشاء ، بعد أن كان العراق في منعة من ذلك كله بسبب قوته الحربية المتفوقة .

ومن هنا أصبح السؤال :هل كان الاجتياح العراقي للكويت بسبب خطأ وقع فيه النظام العراقي ، أو انه سيق إليه وفق مخطط استعماري وإمبريالي واسع النطاق ،أعدته عقول الولايات المتحدة المفكرة ، للسيطرة على بترول الخليج ؟

إذا كان الأمر كذلك ،فان كل ما كتب عن الغزو العراقي للكويت ،وحرب تحرير الكويت ، يكون عملا ناقصا لم يكتمل من الناحية التاريخية ، وعليه أن ينتظر سنوات تقصر أو تطول حتى تظهر من الوثائق الرسمية ما يحسم هذه القضية !

والأمر كذلك فيما يتصل بأسامة بن لادن والحرب الأفغانية ! فهل السبب الأساسي في هذه الحرب هو أسامة بن لادن بالذات وتنظيم القاعدة ، أو أن السبب الأساسي هو الوصول إلى بترول بحر قزوين ، والاقتراب من الاتحاد السوفيتي السابق ؟

وإذا كان السبب الأخير هو السبب الحقيقي ، فمن الذي أرتكب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ؟ هل هو أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ؟ أو هو أي أحد آخر من داخل الولايات المتحدة ، وجرى اتهام أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة خصيصا ، لتنفيذ مخطط الولايات المتحدة للوصول إلى بترول بحر قزوين ؟

وفي هذه الحالة من هو مرتكب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١؟ انه إذا كان أسامة بن لادن مدبر هذه الأحداث ، فلماذا اختفى اسمه فجأة من الأحداث ، وتراخت إرادة الولايات المتحدة في القبض عليه كما توعدت وهددت ،وتقديمه للمحاكمة ؟

وما هو الدور الحقيقي لأسامة بن لادن في تحقيق هدف الولايات المتحدة في الوصول إلى بترول بحر قزوين ؟ هل هو نفس الدور الذي قام به صدام حسين في تحقيق هدف الولايات المتحدة السيطرة على بترول الخليج ؟

هذا الكلام كّله معناه ،أنه سوف يمضى وقت طويل قبل أن يكتب تاريخ حرب تحرير الكويت، أو أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ و الغزو الأمريكي لأفغانستان !

درس عبدالرحمن عزام!

هناك كلمة مأثورة لعبد الرحمن عزام باشا ، أول أمين عام لجامعة الدول العربية ، عندما سئل بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ : كيف تهزم خمس دول عربية أمام دولة واحدة هى إسرائيل؟ فقد أجاب بقوله: لأنها خمس دول !

وهذا التشخيص لأسباب هزيمة الدول العربية أمام إسرائيل فى حرب فلسطين ، يمكن اعتباره تشخيصا لموقف البلاد العربية اليوم أمام إسرائيل ، مع فارق وحيد هو أن عدد الدول العربية ارتفع عدة أضعاف عما كان عليه سنة ١٩٤٨!!

فمن ينظر إلى عالمنا العربى اليوم سوف يكتشف اكتشافا مهما ، وهو أن عدد الحروب العربية العربية ، يفوق بكثير عدد الحروب العربية الإسرائيلية! وانه لو وحدت الدول العربية إمكاناتها العسكرية والاقتصادية لمحاربة إسرائيل، لما وصلت إسرائيل إلى القوة العسكرية والاقتصادية التى تملكها اليوم ! .

الأثنين ٢٠٠٢/٦/١٧ .

وفى الوقت نفسه سوف يكتشف القارئ أن هذا الانقسام وهذه الفرقة بين البلاد العربية ، تعكس الوضع داخل المقاومة الفلسطينية!

فعلى طول حياة المقاومة الفلسطينية، منذ قيامها بعد هزيمة يونية ١٩٦٧ ، كانت دائما فى حالة انقسام وتفرق ونزاع وخصام وخلاف حول كل شئ : حول الفكر النضالى ، وحول الوسائل النضالية، وحول الزعامات القيادية وغيرها .

وقد استمر هذا حتى اليوم ! على الرغم مما ترتب على ذلك من انتكاسات وتراجعات فى القضية الفلسطينية .

فيظهر غياب التنسيق اليوم بين الفريق الاستشهادى وفريق السلطة الفلسطينية ،عندما يحرص الفريق الاستشهادى على أن يهدى إسرائيل هدية ثمينة فى كل مرة تلوح فيها بوادر تقدم سياسى فى القضية الفلسطينية ! إذ يختار هذا الوقت بالذات لكى يقوم بعملية استشهادية داخل العمق الإسرائيلى ،يقتل فيها عددا من الإسرائيليين، ويجرح عدد آخر ،فتقوم قائمة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، التى تعتبر هذا الكفاح الوطنى إرهابا. و بذلك تتعزز وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية ، وتجد لها المبررات لعمليات القمع البشعة التى تقوم بها فى المدن الفلسطينية ، ويترتب عليها قتل عدد كبير من الفلسطينيين الأبرياء .

وهكذا يقابل القتل من جهة المقاومة الاستشهادية بقتل مماثل، وتخريب ودمار من جانب الحكومة الإسرائيلية ، ولا تتقدم القضية الفلسطينية قيد أنملة ، وإنما تتراجع إلى الوراء .

عودة إلى مسرحية ضرب العراق

أتابع المهزلة التى تقوم بها الولايات المتحدة بالتهديد بضرب العراق ، والجهود التى تبذلها البلاد العربية والأوروبية لمنع ضرب العراق ،وهى تمثيلية هزيلة ! لأن أى متفهم للموقف فى الخليج يعلم جيدا أنه لا يوجد سبب واحد لدى الولايات المتحدة لضرب العراق ، فالوجود الأمريكى فى الخليج إنما هو بفضل وجود النظام العراقى ، جاثما على صدر الشعب العراقى .

لقد كان أمام الولايات المتحدة فرصة واحدة لضرب النظام العراقى وتصفيته عندما انتهت حرب تحرير الكويت بطرد قوات صدام حسين من الكويت ، ولكن بوش الأب أدرك أن القضاء على النظام العراقى سوف لا يفيد الولايات المتحدة فى شئ ، وإنما هو يفيد فقط الكويت ودول الخليج ! لأنه ينزع التهديد والخطر الذى يهددها من النظام العراقى ، وبالتالى يحرم الولايات المتحدة والغرب من إبقاء قوات فى المنطقة لحماية دول الخليج من رعونة وبطش النظام العراقى .

السبت ٢٠٠٢/٨/٣١ .

ومنذ ذلك الحين لم يكف النظام العراقى أبدا عن تكرار تهديده للكويت ، وترديد مزاعمه عن تبعيتها للعراق ، ولم يكن فى وسع الكويت إلا أن تستبقى القوات الأمريكية الموجودة بها لحمايتها من ضربة مفاجئة يقوم بها هذا النظام الباغى .

وعندما كان النظام العراقى يشاكس ويمضى فى صناعة الأسلحة غير التقليدية ،كانت الولايات المتحدة تكتفى بمعاقبة الشعب العراقى دون أن تمس شعرة واحدة من النظام العراقى .

ونلاحظ انه فى كل الاعتداءات الأمريكية على العراق منذ انتهاء حرب تحرير الكويت وحتى اليوم ، لم تمس قنبلة منها رأس أحد من قادة النظام العراقى ،ولم تنسف قصرا واحدا من قصور صدام حسين ، وإنما كان الاعتداء دائما يقع على الجماهير العراقية ،وعلى الشعب العراقى !

عداء الولايات المتحدة للنظام العراقى – إذن - انتهى بانتهاء حرب تحرير الكويت .

بل ربما كان قبل ذلك !فهناك أدلة كثيرة على أن الولايات المتحدة هى التى ورطت النظام العراقى فى العدوان على الكويت ! ومن الثابت فى كل الأحوال أن الولايات المتحدة هى التى أعطت الضوء الأخضر للنظام العراقى لضرب الكويت ! لأنها تعرف أن ضرب الكويت سوف يفجر المنطقة ، وسوف يقسم البلاد العربية فلا تجد مفرا من الاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية ،وعندئذ تسنح الفرصة للولايات

المتحدة للعودة للمنطقة العربية ، ويسمح للنظام الاستعمارى بالعودة إلى المنطقة وهو ما حدث تماما.

بل هناك أدلة على أن النظام العراقى كان يستفز الولايات المتحدة لاستخدام القوة لتحرير الكويت ،ليس خافيا علينا فى هذا الصدد كيف أبقى صدام حسين جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية مركونا دون أن يقابله ،عندما قدم لمحاولة فك الأزمة بالطرق السلمية، وكانت تلك إهانة كبرى وجهها صدام حسين للولايات المتحدة !

عودة إلى مسرحية ضرب العراق (٢)

إن استفزاز النظام العراقى للولايات المتحدة وللنظام العالمى كله أثناء احتلاله للكويت ،هو أمر ثابت لا يحتاج لدليل ولا يوجد مبرر له على الإطلاق ! فالنظام العراقى يعرف جيدا انه لا يملك القوة التى تمكنه من هزيمة قوات نحو ٣٣ دولة ،ولكنه فعل ذلك !

وقد كان فى وسع الولايات المتحدة القضاء على النظام العراقى ، فور تحرير الكويت ،ولكن بوش الأب ـ وهو ليس أقل سوءا من بوش الابن ! – تراجع فى اللحظات الأخيرة وأبقى على النظام العراقى ،ليكون بمثابة "خيال مآتة" يرهب به دول الخليج ،ويدعوها لاستبقاء القوات الأمريكية فى المنطقة .

ومنذ ذلك الحين انفتحت ستائر المسرح عن مسرحية جديدة ،قوامها التعاون بين النظام العراقى والولايات المتحدة !

فقد أستمر النظام العراقى فى صنع الأسلحة غير التقليدية ،وهو يعلم انه لن يستطيع استخدامها بحال من الأحوال بعد هزيمته المرة

الأثنين ٢٠٠٢/٩/٢٠ .

فى حرب تحرير الكويت ، وكان بوسع الولايات المتحدة إسقاط هذا النظام جزاء تحديه للمجتمع الدولى بصنع الأسلحة غير التقليدية ، ولكن الولايات المتحدة كانت تعرف أن الأسلحة غير التقليدية لم تستخدم أبدا ضد إسرائيل ! وإنما كانت تستخدم فى الاستهلاك المحلى لكى يكتسب النظام العراقى من ورائها سمعة النضال العربى.

وكان رد الفعل الأمريكى لاستمرار النظام العراقى باستمرار صنع الأسلحة الغير تقليدية ،هى ضرب الشعب العراقى وإرسال طائراته للاعتداء عليه بحجة معاقبة النظام العراقى ، مع ما هو معروف من أن هناك فرق كبير بين الشعب العراقى والنظام العراقى.

فالنظام العراقى فى حماية دائمة ، والشعب العراقى هو المستباح للطائرات الأمريكية .

ومن هنا يمكننا أن نفهم المسرحية الجديدة التى تقوم بها الولايات المتحدة ، والتى تهدد فيها بضرب العراق ! فلا يوجد سبب واحد لضرب العراق ، خصوصا إذا عرفنا أن السبب الذى تعلنه هو الدفاع عن الشعب العراقى المطحون تحت نظام صدام حسين !

فمنذ متى كانت الولايات المتحدة تخوض الحروب ضد النظم الديكتاتورية لتحرير الشعوب من الحكم الاستبدادى ؟

لم يحدث أبدا أن خاضت الولايات المتحدة حرباً للدفاع عن الديمقراطية! حتى أثناء الحرب العالمية الثانية فان الولايات المتحدة لم

تخض الحرب ضد النازية والفاشية ،إلا بعد أن هاجمت الطائرات اليابانية بيرل هاربر.

فالولايات المتحدة لا تخوض الحروب من أجل مصلحة الشعوب وتحريرها من الاستبداد والديكتاتورية ، وإنما من أجل مصلحتها وإرساء نظامها الاستعمارى العالمى .

(يتبع)

عودة إلى مسرحية ضرب العراق (٢)

استمرارا لما تناولناه فى المقالين السابقين عن المسرحية التى تقوم بها الولايات المتحدة حاليا التى تهدد فيها بضرب العراق ، فلعله اتضح لنا هذه الحقيقة الناصعة البياض، وهى أن الوجود الأمريكى فى منطقة الخليج إنما يستند بالدرجة الأولى إلى وجود صدام حسين ونظامه فى العراق .

وهذا يكشف لنا بعد آخر للمسرحية الأمريكية، والذى يتمثل فى أن الولايات المتحدة إنما تقوم بهذه المسرحية لتعزيز النظام العراقى وتثبيت أقدامه جاثما على صدر الشعب العراقى واستجلاب التأييد له عربيا وعالميا، ذلك أن تهديدها بضرب العراق يدفع البلاد العربية بالضرورة إلى إعلان اعتراضها على ضرب العراق ، خصوصا وهى تعلم أن الضرب سيقع على الشعب العراقى ـ كالعادة ـ وليس على النظام العراقى ، وبمعنى آخر تعزيز سلطة النظام العراقى فوق الشعب العراقى ، وتشديد قبضته فوق عنق الشعب العراقى ، بحصوله على

الثلاثاء ٣ش/٩/٢٠٠٢ .

تأييد كافة النظم العربية التى تعترض على المساس بشعرة واحدة من رأسه. فأى تعزيز للنظام العراقى أقوى من ذلك ؟

ثم إن الولايات المتحدة تعرف أن ضرب العراق ليس كضرب أى بلد آخر فى العالم فضرب العراق سوف يكلفها غاليا ، وسوف يدفع المنطقة إلى هوة ليس لها قرار. فإذا فعلت الولايات المتحدة ذلك فانه سيكون لها أسبابها الأخرى التى ليس منها بحال من الأحوال إنقاذ الشعب العراقى من الحكم الديكتاتورى ، الذى يفرضه عليه صدام حسين .

لقد قيل فى التقديرات الأولية لمثل هذه الحرب التى تهدد الولايات المتحدة بشنها ،قيل إن هذه الحرب سوف تتكلف نحو خمسمائة مليار دولار ! فمن الذى سوف يدفع الخمسمائة مليار دولار ؟ إنه على وجه التحقيق لن يكون الشعب الأمريكى ، فالشعب الأمريكى لم يتكلف مليما واحدا فى حرب تحرير الكويت ، وإنما استفاد من هذه الحرب فى تحسين أوضاع الاقتصاد الأمريكى ، حتى شهد من الازدهار بعد ذلك ما لم يشهده من قبل ! ولا شك انه يوجد لدى دول الخليج ما يدفعها إلى التضحية لإسقاط النظام العراقى ، ولكن هذه التضحية لا يمكن أن تصل إلى خمسمائة مليار دولار الأن دول الخليج اليوم بعد استنزاف الولايات المتحدة لثرواتها لم يعد لديها ما تستطيع أن تضحى به على هذا النحو الكبير لضرب العراق .

عودة إلى مسرحية ضرب العراق (٤)

انتهينا إلى أن الهدف الأساسى من المسرحية التى تقوم بها لضرب العراق ، ليس هو إسقاط النظام العراقى ، وإنما هو تعزيزه وتثبيت أقدامه ،وتكتيل الجهود العربية والدولية لمساندته واستبقائه. وقد انتهينا إلى السؤال عن من الذى سوف يتحمل نفقات هذه الحرب التى قدرت المصادر تكليفها بخمسمائة مليار دولار ؟

إنه يكون من الاستخفاف بالعقول تصور أن الشعب الأمريكى سوف يدفع تكاليف هذه الحرب ! فالشعب الأمريكى يستفيد من هذه الحروب ، ولا يدفع ثمنها ! وإنما يدفع الآخرون ثمنها وفى الغالب فأن الضحايا أنفسهم هم الذين يدفعون ثمنها !

ومن الذى سوف يحارب ؟ هل سيحارب الجنود الأمريكيون ؟ أو سيحارب أهل البلاد المعنية ؟ هذه قضية مهمة جدا ! لأننا رأينا الولايات المتحدة فى أفغانستان قامت بتحريك قوى المعارضة الأفغانية ضد نظام طالبان ، واكتفت هى بالقصف الجوى من علو شاهق لوتولى

الأربعاء ٢٠٠٢/٩/٤ .

أهل المنطقة أنفسهم مهمة قتال بعضهم البعض لصالح الولايات المتحدة، وفى خدمة أهدافها! (حتى أننا لم نعد نسمع عن أسامة بن لادن الذى صورته الإدارة الأمريكية فى صورة العدو الأول لأمريكا) وأفغانستان ليست شعبا موحدا ، وإنما هى مجموعة من القبائل والمصالح التى استخدمتها الولايات المتحدة للقتال نيابة عنها !

و هذا الكلام لا ينطبق على العراق ، فالشعب العراقى لن يحارب النظام العراقى! لأن النظام العراقى استطاع فى خلال حكمه أن يستأنس الشعب العراقى ، وأن ينتزع منه كل الخصائص القتالية التى كانت تميزه فيما مضى ! لم يبق إلا الاستعانة بالشيعة ضد السنة ، والاستعانة بالأكراد ضد العراقيين ! ولكن هذه القوى كلها ليست كافية لحمل عبء القتال ضد النظام العراقى .

ومن هنا فمن الواضح أن المسرحية التى تخرجها الولايات المتحدة اليوم تحت عنوان ضرب النظام العراقى، إنما الغرض الأساسى منها هو تثبيت النظام العراقى، وليس اقتلاعه! واستجلاب التأييد له من البلاد العربية التى خاضت ضده الحرب فى حرب تحرير الكويت مثل مصر والمملكة العربية السعودية . هذا فضلا عن استجلاب تأييد القوى الدولية الكبرى مثل فرنسا وروسيا والصين وغيرها من الدول .

ومن هنا علينا أن نطمئن الساسة الذين يتوجسون خيفة من ضرب الولايات المتحدة للعراق ، أن مثل هذا الضرب لن يحدث على الإطلاق! لسبب بسيط هو أن وجود النظام العراقى هو لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية ،وليس لمصلحة الشعب العراقى أو أى شعب عربى .

لقد كان لدى البلاد العربية فرصة واحدة فقط لضرب النظام العراقى عندما قام باجتياح الكويت ، لو إنها تكاتفت وأعلنت أنها سوف تواجه العدوان على الكويت بالقوة المسلحة العربية ، كان يمكن للشعب العراقى ـ عندئذ ـ أن يثور على النظام العراقى للتخلص من جبروته وديكتاتوريته ومغامراته العسكرية التى بدأت بالحرب ضد إيران وتحولت بالحرب ضد الكويت ، وهو ما طالب به الرئيس مبارك فى ذلك الحين ،ولكن الفرصة أفلتت ، ووقع الأمر فى يد الولايات المتحدة، وما زال فى يدها حتى لحظة كتابة هذه السطور!

عودة إلى مسرحية ضرب العراق (٥)

قبل غزو النظام العراقى للكويت فى أول أغسطس سنة ١٩٩٠، لم تكن الولايات المتحدة تجرؤ على التلويح بضرب العراق، أو خلع النظام العراقى من الحكم! بل إنها حتى لم تكن تجرؤ على مطالبة النظام العراقى بالكف عن صنع الأسلحة غير التقليدية، على الرغم من أنها كانت تعرف أنه كان يصنعها!

بل إنها لم تكن تجرؤ على مطالبة النظام العراقى بوجود خبراء من الأمم المتحدة لمراقبة صنع الأسلحة غير التقليدية!

كان العراق فى ذلك الحين قوة مهابة تحسب لصالح القوة العربية، وكان الكثيرون يرون فى صدام حسين صورة من صلاح الدين، على الرغم من أنه لم يسبق له أن حارب من أجل قضية عربية أو إسلامية، وإنما كان على الدوام حربا ضد الإسلام والعرب.

وعندما قام النظام العراقى بالتهديد بغزو الكويت، قدمت له تحذيرات من الوقوع فى هذه الجريمة، ونوشد باسم العروبة والإسلام

السبت ٢٠٠٢/٩/٧ .

ألا يعتدى على بلد عربى مسلم. وعندما تضرب بهذه التحذيرات عرض الحائط، وقام بمغامرته الحمقاء، ناشده الرئيس مبارك والزعماء العرب الانسحاب من، الكويت، ولكنه أصر على الجريمة. وقد ناشده المجتمع الدولى كله ألا يسقط النظام الحاكم فى الكويت، ...افظ على الشرعية الدولية والوضع الدولى للكويت، ولكنه ا...ان بكل ذلك وألغى النظام الحاكم فى الكويت تكلية، بل ألغى وجودها الدولى، واعتبرها جزء من العراق، أو محافظة من محافظاته وأعطاها رقم (١٩)!

وها هو النظام العراقى اليوم يمر بنفس التجربة القاسية، فتقوم الولايات المتحدة الأمريكية بالتهديد بإسقاطه! وتسارع الدول العربية وعلى رأسها مصر بالاعتراض على التدخل الأمريكى!

وقد سبق لنا أنى قلنا إننا ندافع عن الشعب العراقى، ولا ندافع عن النظام العراقى، ولكن النظام العراقى اليوم يكتسب قوة ودعمًا من البلاد العربية، ومن أوروبا! لكى يبقى راكزا فوق صدر الشعب العراقى، وقابضا على عنقه!

والقضية تبدو مثيرة للجدل، فما هو المقصود بالدفاع عن العراقى والاعتراض على ضربه؟ هل المقصود الدفاع عن الشعب العراقى؟ أو الدفاع عن النظام بالعراقى؟

من الواضح مما يجرى على مسرح الأحداث أن المقصود هو الدفاع عن النظام العراقى! وليس عن الشعب العراقى، بدليل أن الولايات

المتحدة في خضم تهديداتها ضد النظام العراقي قامت طائراتها بالاعتداء على الشعب العراقي، ولم يثر هذا العدوان أحدا، بل استقبلته الأمة العربية بتسليم واستسلام كما تعودت أن تستقبله على مدى السنوات الاثنى عشرة الماضية!

وهذا يعني بوضوح أن الاعتراضات الحالية على ضرب العراق، هي اعتراضات على ضرب النظام العراقي، وليس على ضرب الشعب العراقي، بدليل أن الشعب العراقي يضرب حتى الأسبوع الماضي دون أن يثير ذلك اعتراض أحد!

أليس معنى ذلك أن الهدف الوحيد الذي حققته الولايات المتحدة هو تعزيز النظام العراقي، والدفاع عنه، ولا يتصل الأمر بالشعب العراقي في كثير أو قليل؟

وسوف نرى أن ما تقوم به الولايات المتحدة حاليا لم يكن أكثر من مناورة للوصول إلى هذه النتيجة بالذات، وهي تعزيز النظام العراقي! الذي أصبح وجوده مرتبطا بالوجود الأمريكي في منطقة الخليج.

ومن هنا فلا ينبغي لأحد أن يأسى على النظام العراقي، أو يخشى عليه من أي شيء!

بعد مرور عام على الحادى عشر من سبتمبر!

بحلول يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ ، يكون قد مر عام على أحداث سبتمبر ٢٠٠١، فى نيويورك وواشنطن.

وهو أطول عام فى التاريخ الحديث كله ! لأنه كان فاصلا بين عصر وعصر :عصر كانت الديمقراطية الليبرالية قد استقرت فى أمريكا وأوروبا بعد نضال طويل من القوى الديمقراطية استمر ٣٠٠ عام ، وتوج بنوع من الديمقراطية الليبرالية كان مفخرة للإنسانية .

أما العصر الثانى الذى أسفر عنه يوم ١١ سبتمبر ،هو العصر الحالى الذى اختفت فيه الديمقراطية الليبرالية ، ويبرز مكانها نوع مما أطلقنا عليه اسم النازية الجديدة ! ويختفى فيه شكل الليبرالية القديمة ، ويبرز مكانه شكل مشوه يجمع بين مساوئ النازية ،ومساوئ الليبرالية !

كان أهم ما تمخض عنه يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، هو ارتقاء الولايات المتحدة الأمريكية عرش العالم دون منازع ، بعد أن أصبحت هى القوة

السبت ٢٠٠٢/٩/١١ .

العالمية الوحيدة التى تسيطر على الكون ،والتى لم تعد أمامها قوة منافسة أخرى .

ونظرا لأن هذه النتيجة كان من المتعذر ،بل ومن المستحيل ، التوصل إليها بدون أحداث يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فقد كان ذلك ما دعا الكثيرين فى العالم إلى الشك فى أن حادث يوم ١١ سبتمبر كان مدبراً ،وكانت تدبره الإدارة الأمريكية! وقد تبين فيما بعد معلومات تشير إلى أن الرئيس بوش كان يعلم مسبقا بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وانه لم يحرك ساكنا ! وقد أساءت هذه المعلومات بالفعل إلى الرئيس الأمريكى فى حينه ، وتغلب عليها الإعلام الأمريكى.

وفى الوقت نفسه ،فما زال يعزز وجهة النظر هذه ،أن أسامة بن لادن لم يتعرض لأى أذى من جانب الولايات المتحدة منذ ذلك الحين، على الرغم من أنها تحتل أفغانستان ،وعلى الرغم من أنها كانت تعلن فى أعقاب أحداث يوم ١١ سبتمبر أن هدفها الأول من دخول أفغانستان، هو اعتقال أسامة بن لادن ،وتقديمه للمحاكمة. ولكن شئ من ذلك لم يحدث حتى اليوم ، فى حين حصلت كل التداعيات التى أوردناها ، والتى نقلت العالم من النظام الليبرالى، إلى النظام شبه نازى!

والسؤال الذى نطرحه اليوم بعد مرور عام على يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وتداعياته: إلى أى حد يمكن اعتبار هذا اليوم نتيجة أحداث أمريكية مدبرة ، وإلى أى حد يمكن تبرئة الولايات المتحدة من صنع هذا اليوم .

إن الذين يبرؤن الإدارة الأمريكية يستندون إلى حجم الضحايا ، وإلى حجم الخسائر التى أسفر عنها هذا اليوم. ولكن يرد على ذلك بأن التاريخ قد شهد أمثال هذه الحوادث التى تدبرها السلطة من قبل ،وعلى سبيل المثال حريق الرايخ ستاج فى ألمانيا ! بل هناك ما يشير إلى تدبير السلطة فى روسيا الانفجارات التى تسببت إلى الشيشان، والتى أتاحت للقوات الروسية العمل ضد الشيشان !

ومما يعزز ذلك حجم المكاسب التى حصلت عليها الولايات المتحدة من هذا اليوم ،والتى كان من العسير أن تحصل عليها بدون افتعال تلك الأحداث .

فلم تكن تلك الأحداث تتجاوز تدمير مبنيين، هما مبنى مركز التجارة العالمى ،وبضعة أدوار فى البنتاجون.

أما المكاسب فهى غزو أفغانستان ، والوصول إلى بترول بحر قزوين، وضرب العالم الإسلامي - وكل ذلك كان عسيرا تحقيقه بدون أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

أسوأ عام فى التاريخ!

ربما كان أبرز ما تميزت به أحداث يوم ١١ سبتمبر من العام الماضى، هى أنها كانت بعيدة عن التصديق ! وهذا هو السبب فى أن كل من رأى هذا الحادث على شاشات التليفزيون تصوروا أنها مأخوذة من فيلم أمريكى من أفلام الخيال العلمى !

كنت أتناول طعام الغداء فى مطعم فى الهرم ، عندما جاء إلى مدير المحل وصاح قائلا: أمريكا تُضرب !وابتسمت لهذا القول !فطلب منى المسارعة بمشاهدة ما يجرى على شاشة التليفزيون ، وقد استمعت إليه وشاهدت الاعتداء على مبنى التجارة العالمى ، ولم أصدق أن ما شاهدته كان أمرا حقيقيا وأنه يجرى بالفعل فى نيويورك ،وقد شاركنى بعض الموجودين فى هذا الاعتقاد!

وعدت إلى مائدتى وأنا على هذا الاعتقاد ، ثم فوجئت بالرجل يعود إلى وهو فى حالة دهشة صائحا : البنتاجون الأمريكى يُضرب ! ونهضت وشاهدت بعينى هجوم الطائرات على المبنى !

السبت ٢٠٠٢/٩/١٤ .

وعند ذلك ـ وهذا هو العجيب ـ ازددت اقتناعا بأن ما يجرى ليس هو الحقيقة ، وأنه من أفلام الخيال العلمى لوخصوصا وقد سبقه عرض فيلم "يوم الاستقلال " الذى رأينا فيه المبانى تتطاير فى المدن الأمريكية .

ثم تبين فيما بعد أن ما حدث هو الحقيقة المؤكدة ،وأن مبنى التجارة العالمى قد دمر ، ومبنى البنتاجون قد ضرب ،وأن القوات المعادية التى أحدثت هذا الاعتداء التاريخى الخطير ،لم تكن تتمثل فى طائرات حربية متقدمة لم تكتشفها المخابرات الأمريكية ، ولا طرق التجسس التى برعت فيها الولايات المتحدة ، وإنما كانت مجرد طائرات مدنية محملة بالركاب!

ومنذ ذلك الحين تغير التاريخ ! تغير إلى الأسوأ ! فقد كان أول سؤال تبادر إلى ذهن العالم من الذى ارتكب هذا الحادث ؟

لم يذهب أى ظن فى ذلك الحين إلى توجيه الاتهام للفلسطينيين أو للعرب أو للمسلمين ،لسبب بسيط هو أنهم أضعف علميا وتكنولوجيا من أن يقوموا بهذا العمل الذى يفوق الخيال ،لذلك عندما أعلنت منظمة إرهابية يابانية مسئوليتها عن الحادث صدق الجميع ذلك ! وكان للجميع مبرراتهم فى هذا التصديق لقد أعلنت المنظمة اليابانية أنها ارتكبت هذا الحادث انتقاما لضرب الأمريكيين هيروشيما ونجازاكى بالقنبلة الذرية ، وما ترتب على ذلك من موت أكثر من مليون .

(يتبع)

أسوأ عام فى التاريخ (٢)

صدق الجميع ما نسبته منظمة إرهابية يابانية لنفسها، من القيام بتفجيرات يوم ١١ سبتمبر ، واقتنع الكثيرون بالمبررات التى قدمتها هذه المنظمة ،وهى الانتقام لما قام به الأمريكيون من ضرب هيروشيما ونجازاكى بالقنبلة الذرية. خصوصا ويعلم المؤرخون أنه لم يكن ثمة مبرر واحد لضرب هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية ، لأن الولايات المتحدة كانت قد حسمت بالفعل الحرب العالمية الثانية لمصلحتها ،ولم يكن ثمة مبرر لإنهائها لهذه الطريقة الباهظة التكاليف فى الضحايا البشرية والمادية !

على أن واحدا فقط فى العالم كله لم يصدق بيان المنظمة الإرهابية اليابانية ، وهو الرئيس بوش الذى سارع فى اليوم التالى، باتهام أسامة بن لادن والمسلمين والعرب بأنهم مرتكبوا الحادث !

لم يكن لدى الرئيس بوش من سبب يدفعه إلى تصديق المنظمة الإرهابية اليابانية، لأن تصديق هذا الإدعاء يستدعى بالضرورة

الأحد ٢٠٠٢/٩/١٥ .

مواجهة مع اليابان لولكنه كان يملك ألف سبب وسبب يدعوه إلى اتهام أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بتدبير هذا الهجود .

وكان على رأس هذه الأسباب أن هذا الاتهام يمكّن الولايات المتحدة من اتخاذ هجوم ١١ سبتمبر ذريعة للسيطرة على العالم ، وبالفعل فان اتهام أسامة بن لادن أعطى للولايات المتحدة الذريعة للهجوم على أفغانستان ، وإسقاط حكومة طالبان التى تدّعى الإسلام لوالاقتراب من بترول بحر قزوين !

وبهذه المناسبة فان الولايات المتحدة حتى اليوم لم تعتقل أسامة بن لادن ،على الرغم من أنها احتلت كامل أفغانستان !

أما السبب الثانى فهو تشديد قبضتها على بترول الخليج ،ووسيلتها لذلك اتهام العناصر الإسلامية فى السعودية ودول الخليج بتمويل جماعات الإرهاب. ولتأكيد هذا الاتهام سارعت بمصادرة أموال هذه الجماعات .

ونلاحظ هنا أن هناك اعترافا عاما بأن الاتهامات التى وجهت للعناصر الإسلامية فى الولايات المتحدة كانت اتهامات ملفقة ،ولم يثبت منها حتى اليوم أى اتهام !

أما السبب الثالث، فهو أنه يتيح للولايات المتحدة فرصة ذهبية للقيام بأى عدوان مسلح على أى بلد إسلامى أو عربى تحت ذريعة محاربة الإرهاب !

وقد كانت محاربة الإرهاب هى الشعار الذى انتحلته الولايات المتحدة ، وبررت به كل عدوان ، وكل خروج على النظام العالمى ،الذى استقر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية !

لقد أسقطت الولايات المتحدة هذا النظام العالمى ، وأقامت نظاما عالميا جديدا يقوم على سيطرتها المطلقة على العالم .

ومن هنا فسوف يعتبر المؤرخون يوم ١١ سبتمبر بداية لعصر جديد!

بأيدينا لا بيد أمريكا!

عندما يكتب تاريخ هذه الفترة من حياة الأمة العربية ، سوف يثبت حقيقة يغفل عنها الكثيرون ،هو أن الأمة العربية أصيبت بيد أبنائها أكثر بكثير مما أصيبت بيد الأعداء ! وأن سوء إدارة الأزمات التى تقوم بها الكثير من النظم العربية ، كان سببا فى كوارث كثيرة لحقت بالأمة العربية !كما أن النظم العسكرية التى نكبت بها الأمة العربية ،فعلت الكثير بإلحاق الضرر بالأمة العربية بسوء سياستها وحماقتها وتهورها . لقد كان غياب الشعوب العربية عن اتخاذ القرار فى القضايا المصيرية سببا فى كل هذا الدمار الذى لحق بالأمة العربية !

وعلى سبيل المثال ، لم تكن إسرائيل هى التى هزمت مصر فى يونية ١٩٦٧ ، وإنما كنا نحن الذين هزمنا أنفسنا بأيدينا بأكثر مما كان يطمع فيه العدو الإسرائيلى! ولم يلحق الجيش الإسرائيلى الهزيمة بقواتنا المصرية ، وإنما كانت قيادة القوات المصرية هى التى ألحقت هذه الهزيمة بشكل لم يكن يطمع فيه العدو الإسرائيلى !

الثلاثاء ٢٠٠٢/٩/١٧ .

وكذلك الأمر بالنسبة للنظام العراقى ،عندما قام النظام العراقى كانت المشكلة الأساسية التى يعانى منها العرب ، كانت المشكلة الإسرائيلية ، وكانت القضية الفلسطينية هى الأساس فى النضال العربى ، ولكن النظام العراقى وجه كل قوته إلى بلد إسلامى هو إيران بدون مبرر ، وترك القضية الأساسية التى مازالت حتى اليوم تعرقل مسيرة الأمة العربية ،وهى قضية فلسطين !

وحتى عندما انتهت الحرب العراقية الإيرانية بعد ثمانى سنوات ، بدون تحقيق أى نصر على إيران ، فإن النظام العراقى لم يتعظ ولم يتعلم الدرس ، ويكرس جهوده للقضية الفلسطينية وللعدو الأساسى فى المنطقة ، وهو إسرائيل ، وإنما رأيناه يوجه قواته إلى بلد عربى صغير بجواره، هو الكويت ، فيقوم بغزوه وإلغاء نظامه السياسى المعترف به دوليا ، رغم انه عضو فى الجامعة العربية وفى الأمم المتحدة ، ويقوم بتخريب مبانيه ،وقتل شعبه وطرده ،ونسى تماما العدو الإسرائيلى!

كان النظام العراقى قبل غزو الكويت نظاما مهابا ومسيطرا على أرضه ، ولكنه بسياسته الرعناء وغزوه الأحمق للكويت الذى ارتكب فيه أعمالا همجية ، لم تكن لتحدث حتى فى العصور الوسطى ، حيث بدد بترول الكويت فى البحر ، وأحرق ١٦٠ بئرا للبترول دون أى سبب !

وقد استفز لمقاومته ولقتاله العالم الخارجى ، بل والعالم العربى أيضا ،وكانت مصر على رأس الدول التى واجهت هذا العدوان الهمجى على الكويت.

بأيدينا لا بيد أمريكا (٢)

على هذا النحو حولت سياسة النظام العراقى المدافع العربية ضد بعضها البعض ، بدلا من أن توجهها إلى إسرائيل. وحتى عندما كان صدام حسين يوجه صواريخه إلى إسرائيل كان يوجه صواريخه بالتساوى إلى الرياض العربى!

لم يكن فى وسع الولايات المتحدة فى ذلك الحين أن تطالب العراق بنزع أسلحة الدمار الشامل لسبب بسيط هو أنها كانت تعلم أن إسرائيل تملك هذه الأسلحة وتملك القنابل الذرية ، ولم يكن من المعقول أن تطالب العراق بنزع أسلحة الدمار الشامل ، دون أن تطلب من إسرائيل نزع هذه الأسلحة !

ولكن اليوم فإن الولايات المتحدة تطالب العراق بنزع أسلحة الدمار الشامل ، التى تعلم انه لم يعد يملكها بعد أن كان يملكها قبل يطالب الرئيس الأمريكى النظام العراقى بنزع هذه الأسلحة، على الرغم من أنه يعلم جيدا أن النظام العراقى لم يستخدم أبدا هذه

الأربعاء ٢٠٠٢/٨/١٨ .

الأسلحة للدفاع عن مصالح عربية ،وإنما استخدمها ضد البلاد الإسلامية والعربية : ضد إيران والكويت !

إن الرئيس الأمريكى يعطى للنظام العراقى شرفا كبيرا لا يستحقه عندما يصوره فى شكل من يهدد المصالح الغربية بأسلحة غير تقليدية ! مع ما هو معروف من أن النظام العراقى لم يهدد على الإطلاق هذه المصالح الغربية، وإنما كان على الدوام يهدد المصالح العربية والإسلامية!

إن الاتفاق فى المصالح بين النظام العراقى والولايات المتحدة معروف للجميع ، فلولا وجود النظام العراقى ، لما كان هناك الوجود الأمريكى فى منطقة الخليج ،واللعبة مكشوفة لهاالنظام العراقى يتبع سياسة حافة الهاوية ، فعندما يأتى الوقت المناسب سوف يعلن قبوله للمفتشين الدوليين ، وينزع بذلك فتيل الأزمة ، ويبقى فى المنطقة العربية راكزا فوق عنق شعبه ، معززا من النظم العربية ومن النظام الدولى! وتبقى بذلك الهيمنة الأمريكية فى المنطقة العربية.

وفى كل الأحوال ، فان ظواهر الأمة العربية تشير إلى أنها تضرب على الدوام بيد أبنائها ، وتهزم بيدهم ، وليس بيد أمريكا. وهذا بذلك تفوق بكثير ما كان يطمع فيه الاستعمار! فعندما خرج الاستعمار بسياسة «فرق تسد» كانت قصارى مطامعه هى التفرقة وانقسام الأمة العربية ، ولكن النظام العراقى طور هذا الشعار، إلى شعار محاربة الأمة العربية والإسلامية! ومن هنا صح القول أن الأمة العربية تضرب بيد أبنائها ، وليس بيد أمريكا!

هل يعود العالم إلى عصر الإقطاع!

أصبحت تيمور الشرقية دولة عضوا فى الأمم المتحدة ، وبذلك أصبح عدد أعضاء الأمم المتحدة ١٩١ دولة ! وهذا عدد هائل .فعندما قامت الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥، كان عدد الأعضاء المؤسسين خمسة دائمين وخمسة عشر غير دائمين .

واليوم أصبح عدد أعضائها ١٩١ دولة! والزيادة أتت من الدول التى استقلت فى حركة التحرر الوطنى التى قامت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى الوقت نفسه بسبب سياسة فرق تسد التى تلعبها الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا، ومهدت لها فى العصر الاستعمارى.

ويمكن التنبؤ بأن عدد أعضاء الأمم المتحدة سوف يصبح ١٩٤، إذا غزت الولايات المتحدة العراق ، وقامت بتقسيمه إلى أكراد وشيعة وسنه ! وإن كان هذا الاحتمال غير قائم وفقا لما نراه من أن ما تقوم به الولايات المتحدة بالتهديد بضرب العراق ، إنما هو محض هراء

الأثنين ٢٠٠٢/٩/٣٠ .

وتهويش و تهديد فارغ بسبب التحالف الاستراتيجي بين النظام العراقي والولايات المتحدة !

كذلك سوف يزيد عدد أعضاء الأمم المتحدة إلى ١٩٦ ، عندما يستقل جنوب السودان عن شماله بعد ست سنوات ، وينضم إلى الأمم المتحدة كدولة مستقلة !

إذن فقد لعبت سياسة فرق تسد دورا أساسيا في تفتيت الشعوب ، ورفع عدد أعضاء الأمم المتحدة من عشرين دولة إلى ١٩١ دولة!

وقد كانت تيمور الشرقية إلى وقت قريب جزء من إندونيسيا ، وهي اليوم تستقل وتصبح دولة مستقلة. ولا ندري إلى أي عدد سوف تصل إليه الأمم المتحدة في المستقبل مع سياسة فرق تسد التي تتبعها الدول الاستعمارية تحت ذريعة حق تقرير المصير وحقوق الإنسان !

وهي حجة باطلة ومضحكة في الوقت نفسه ! بدليل أنها لم تطبق على إسرائيل ! التي لم تحترم إلى اليوم حق تقرير المصير وحقوق الإنسان للفلسطينيين ، وهو كما نعلم جميعا أمر تتغاضى عنه الولايات المتحدة انسياقا وراء دعاوى وأباطيل إسرائيل !

لقد خدع حق تقرير المصير كل أقلية في العالم الثالث ، فأخذت في تهيئة نفسها للانفصال عن الوطن الأم ، حتى ولو كانت لا تملك مقومات الدولة ! فإذا استقلت بالفعل أصبحت دولة ضعيفة مهيضة الجناح أشبه بإقطاعية من إقطاعيات العصور الوسطى !

وهو أمر محزن حقا فالاتحاد قوة والانقسام ضعف ! وبفضل حق تقرير المصير ،الذى طبق وفق الأهواء الاستعمارية ، فان الغالبية العظمى من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة ، هى أشبه بدويلات ليست لها مقومات الدول القوية.

وبطبيعة الحال فان الغرض من ذلك أن تبقى القوة الحقيقية فى يد الولايات المتحدة و الدول الاستعمارية القديمة فى أوروبا ، ويظل بقية العالم خاضعا لها بفضل انقسامه وضعفه!

أوجلان .. جبن زعيم!

صدر الحكم على الزعيم الكردى عبد الله أوجلان ، بالسجن المؤبد بدلا من الإعدام! وبذلك يكون أوجلان قد باع حياته بثمن بخس لكما إنه أيضا باع ماضيه كزعيم مناضل بما أبدى من جبن وهلع وخوف على حياته.

وليس هكذا يكون المناضلون الحقيقيون لهاالمناضل الحقيقى يضع رأسه فوق كفه ولا يهمه أن يموت، طالما أن الموت فى سبيل قضية عادلة.

لقد رأينا من مظاهر جبن أوجلان ما يندى له الجبين خجلا ،وإذا قورن هذا الزعيم بما يبديه الزعماء الفلسطينيون فى نضالهم من أجل حرية الشعب الفلسطينى سوف نجد البون شاسعا!

إن المناضل الذى يخشى على حياته ليس بمناضل ! ومن هنا فما أرخص الحياة التى سوف يحياها أوجلان فى سجنه المؤبد !

انه للقز حقا أن يشترى مناضل حياة رخيصة يقضيها فى السجن بالموت، فملى وجه التحقيق إن الموت كان أكرم لأوجلان بدلا من الإذلال

السبت ١٩/١٠/٢٠٠٢ .

الذي سوف يذوقه طوال حياته ، فما أبدع الدعاء الذى نسمعه فى يوم الجمعة «اللهم اجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر». فما هو أشر من السجن المؤيد بالنسبة لمناضل مثل أوجلان ؟

ولكى نجسد هذا الجبن ،فإننا نذكر فى هذا الصدد - للمقارنة - العمليات الاستشهادية التى قام بها المناضلون الفلسطينيون فى الأرض الفلسطينية المحتلة! فلم يسمع التاريخ بأحد استهان بالموت وأقبل عليه ورحب به كما فعل هؤلاء المناضلون!

لقد كان لسان حال هؤلاء الشهداء وهو يفجرون أنفسهم ، ويتفجرون شذرا مذرا كان لسان حالهم :اللهم لا تجعل لأجسادنا قبرا يأويها ، ولا لحدا يواريها ولا ترابا يغطيها! ولكن أوجلان ،الذى قاد شعبه وطالبه بالاستشهاد فى سبيل الاستقلال ، جبن عن مواجهة الموت ، رغم انه سوف يواجهه فى يوم آت ،وفضل أن يعيش ذليلا فى الأسر !

وعلى كل حال ، فقصة أوجلان هذه تعد درسا للمناضلين الوطنيين. على كل من يخشى على حياته من الموت أن يبتعد عن النضال الوطنى لفالنضال الوطنى تكاليفه باهظة على المناضلين ، فإذا لم يعدوا أنفسهم منذ البداية لدفع هذا الثمن ، فعليهم البقاء فى بيوتهم ، حتى لا يكونوا مثلا سيئا يؤثر على الروح المعنوية لمواطنيهم ، ويفقدهم روح الفداء والتضحية !

لغز الرزق

من أكبر ألغاز الرزق أنه قد يغدق بدون حساب على من لا يستحقون هذا الإغداق، ويقتر على من لا يستحقون!

فالورثة ـ على سبيل المثال ـ يغدق عليهم الرزق لمجرد وفاة مورثهم، وليس لكفاءة شخصية، وعمل مجهود بذلوه! وقد يكونون من أصحاب العجز الذين لا يقدرون على كسب معاشهم، فإذا بهم ينتقلون من يوم وليلة إلى أصحاب ثروات يعجز عنها أصحاب الكفاءة والمقدرة!

وقد يضيع الورثة ما اجتهد مورثهم طيلة حياته لجمعه من مال، وبذل من جهد وضحى من تضحيات! ولو علم المورث بما سيئول إليه المال الذى جمعه، لما جمع شيئاً، ولاكتفى بالقليل الذى يكفيه من الرزق!

وهذا يعطى درساً للآباء الذين يقضون حياتهم فى جمع الثروة، درساً فى وجوب تربية أبنائهم التربية الصالحة التى تؤهلهم للمحافظة على الثروة، فلا تضيع فى الفسق والمنكرات.

الثلاثاء ١٦/٤/٢٠٠٢ .

وبوجه العموم فإن ما تأتى به الريح تذهب به الزوابع! فلا يظن أحد كسب ماله من حرام أن هذا المال سوف يبقى بعد ذهابه إلى خالقه، إنما سيضيع على يد أبنائه بعد موته! فالمال الفاسد لا يبقى طويلاً بعد موت صاحبه، إنما يضيع على يد ورثته إذا تربوا تربية فاسدة.

فالمال لا يبقى منه إلا الصالح! والعملية متكاملة، لأن الذى يهيمن عليها الخالق الرازق! وقد قدر مسار كل قرش! فالمنبع يؤثر على المصب، فإذا كان المنبع فاسداً، ذهب المال إلى مصب فاسد! ومن هنا البركة فى المال! فإذا كان المال حلالاً بارك الله فيه، وإذا كان فاسداً أكل بعضه بعضاً! بل ربما أكل ما يجاوره من مال على سبيل العقاب!

وتلك ظاهرة طبيعية، فإذا وضعنا تفاحة فاسدة فى كيس من التفاح الصالح، فإن الفساد لابد أن يتطرق إلى التفاح الصالح!

والبركة فى المال هى أن يصرف فيما ينفع صاحبه وينفع الناس وأن ينمو فيما ينفع صاحبه وينفع الناس ومن سوء حظ البشر أن الكثيرين لا يدركون فلسفة الرزق! فالرزق عندهم هو يجمعون من مال بأى طريق، سواء كان حلالاً أو حراماً، ويتصورون أن الله غافل عما يعملون!

والله ليس بغافل عما يعملون! بدليل ما نقرأ فى الصحف اليومية من فضائح أصابت كل من كسب المال من حرام، فهو يسقط من حالق بعد أن كان فى قمة المجتمع ويسقط معه أهله وعشيرته وما تنشره الصحف قليل من كثير فعين الله لا تغفل!

والمشكلة أن الكثيرين يتجاهلون حقيقة أن الحياة مهما طالت فهى قصيرة، والآخرة خير وأبقى! ويخدعهم كثيراً أن الله يمهل المجرم، ويمنحه الفرص للإقلاع عن غيه، ولا يردع بطش الله المجرم حين يتمادى فى غيه!

والمعيار الوحيد الذى يجب أن تقاس به مثل هذه القضايا هو الإجابة عن هذا السؤال: هل هناك بالفعل إلة فى الكون، أو أنه لا يوجد إله؟ فإذا اقتنع المرء بأن هناك إلهاً فى الكون، فيجب عليه أن يتصرف وفقاً لهذه الحقيقة! فمن المستحيل عقلاً أن يكون هناك إله فى الكون، ويترك الفاسد يفسد بدون عقاب!

لغز الرزق (٢)

ومن أغرب ألغاز الرزق ، أن الإنسان قد يفقد كرامته وشرفه فى سبيل الحصول على مبلغ من المال ، ثم لا يقدر له أبدا إنفاقه أو الاستفادة منه! إذ يموت ويرث هذا المبلغ ولد عاق ، أو بنت عاقه ، فتكون النتيجة أن يهدر كرامته وشرفه بلا عائد على الإطلاق !

لقد أبقى الله سبحانه وتعالى سر الموت خافيا عن البشر ،فلا يعلم أحد ساعة موته، أو مكان موته ،وذلك لحكمة يجب أن يتعظ بها البشر، وهى الا يأمنوا للحياة، ولا يفتروا بالجاه ، ولا ينزلقوا في طلب المال الحرام !

ومن هنا فقد كان من الواجب على كل إنسانا أن يسأل نفسه قبل أن تمتد يده إلى المال الحرام: هل يضمن حياته حتى ينفق هذا المال الحرام فيما يبتغى أو يريد ؟

كذلك كان من الواجب على كل إنسان يريق ماء وجهه ، ويبدد شرفه للحصول على مال لا يستحقه! أن يسأل نفسه هل يضمن ألا يدركه ملاك الموت قبل أن ينفق هذا المال.

الخميس ١٩/٩/٢٠٠٢ .

ربما من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم كلمة الإمام على رضى الله عنه:"كفى بالموت واعظا !"

ومن هنا فإنى أعجب للحمقى من البشر الذين يسرقون أموالا طائلة يعجزون عن إنفاقها مهما أسرفوا ويددوا من مال .

ولكن الكثيرين أصبحوا يعبدون أبنائهم من دون الله ، ويريدون أن يوفروا لهم حياة بذخ وثراء يدوم طول العمر! ويغفلون فى ذلك أن المال الحرام ، لن يفيد ولدا ، وأن عين الله التى لا تغفل ترى كل شئ ، وانه لا يدخل فى إرادته تعالى أن يستفيد أحد من المال الحرام !

وهذا سر ما تطالعنا به صحفنا اليومية من أخبار بعض أولاد الأثرياء، الذين ينحرفون ، ويتقاتلون ، ويرتكبون الحوادث التى تضيع أرواحهم أو أرواح غيرهم فيها، اعتمادا على ما يملكه آبائهم من مال.

يقودها مهندس شاب وأسرته على كوبرى أكتوبر فأودى بحياة المهندس الشاب ، وأصيبت زوجته إصابات بالغة، واضطر والده لإنقاذ ابنه العابث من السجن إلى دفع مليون جنيه تعويضا لوالد القتيل. والأمر كذلك فى أحد النوادى ، عندما قتل أحد أبناء الأثرياء الجدد منافسا له لخلافات مما تحدث بين الشبان .

وغير ذلك كثير مما تمتلئ به الجرائد يوميا ، ويؤكد هذه الحقيقة التى أشرنا إليها فى بداية هذا المقال، وهى أن ما تأتى به الرياح تذهب به الزوابع ، وما يأتى من المال الحرام، قد ينتفع به صاحبه لوقت قصير، ولكنه على المدى البعيد، ينتقم منه انتقاما ذريعا ، فهناك حقيقة يجب أن يعلمها الجميع ، وهى أن الجريمة تنتقم من فاعلها !

لغز الموت

الموت هو مفارقة الروح للجسد وصعودها إلى بارئها .

ولحكمة أرادها الله لم يشأ أن يجعل سببا واحدا للموت ،وفى الوقت نفسه لم يجعل له شكلا واحدا . وعلى سبيل المثال، فقد يكون المرض هو سبب الموت ، وقد يكون سقوطا من فوق الجبل ، أو يكون فى حادث سيارة ، وقد يكون بسكتة قلبيه أو سكتة دماغيه .

وفى كل ذلك فجوهر الموت ، هو مفارقة الروح للجسد ، وصعودها إلى بارئها .

أما بالنسبة لشكل الموت ، فقد شاءت إرادة الله أن يكون هذا الشكل متعددا، ويكون التعامل مع الجسد مختلفا .

ففى الهند ،على سبيل المثال، يحرقون الجسد ،ويتخلصون من رماده بإلقائه فى النهر. وبذلك يختفى كل أثر لجسد الإنسان على ظهر الأرض. وقد يتمزق الجسد تحت عجلات قطار ، أو يحترق كما حدث فى قطار الصعيد ، أو فى طائرة تسقط من حالق وتنفجر ، أو غرقا ، أو على يد مجرمين وقتله كما حدث فى جنين أو غير ذلك .

الجمعة ٢٠٠٢/٤/٢٦ .

وكل هذه الأشكال البشعة تتعامل مع الجسد وحده ، ولا تتعامل مع الروح التى تكون قد صعدت إلى بارئها . فهى تتعامل مع جسد لا يعى ولا يشعر ولا يحس بما يجرى له ، وإنما يحس بذلك الغير. فهم يقولون انه مات ميتة بشعة ! ولكن بالنسبة للميت نفسه التى صعدت روحه إلى بارئها ،فان ما يحدث لجسده هو أمر لا يشكل أية أهمية له بعد موته ، فالجسد بعد صعود الروح إلى بارئها يصبح غريبا عنها ،وينتمى لعالم آخر غير العالم الذى عاش فيه وتمتع أو شقى فيه. إن ما يجرى للجسد بعد فراق الروح هو أمر يهمنا ولا يهم صاحب الجسد، فقد انقطعت صلته به تماما ، منذ فارقت روحه جسده .

وإنما تصبح الأهمية للسبب الذى مات من أجله الإنسان ، فالبعض يموت ميتة شرف ، والبعض يموت ميتة عار ، والبعض يموت ظلما ، والبعض ظالما .

وربما عبر عن هذه العلاقة بين الروح والجسد بعد الموت ، عبد الله بن الحسين فى عبارته الشهيرة ،عندما أبدت والدته هلعها وخوفها من أن يمثل أعداؤه بجثته بعد موته ، فرد عليها بقوله «ماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها» .

ومن هنا فان كل ما يجب أن يهم المرء من مسألة الموت ، هو سبب الموت وليس شكله ، وفيما عدا ذلك فلا شأن له به ، لأنه يتعلق بجسد أصبح غريبا عنه ، ولم يعد ملكه من قريب أو من بعيد.

لغز الصدفة

سبق أن قلت فى مقالاتى إنه لا يوجد شىء فى الكون يخضع للصدفة، فالصدفة تدبير إلهى معجز يبدو للإنسان فى شكل صدفة لم يدبرها أحد، فى حين أنه مدبرا تدبيرا معجزا منذ الأزل.

على سبيل المثال ففى مدينة ميلانو الإيطالية، حدثت منذ أيام حادثة غريبة، هى اصطدام طائرة سياحية صغيرة ببرج فى وسط ميلانو، ترتب على ذلك مصرع اثنين.

وهنا يبدو الأمر فى أن قائد الطائرة مر بظروف مفاجئة أدت به إلى الاصطدام بالبرج.

كان فى إمكان الطيار أن يصاب فى هذه الحالة بعيدا عن هذا البرج، ولكنه لأمر ما دبره العزيز العليم، أصيب به وهو فى الطريق إلى الأدوار العالية بالبرج!

مثل هذا الحادث يتطلب عدة أمور:

الأمر الأول، أن يكون هناك طيار وأن يكون هناك برج، وأن يتواجد معهما فى نفس المكان الاثنان الآخران اللذان قتلا فى الحادث.

الاثنين ٢٠٠٢/٤/٢٩ .

أما أن يكون هناك برج، فهذا يتطلب تاريخا طويلا يدخل فى تاريخ العمران فى هذه المدينة، ومن قبل ذلك أن تكون هناك مدينة اسمها ميلانو! بل أن تكون هناك أيضا دولة اسمها إيطاليا، كما يتطلب أن يكون هناك هذا الطراز المعمارى الذى اصطدم به الطيار، وأن يكون بهذا الارتفاع بالذات، وأن يكون فى هذا المكان بالذات، فلو كان الارتفاع أقل لما وقعت الحادثة!

على الجانب الآخر لابد أن يكون مثل هذا الطيار الذى اصطدم بالبرج موجودا، ومثل هذا الطيار لم ينشأ فجأة، ولم يقفز إلى مسرح الأحداث فجأة، إنما هو معد مسبقا بشكل مذهل! وعلى سبيل المثال فلابد أن يكون من أسرة قادرة على شراء طائرة من هذا النوع، وفى الوقت نفسه لابد أن يكون مزودا بميول تجعله يتعلم الطيران ويريد أن يكون طيارا، وأكثر من ذلك فإن الأقدار لابد أن تكون أعدته لكى يخرج فى هذا اليوم بالذات ليركب طائرته، ويسير فى هذا الاتجاه، ويصطدم بهذا المكان بالذات الذى يسقط فيه اثنان من الضحايا.

هذا كله يحتاج إلى إعداد طويل، وإعداد قديم وإذا تتبعنا المسألة إلى الوراء فلابد أن تنتهى إلى بداية الأزل.

الله سبحانه وتعالى خلق الكون وخلق البشر، وخلق العمل، ورتب لكل إنسان حياته منذ الأزل، والدليل على ذلك أن كل خطوة تسبقها خطوة أخرى، وهذه الخطوة الأخرى تكون مترتبة على خطوة سابقة، ونمضى فى هذه المتتالية إلى أول خطوة وهى الأزل، فإذا لم يعجبنا

هذا الكلام فعلينا أن نتقبل فكرة الصدفة التى هى عمل عشوائى تم بدون ترتيب، ومعنى ذلك أنه لا نظام فى الكون فى حين أن ما نراه يبين تماما أن كل شىء منظم، ولا توجد الفوضى التى توهمناها بالصدفة.

فالصدفة بدون ترتيب إلهى سابق معناها الفوضى؛ أى أن الصدفة تساوى الفوضى، ولا يمكن أن تكون هناك فوضى فى الكون، وإلا تقوض على بعضه، لأن الكون كما نحن نراه ونشاهده ونجربه هو كون منظم تنظيما دقيقا، فعين الله لا تغفل، وهو موجود ويراقبنا، وليس صحيح ما يقوله بعض الفلاسفة الطرفاء، من أن الله خلق الكون فى ستة أيام، واستراح فى اليوم السابع؛ فالله سبحانه وتعالى لم يسترح إلى اليوم، ويسمعنا، ويسمع نداءاتنا، ودعواتنا، ويتدخل؛

لغز الصدفة (٢)

قلنا إنه لا يوجد فى الكون شيء اسمه الصدفة، لسبب بسيط هو أن الصدفة تعنى الخروج على النظام، أى الفوضى، وهذه الفوضى تتناقض مع ما نراه فى الكون من نظام بديع محكم، لا يقفز فيه كوكب على كوكب آخر، ولا مدار على مدار آخر، ولا نجم على نجم آخر، إنما كل شيء يمضى فى موقعه الذى حدده العزيز العليم.

وكما ذكرنا، فإن أداة الموت فى حادث ميلانو كانت طائرة، ولكى يتم هذا لابد أن يسبق هذا الحادث تقدم علمى هائل فى وسائل المواصلات، ينقلها من وسيلة الدواب، إلى وسيلة المركبات ذات العجل، إلى الطائرة.

وعلى هذا النحو فالصدفة هى نتيجة إعداد وتخطيط مسبق منذ الأزل، وتنفيذ مذهل، لا يقدر عليه بشر.

وعلى سبيل المثال، فقد حدث فى شبابى أن شاهدت حادثة قطار بضاعة، فى طريقى من ميت غمر إلى بنها، عن طريق ميت برا، وكان

الثلاثاء ٢٠٠٢/٤/٣٠ .

الحادث غريبا لأن القاطرة خرجت عن الخط، وانغرست عجلاتها فى الأرض الطينية، وتطايرت فوقها العربات بقوة الاندفاع وشاهدت اثنتى عشرة عربة تركب بعضها فوق بعض بتنسيق غريب وبإعجاز هندسى لا يتصوره العقل، بحيث لو أمكن أن تكون هناك رافعات حاولت أن ترتب تركيب العربات على هذا النحو فوق بعضها البعض لما استحال ذلك! فلقد كان بعض هذه العربات معلقا على ربع العربة، وثلاثة أرباعها فى الفضاء، وبعضها كان معلقا على نصفها والنصف الآخر فى الفضاء، وقد خيل لى أننى لو دفعت العربة الأولى بإصبعى لانهارت كل العربات بعضها فوق بعض على الأرض.

كنت أمام شكل هندسى غريب لم يسبق له مثيل، ولا تمكن إعادته مرة أخرى، لقد تم بتخطيط إلهى معجز، ولم أملك إلا التعجب من صنع الله!

لو كانت الصدفة نتيجة فوضى، لاستحال إتمام هذه الحادثة بهذا التنسيق البديع، الذى يفوق قدرات البشر.

ومعنى هذا الكلام أن كل شىء فى الكون، سواء حدث بإرادة البشر، أو على غير إرادتهم، إنما هو مخطط ومرتب منذ الأزل، بمعنى أنه يتساوى فى ذلك عمل الإنسان وعمل الصدفة، والفرق بين عمل الإنسان وعمل الصدفة، هو أن العمل الإنسانى يتم فى حدود قدرات البشر، ويمكن تكراره. أما العمل الذى يحدث بفعل الصدفة فيتم بقدرة المولى سبحانه وتعالى ويستحيل تكراره.

وهذا ما يدعونا إلى القول بأن كل صدفة، هى عمل معجز، يفوق قدرات البشر، ويمثل فى حد ذاته ما يشبه المعجزة، حتى ليمكننا القول بأن جميع الصدف التى نشاهدها فى حياتنا، إنما هى فى حقيقتها معجزات.

لغز الدعاء!

لا أعلم إلى اليوم لماذا يرفع الناس أكفهم إلى أعلى، ويتطلعون إلى السماء وهم يبتهلون، أو يدعون الله تعالى! هل يعتقد الناس حقا أن الله تعالى موجود في السماوات العلى؟. أو ليس هذا هو الجهل بعينه؟ إن الله موجود في كل مكان، ووسع عرشه السماوات والأرض! بل هو موجود داخلنا، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

والله تعالى ليس في حاجة إلى صوت عال يسمعه، فهو يسمع المرء في صمته وجهره، «يعلم سركم ونجواكم».

ويستطيع المرء أن يدخل في مناجاة طويلة مع ربه، دون أن يسمعه أحد، بل دون أن يفطن إليه أحد.

إن الله تعالى في ضمائرنا، وفي عقولنا، وفي قلوبنا.

وإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، بل داخل كل امرأ فما هو معنى التطلع إلى السماء؟. كان الله يسكن في السماء، وإذا كان المرء يستطيع أن يبتهل إلى الله ويدعوه

السبت ٢٠٠٢/٥/٤ .

سرا لا جهرا، فما هو معنى أن يدعوه جهرا؟. وإذا كان يستطيع أن يدعوه دون أن يرفع كفيه إلى السماء فلماذا يرفع كفيه إلى السماء؟

وماهو معنى الدعاء الجماعى الذى يقوده رجال الدين؟. إن الإنسان يدعو الله إذا كان فى حاجة إلى الدعاء.. يدعوه ليستنجد به، أو يدعوه ليستغفره، أو يدعوه كلما شعر بالحاجة إلى الاستنجاد بالله سبحانه وتعالى.

هل رجال الدين هم الذين أسسوا هذا اللون من الدعاء الجهرى، لتبرير وجودهم؟

إننى عندما كنت أطوف بالكعبة المشرفة، كنت أرى بعض الناس يدعون الله من كتاب فى يدهم يقرءونه، ولم أستطع أن أفهم مغزى هذا الدعاء الجزافى، فكنت أدعو الله بما أنا فى حاجة إليه.

وأذكر أنه فى ذلك الحين ثار فى ذهنى سؤال : هل أنا فى هذا المكان من بيت الله أقرب إليه فى أى مكان على ظهر الأرض؟

إننى أدعوه وأنا فى أى بلد من بلاد العالم التى زرتها، فيسمع الدعاء، وأنا أدعوه وأنا على متن طائرة تشق أجواز الفضاء فيستمع إلىّ ولم أشعر فى يوم من الأيام بأن الله بعيد عنى حتى أقترب منه، فهو أقرب إلى من حبل الوريد، وهو يعلم سرى ونجواى، فهل أنا فى هذا المكان من بيت الله أقرب إليه مما كنت من قبل؟.

وقد أقنعت نفسى فى ذلك الحين بأننى ربما كنت فى بيت الله أكثر تقربا، وأن دعواى فى هذا المكان ربما كانت أقرب إلى الاستجابة، منها

فى مكان آخر فصحيح أننى أستطيع أن أتصل بالله سبحانه وتعالى فى أى وقت وفى أى مكان، ولكن ربما كانت استجابة المولى سبحانه وتعالى لدعائى فى هذا المكان من بيته الكريم أقرب إلى التحقيق منها فى مكان آخر.

والقضية كما قد يرى القارئ الكريم، عسيرة الفهم! فإذا كان الله سبحانه وتعالى معى فى كل لحظة من لحظات حياتى؟ فما هو معنى أن أسافر إلى بيته الكريم لأدعوه حتى يسمع دعائى، وهل يستجيب الله سبحانه وتعالى لدعاء الداعى على جبل عرفات أكثر مما يستجيب له على فراش المرض على سبيل المثال، أو وهو فى لحظة خطر؟.

إنه لمن المحقق أن الإنسان يكون أقرب إلى الله تعالى فى شدته، وفى مرضه وحزنه وحاجته إليه تعالى.

لغز الدعاء (٢)

فى مقالنا السابق تساءلنا عن الأسباب التى تدفع الناس إلى رفع أكفهم إلى السماء ،وهم يبتهلون إلى الله أو يدعونه ؟ وقلنا هل يعتقد الناس أن الله موجود فى السماء ، وإذا كان الناس يؤمنون بأن الله ليس له مكان إنما هو موجود فى كل مكان ، فلماذا يرفعون أيديهم إلى السماء بالذات عند الدعاء ؟ ثم إن الله موجود فى قلوبنا ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ،فلماذا يتوجه الناس إلى الخارج عند الدعاء ، ولا يتوجهون إلى داخل أنفسهم ؟ ثم لماذا يرفع الناس أصواتهم عند الدعاء، مع أن الله-سبحانه وتعالى يسمع دعواتهم دون أن تنطلق من أفواههم ثم لماذا الدعاء الجماعى فى المساجد والكنائس والتجمعات العامة ؟ هل يعتقدون أنه أكثر استجابة عند الله من الدعاء الفردى ؟

هذه كلها أسئلة تحتاج إلى أجوبة !

فى العصور الوسطى كانت التوبة إلى الله تستلزم الذهاب إلى الكنيسة، والدخول فى غرفة الاعتراف ثم يعترف المذنب للقس

الأربعاء ٢٠٠٢/٣/٨ .

المختص ، وهذا يرفع توبته إلى السماء. ثم جاءت البروتستانتية لتلغى هذا الاعتقاد ليصبح من حق المرء أن يتوب إلى الله مباشرة دون الذهاب إلى الكنيسة .

ولكن الكنيسة استفادت من هذا الاعتقاد النفوذ والسيطرة على الحياة المدنية ،فنشأت طبقة من الكهنة ورجال الدين ، كانت مهمتهم توصيل المرء إلى ربه. وبناء على هذه المهمة أصبحت الكنائس فى الغرب من أهم معالم الحضارة الأوروبية ، وكذلك من أجمل المبانى الأثرية. وكانت مهمة هذه الكنائس استقبال عباد الله للصلاة والابتهال والدعاء إلى الله . ثم جرى تجميل الكنائس بموسيقى الأورغن التى تبعث على الخشوع فى النفس .

وقد تطلبت هذه الموسيقى ظهور ملحنين عظام ومنشدين ومغنيين ومغنيات ، فنشأت من هؤلاء طبقة فنية كبيرة ، وظهرت موسيقى جديدة تعرف بالقداس (MASS) وكان من أبرز من ألف القداس باخ وبيرجوليزى وموتسارت. ولم يتخلف بيتهوفن على هذا النوع من الفن فألف قداسا وحيدا ، يعد من أشهر القداسات MISSA-SOLEMNIS.

وفى نفس الوقت تفرعت عن هذا اللون من الفن الغنائى الدينى ، فنا جديدا هو فن الأوبرا ، وبحكم رئاسة إيطاليا الدينية كمركز للكاثوليكية، نبغ الإيطاليون خاصة فى فن الأوبرا ، كما نبت من إيطاليا أعظم الملحنين ، مثل فيردى ، وبوتشينى و دونيزتى وغيرهم .

ومعنى هذا الكلام ، أن الابتهالات والدعاء العلنى ، على الرغم من أنه لا مبرر له من الناحية الدينية ،حيث أن الإنسان يستطيع أن يدعو الله دون أن ينبس ببنت شفه ، إلا أنه لم يمض سدى ، فقد أفرز حياة فنية خصبة تعد من أعظم ما أثرى حياة البشرية .

لغز الشر

بعد أن انتهى الخالق جل وعلا من صنع الكون ، بكواكبه ونجومه ومجراته ،وجباله وبحاره وسمواته ، أخذ يصنع حياة البشر.

كان فى وسع الخالق جل وعلا أن يصنع حياة البشر بشكل يقوم على الخير ، وينمحى منه الشر ، ويسود الحب والوئام والتجانس بين الناس ،ولكنه لو فعل ذلك لكانت الحياة راكدة ،ومملة ،ولا نبض فيها ، ولا حركة ، ولكن الله سبحانه وتعالى صنع حياة الناس على النحو الحالى الذى نراه وفيه يقوم الشر إلى جانب الخير ،والحرب إلى جانب السلام ،والخوف إلى جانب الأمن ، والمرض إلى جانب الصحة ، والفشل إلى جانب النجاح ،والصواب إلى جانب الخطأ إلى آخره .

وعلى هذا النحو تكونت هذه الحياة الثرية .

ومن هنا يمكن إدراك أن الشر كان معلوما منذ البداية فى مقابل الخير. والفجور كان معلوما منذ البداية فى مقابل التقوى فالآية

الجمعة ٢٠٠٢/٥/١٧ .

الكريمة تقول :"فألهمها فجورها وتقواها . وكل ذلك لصنع هذه الحياة المليئة بالمتناقضات ، والتى يعيش فيها الشر إلى جانب الخير .

وهذا هو السبب فى أن فكرة الإنسان المنزه ، المبرأ من الخطأ ، لم تكن مطروحة منذ البداية ، فالكمال لله وحده والحديث النبوى الشريف يقول : « كلنا خطاءون ،وخير الخطاءين التوابين». وكذلك قال السيد المسيح : «من كان منكم بلا خطيئة فليرم بحجر» .

ومن هنا ، ولرحمة الله سبحانه وتعالى ، وحتى لا يحشر المولى سبحانه وتعالى البشر جميعا فى جهنم ، بسبب (أخطائهم المفترضة) فانه خلق الغفران فى مقابل التوبة .

ومن هنا أيضا الوعود الكثيرة التى حفل بها كتاب الله الكريم بالغفران ، أى غفران الذنوب ،حتى إن الله تعالى فى كتابه الكريم ، وعد بغفران الذنوب جميعا «إنه يغفر الذنوب جميعا».

وفى الوقت نفسه وعد المولى سبحانه وتعالى الناس بالرحمة. حتى إن الرحمة هى أول صفة يصف بها المولى سبحانه وتعالى نفسه ،ففى بسملة الكتاب نقول "بسم الله الرحمن الرحيم ". ومعناها أن الله تعالى هو موئل الرحمة ، وهو الرحيم .

وعدد الآيات فى القرآن الكريم التى تتحدث عن رحمة الله ،وعن غفرانه الذنوب ، لا تحصى.

وهذا الكلام يجيب على سؤال لغز الشر.

لغز الشر (٢)

انتهينا فى مقالنا السابق إلى أن الشر معلوم منذ نشأة الخلق ، وأن الكمال غير معلوم ، فالكمال لله وحده ، والنقص من طبيعة البشر .

وإذا كان الأمر كذلك فما هو الأصل فى الإنسان ؟ هل هو الخير أو الشر ؟

يجب علينا أن نعترف بأن الغرائز ، وهى جزء من تكوين الطبيعة البشرية ،تنزع بالإنسان دائما إلى الخطأ ، وإلى الشر ،وأن التغلب على هذه الغرائز وتهذيبها ، هو من فعل العقل الناضج ، ومن فعل جهاد طويل للنفس ، وهو ما يتطلب تربية عقلية ونفسية واجتماعية طويلة الأمد . ومع ذلك ففى كثير من الأحيان ، ورغم ذلك يتغلب الشر !

ولو كان الأصل فى الإنسان هو الخير ، فلما أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لإرشاد البشر إلى طريق الصواب ،إن معنى هذا الكلام ، أن الغرائز الإنسانية ،تنزع بالإنسان دائما إلى طريق الخطأ ، وأن الإنسان بطبيعته ينزع إلى الطريق المعوج ، وليس الطريق المستقيم.

السبت ٢٠٠٢/٥/١٨ .

ومن هنا ليس غريبا أن تتضمن فاتحة الكتاب «هذا الدعاء المهم : «اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين».

ولو كان المولى سبحانه وتعالى يعلم أن عباده مفطورين على الاتجاه فى الطريق المستقيم ،لما كان ثمة حاجة لأن يدعو المرء الله سبحانه وتعالى لأن يهديه إلى الصراط المستقيم .

فإذا أضفنا إلى ذلك إجماع محمد عليه السلام ،وعيسى عليه السلام ، على أن جميع البشر خطاءون ، فان هذا قد يشير إلى أن الأصل فى الإنسان هو الشر ، وليس الخير، «إن الإنسان لظلوم كفار» !

وهذا هو مبرر إرسال الرسل والأنبياء لتعليم البشر كيفية محاربة الشر ، وتغليب الخير .

ويتضح من ذلك أن محور الحياة البشرية كلها هو الصراع بين الخير والشر، وأن الشر هو المحرك الأول للصراع .

ولو خلا الإنسان من الشر لانعدم الصراع بالضرورة وانعدمت الحاجة إلى التوبة ، وإلى التماس الغفران من الله سبحانه وتعالى ، ولانعدمت الحاجة إلى الغفران .

حول قراءة القرآن الكريم

نصيحتى لكل من يريد أن يقرأ القرآن الكريم ، أن يقرأه فى مصحف مفسر ، ولا يقرأه بدون تفسير !

ومشكلة المصاحف المفسرة فى بلدنا أنها تتوسع فى التفسير إلى حد يقلل من متعة القراءة ، فوق أن تفسيراتها كتبت منذ زمن طويل وتحمل بصمة العصر الذى جرى فيه التفسير.

وهذا أمر طبيعى ، لأن المفسر ينقل رؤيته للنص القرآنى ، وتفسيره له ، من واقع العصر الذى يعيش فيه ، فلا يتوقع أن يفسر النص القرآنى من واقع عصر لم يحدث بعد . ومن هنا أهمية تفسير محمد فريد وجدى ، فهو تفسير مختصر من ناحية وواف من ناحية أخرى ، والأكثر من ذلك أنه تفسير عصرى ، بمعنى أنه يحمل رؤية العصر للنص القرآنى .

ومن ذلك، على سبيل المثال تفسيره للآية الكريمة فى سورة الفيل : «وأرسلنا عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل» ، بأنه ليس ثمة ما يمنع من أ، يكون المقصود بالطير الأبابيل جراثيم الجدرى..

الجمعة ١٩/٤/٢٠٠٢ .

والمهم أن قراءة القرآن الكريم مع تفسير الآيات الكريمة ، يكون رؤية إسلامية ، وتاريخية سليمة ، يفتقر إليها من يقرأ القرآن الكريم بدون تفسير .

وأهم من ذلك أن قراءة القرآن مقترنة بالتفسير تلقى أضواء واسعة على أسباب النزول. وهو أمر مهم جدا . فالقرآن لم ينزل مرة واحدة ، وإنما نزل منجما أى نزل لأسباب ، ومعرفة هذه الأسباب تصحح رؤية المسلم للموقف القرآنى من الأحداث . وعلى سبيل المثال فلو أن المسلمين يقرءون القرآن الكريم، مفسرا ، حتى بأى تفسير من تفسيرات القرآن الكريم المختلفة لما وقعوا فى حبائل دعاة الإسلام السياسى، الذين فسروا الآية الكريمة من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، عندما أطلقوها على ما أنزل الله فى القرآن الكريم ، فى حين أن النص القرآنى نزل بخصوص ما أنزل الله فى التوراة ، وليس فى القرآن ، ومعنى ذلك أن الآية نزلت فى اليهود ولم تنزل فى المسلمين ، ولكن دعاة الإسلام السياسى المغرضين ،والمضللين أطلقوها على المسلمين ، وكان لفعلتهم أثر كبير فى مجرى التاريخ الإسلامى ،وقد أدى إلى تكفير كثير من الشعوب الإسلامية ، ومنهم الشعب المصرى ، وأدى إلى اغتيال الكثيرين ممن هم أشد تمسكا بالإسلام ، وعبادة للرحمن ، ومنهم الشيخ الذهبى الذى قتل وهو على سجادة الصلاة بتهمة الكفر.

حول قراءة القرآن الكريم (٢)

قلت إن قراءة القرآن الكريم ينبغى إلا تكون منفصلة عن التفسير. ففائدة التفسير أنه يعطى لقارئ القرآن الكريم المعنى المتكامل للآية الكريمة من ناحية أسباب نزولها ومعانيها التى قصدتها الآية الكريمة ، وعلى سبيل المثال ، فالكثيرون من المسلمين يتلون الآية الكريمة «و الفتنة أشد من القتل» بالمعنى الحالى للفتنة ، فى حين أن تفسيرها الحقيقى هو أنها تعنى الكفر.

وكثير من هذه القضايا مما يعزز ضرورة ألا تقتصر قراءة القرآن على القرآن وحده ، بل لابد أن تصطحب بتفسير حديث مختصر ، قد يفتح الباب إلى تفسيرات أخرى أكثر تعمقا .

عندما كنت صغيرا عنى والدى بتحفيظى القرآن الكريم «تمهيدا لإلحاقى بالأزهر الشريف». وعلى الرغم من أننى التحقت بمدرسة المحافظة على القرآن الكريم بالجيزة ، فقد خصص لى والدى مقرئ يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وبذلك حفظت القرآن الكريم كله ، ولكن

السبت ٢٠/٤/٢٠٠٢ .

دون أن أفقه شيئا من معانيه. وقد كانت هذه خسارة كبيرة ،فوق أنها صعبت على حفظ القرآن الكريم .

وقد أدركت ذلك حين عين فى المدرسة ناظر جديد ،وكان متحمسا متدينا وصاحب رسالة ، فأعطانا درسا فى صورة "ن" وقام بتفسير الآيات تفسيرا طليا يناسب عقل التلاميذ الذين فى سن التسع سنوات ، وأذكر أننى استمتعت كثيرا بهذا التفسير ، ولم أنس هذه الآيات .

من هنا أنصح بإخلاص جميع القراء بأن يهتموا بقراءة تفسير القرآن الكريم ، فوق اهتمامهم بقراءة آيات الذكر الحكيم ، فسوف ينقلهم ذلك إلى مسوى آخر من النضج الدينى والإسلامى والاجتماعى أيضا.

ولعله مما يعمم الفائدة بالنسبة للمسلم اقتناء المعجم المفهرس ، وهو عمل من أعظم الأعمال الإسلامية التى أفادت المسلمين فائدة لا تقدر بثمن ، ومما يضاعف قيمة هذا العمل العظيم أنه قد تم فى وقت لم يكن الكمبيوتر قد ظهر بعد ،وكانت أدوات الرصد محدودة .

ومن هنا يعد هذا العمل عملا منعجزا بكل المعايير أفنى فيه صاحبه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى عمره ، وخدم به أمة الإسلام خدمة غير مسبوقة ،ومن عجب أن أسم محمد فؤاد عبد الباقى ،لم يلق من التكريم من الهيئات العلمية الإسلامية ،ومن الأزهر الشريف ومن وزارة الأوقاف ما يستحق .

ولعل هذا المقال أن ينبه هذه الهيئات العلمية الإسلامية إلى استدراك هذا الإغفال ، وعمل جائزة بأسم هذا العلامة الإسلامى الكبير .

وأصبحت السماء تمطر ذهبا وفضة!

السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة" هذه مقولة عفا عليها الزمن ، واثبتت أحوال مصر المعاصرة ، أنها فى كثير من الأحيان تمطر ذهبا وفضة وألماسا وياقوتا وغير ذلك من الأحجار الكريمة، الذين تكونت لديهم معتقدات خاطئة بأنهم يستطيعون أن يخدعوا الله سبحانه وتعالى ، ويجنون الأرباح الطائلة ،ويسرقون السرقات الكبيرة من وراء ظهر الشعب دون أن ينالهم أى ضرر ودون أن يحاسبهم أحد طالما أنهم أتقنوا الإخفاء والتستر وراء الأوراق الرسمية التى تثبت أنهم من الشرفاء وما هم بشرفاء ، وجرى هذا الاغتراف الكبير من الذهب والفضة فى غفلة من الزمن وفى غفلة من الحكومة .

وشعبنا اليوم يفغر فاه دهشة وهو يقرأ فى الصحف عن محافظين وحكام وشركات لها اسم رنان يكتشف إنها تثرى من وراء ظهر الشعب .. تثرى من المال الحرام ،وتنسى أنها إذا غفلت عنها الحكومة ،فان عين الله لا تغفل على الإطلاق .

الأثنين ٢٠٠٢/٦/٢٥ .

ومما يحسب لحكومتنا أنها لا تتستر على مجرم ولا على لص ، وإنما تكشفه إذا ظهرت لها الأدلة الكفيلة بإدانته .

ولكن المشكلة فى أن عجلة العدل فى الحكومة عجلة بطيئة من القرن التاسع عشر - أى هى عربة كارو - ! فهى بطيئة السير جدا لدرجة تشجع على السرقة ! وشعبنا معذور فحين يرى بعينيه الدلائل على أن فلان رقيق الحال وكان مرتبه يكفيه بالكاد ثم يراه يرتفع فجأة ارتفاعا لا تبرره موارده التى عهدها الناس فيه ، ثم يمضى هذا بسلام وتتضخم ثروته ويطيب حاله أمام الملأ دون محاسب أو مسائل ، فعندئذ يتصور الشعب أن السرقة هى من البساطة بمكان ،وانه يكفى أن يكون الإنسان على قدر من الذكاء والمهارة فى النهب والسرقة فيتصور أن السماء قد أصبحت تمطر ذهبا وفضة ، ويتطور هذا الشعور إلى الإحساس إلى أن عين الله تغفل وتنام ، مع أن عين الله لا تغفل و لا تنام .

والمشكلة أن ما تكشفه الدولة من سرقات ومن نصب واحتيال من الأفراد والشركات الأخرى التى تتظاهر أنها شركات استثمار مع أنها شركات للنصب والاحتيال ،هذه الحالات التى تكشف هى حالات قليلة ، ولا يهضم الناس كثيرا ما يتذرع به من قلة عدد الحالات التى تكشفها الدولة من طول عملية الكشف والتحرى التى تصل إلى عدة سنوات . فشعبنا يرى أن السبب فى طول الكشف لا يرجع إلى إجراءات الكشف ، وإنما يرجع إلى أن هذه الشركات تستطيع أن تتعامل بالرشوة ، مع

الجهات الرقابية! وهذا ما يطيل أجل الفضيحة والكشف والتقديم للمحاكمة ، وشعبنا يرى أن المسألة لا تحتاج إلى سنوات طوال للكشف عن المخالفات ، فالمخالفات واضحة والمخالفات ظاهرة والناس تثرى أمام عين الشعب بسرعة صاروخية دفعت للاعتقاد بان السماء قد أصبحت اليوم تمطر ذهبا وفضة .

ولكن السارقين يعرفون جيدا أنهم طالما يملكون من الأموال ما يغمضون به عين الجهات الرقابية ، فانهم ينجون من العقاب أو حتى يؤجلون العقاب .

من يتصور شركة مثل شركة المسبوكات تبلغ سرقاتها مليار و٤٠٠ مليون ؟ كيف تم هذا ؟ هل خبأت الشركة هذه الأموال عشر سنوات ؟ أو أنها كانت تظهر فى تصرفات الأفراد الذين انتهبوها ؟

عشر سنوات هذه كثيرة جدا ، فمن المفروض أن هناك رقابة دائمة وسنوية بل وشهرية تتابع أعمال هذه الشركات .

إننا نقدر تقديرا كبيرا ما تتذرع به الجهات الرقابية من حاجتها إلى وقت طويل حتى تحكم الأدلة صوب الإدانة ،ولكن القضية اليوم أصبحت تتطلب تقوية الجهات الرقابية ،وتوسيع اختصاصاتها ،وزيادة أعدادها بدرجة تتكافأ مع حجم السرقات وحجم المخالفات التى تتم اليوم .

فذلك هو السبيل الوحيد حتى يختفى الاعتقاد لدى الناس بأن السماء أصبحت تمطر ذهبا وفضة .

بين التنسيق البشرى والتنسيق الإلهى؛

شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا يخلق الناس على شاكلة واحدة؛ لا فى الأشكال ولا فى الميول والرغبات. فالتنوع هو سنة الكون ،فلا يوجد شئ فى الكون يشبه الآخر شبها تاما، ولا توجد زهرة تشبه الأخرى شبها تاما ، وإنما يجب أن يكون هناك اختلاف بينهما فى أى شئ من الأشكال ، وحتى التوائم لا يوجد توأم يشبه توأمه شبها تاما .

وهذا هو السبب فى انه عندما أخترع العلم الحديث الاستنساخ ، وأصاب الكثيرين فزع من هذا الاستنساخ ، وظنوا أن هذا مشاركة لله سبحانه وتعالى فى لخلق ،كانت الإجابة من الذين يعلمون أن الاستنساخ شئ آخر غير الخلق ،فالخلق متنوع والاستنساخ متطابق ،والتطابق مضاد لسنة الكون ، فلم يخلق الله سبحانه وتعالى شيئا متطابقا مع الآخر ، أو إنسانا متطابقا مع الآخر ، وإنما لابد أن يوجد بينهما فروق واختلافات. وهذه عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته العظيمة، قدرته العظيمة على الخلق والتجديد والابتكار. فلا توجد

الثلاثاء ٢٠٠٢/٧/٢ .

سمكة صغيرة فى أعماق البحار تطابق زميلتها فى نفس الحجم واللون وحتى الحركة والنمو ، وهذه الحقيقة وراء إدراك خصوصية المواهب التى كانت وراء الدفعة العظيمة فى التعليم والمعرفة والابتكار . فأصبح التعليم فى الأرض يقوم على إدراك حقيقة مواهب كل فرد ، ودفعه فى الاتجاه الذى يخدم مواهبه ويخدم العلم والبشرية .

لقد أدركوا انه من المستحيل أن تدفع فردا ذا مواهب أدبية ليكون متفوقا فى العلوم البحتة أو فى الرياضيات أو فى الجراحة ، والعكس صحيح ،كما أدركوا أن الفشل لا يعود إلى الفرد نفسه وإنما يعود إلى الاتجاه الخاطئ الذى لا يتوافق مع ميوله ورغباته .

ومن هنا كان هجومنا على التنسيق فى دخول الكليات والجامعات ، والذى دفع بعاشق الطب والفنون أن يكون مدرسا للغة العربية ،فيفقد العلوم والفنون ، ويفقد اللغة العربية على حد سواء !

ومع ذلك وجدت بعض الاستثناءات فى الكون فقد وجد من يستطيع أن يجمع بين عشق العلوم البحتة وعشق الآداب والفنون ! فقد كان «بوردين» طبيبا، ولكنه كان فى الوقت نفسه موسيقيا عظيما ! وقد أثرى الموسيقى الكلاسيكية بسيمفونياته العظيمة ، كما ألف الأوبرا العظيمة البرنس إيجور - وهو ما قد لا يقدر عليه فنان متخصص .

وقد كان يوسف إدريس طبيبا ، ولكنه أصبح أشهر كتاب القصة القصيرة . وكان المرحوم عبد الرحمن الرافعى محاميا ، ولكنه لم يشتهر لهذا السبب ، ولكنه أشتهر بسلسلة أعماله التاريخية الكبيرة.

راحة الموت المزعومة!

يتردد على ألسنة الكثيرين من أبناء شعبنا ، عبارات تتحدث عن راحة الموت !

كثيرون الذين يشعرون بمتاعب الحياة ،يرون فى الموت راحة لهم من هذا العناء ولست أدرى على أى أساس أقام عليه القوم هذا الاعتقاد ؟اللهم إذا كانوا من الذى يعتقدون بان الحياة الدنيا هى حياة وموت «ولا يهلكنا إلا الدهر»، وانه لا يعقب هذه الحياة حساب ربانى يرصد كل صغيرة وكبيرة من عمل الإنسان .

وبالتالى فان الموت لا يكون بالضرورة راحة للمرء ،إنما قد يكون انتقالا لحياة أسوأ بكثير ،أعدها الله للمفترين والكافرين بنعمته ،والمضللين والأفاقين والظالمين .

وعلى سبيل المثال ، كيف يصدق المرء أن يكون الموت لزعيم عربى مثل صدام حسين راحة من كل شر ، وقد عم شره الشعب العراقى والشعب الكويتى وكل الشعوب العربية .

الثلاثاء ٢٠٠٢/٧/١٦ .

وكيف يصدق المرء أن يكون الموت راحة من كل شر للذين سرقوا ألف وأربعمائة مليون جنيه فى شركة النصر للمسبوكات ؟

وكيف يمكن للمرء أن يصدق أن يكون الموت راحة من كل شر للذين سلبوا ثروات أبناء الشعب تحت اسم الاشتراكية، وسلموها لبيروقراطية نهابة لا ترعى الله ولا الضمير ؟

إن الذين يتوهمون أن يكون الموت راحة لهم من كل شر هم الذين عرفوا الله تعالى ، وخافوه واتبعوا تعليماته ،وكانت حياتهم عطاء للمجتمع وللبشرية ٠

فالحياة بعد الموت ، إما نقلة إلى الجحيم - ولا راحة فيه بطبيعة الحال ! وإما نقلة إلى النعيم. وهو أمر يتوقف على إرادة الخالق ،وعلى رحمته ، وغفرانه .

ورحمه الله فى هذه الحالة هى الفيصل ، وهى التى تغفر أو تعاقب.

ففى المناجاة التى يعرفها الصوفيون : «إن نجونا فبرحمتك ،وإن هلكنا فبعدلك» !

ومن هنا فعلى الذين يأملون فى أن ينقذهم الموت من كل شر ، أن يقدموا للدار الآخرة بالعمل الصالح واتباع أوامر الله واجتناب نواهيه .

إننى لا أقول هذا الكلام من باب الدروشة ،وإنما أقوله من باب التفكير العقلى المنطقى ،فالقضية فى رأسى تبنى على الأسس الآتية :
انه إذا أيقنا تمام اليقين أن هناك إله فى الكون ،فان يترتب على ذلك

أن يكون هذا الإله هو حاكم هذا الكون ! ولأن الله كامل فى ذاته ، ولا يقبل النقص ، لان النقص ينفى الألوهية ، فان حكم الله بالضرورة لابد أن يكون هو حكم العدل . وفى الوقت نفسه فان لابد أن يكون هناك ، نعيم للمطيعين «وجحيم للمسيئين» وإلا انتفت الحكمة من الحساب .

ومن هنا فالحياة الدنيا على وجه التحقيق ، ليست هى نهاية المسار، وإنما هى مقدمه لحياة أخرى خالدة ، وعلى الإنسان أن يختار، فهناك الذين ينطبق عليهم الآية الكريمة : «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى «فما ربحت تجارتهم» .

وهناك أولئك الذين اشتروا الهدى بالضلالة ، وهم الذين يمكن أن يكون الموت راحة لهم من كل شر !

راحة الموت المزعومة (٢)

من حماقة الإنسان انه إذا تبرم بالحياة انتحر ! طلبا للراحة الأبدية ، دون أن يعلم انه يسعى للعذاب الأبدى ! ولكى يطمح الإنسان فى الراحة الأبدية بعد الموت فانه يلزم أن يكون فى حياته الدنيا إنسانا صالحا اتبع أوامر الله ونواهيه - التى هى لمصلحة البشر ،وتجنب الخطايا والآثام ، وعمل للآخرة بقدر ما يعمل للدنيا .

فالله سبحانه وتعالى لم يأمر الناس بأن يهملوا الدنيا سعيا إلى الآخرة ، وإلا فيما خلق الله الدنيا ؟

وقد حرم الله سبحانه وتعالى اليأس من الحياة ، فقال فى كتابه الكريم : «ولا تيأسوا إن الله لا يحب اليائسين».

ومن هنا فان الذى ينتحر هو يائس! وبالتالى فهو يخالف أمر الله سبحانه وتعالى.

ولست أدرى كيف يتوقع الإنسان فى هذه الحالة من العصيان أن يحظى بالراحة الأبدية ؟ انه قد يحظى بالراحة من متاعب الحياة

الأربعاء ٢٠٠٢/٧/١٧ .

ومشاقها فى الحياة الدنيا، ولكنه لن ينعم بحياة أفضل فى الآخرة ! انه على وجه التحقيق ينتقل من عذاب دنيوى بسيط إلى عذاب أبدى.

لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخلق الحياة على هذا النحو الذى نعيشه الآن ، فهى ليست نزهة يقضيها الإنسان طوال حياته ، وإنما هى عمل شقاء !

فقد قال الله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم " وأكثر من ذلك انه قال «خلق الإنسان فى كبد» ، ولم يقل خلق الإنسان فى نعيم !

هكذا أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون الحياة ! وذلك لحكمة لا يعلمها إلا هو. وهو ما يعنى أن الحياة فى حقيقتها ليست عبثا ، وإنما هى اختبار يؤدى بالفائز فيه إلى الجنة ،وبالفاشل فيه إلى الجحيم .

وقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا يجعل الحياة تسير على وتيرة واحدة من السعادة أو الشقاء ،فالحياة تحتمل النوعين اللذين يعيشان جنبا إلى جنب ،فهى سلسلة بحلقاتها البيضاء تؤدى إلى حلقات سوداء ، والسوداء تؤدى إلى حلقات بيضاء . وليس هناك الإنسان الذى يعيش فى نعمة دائمة فى الحياة حتى ولو كان ملكا على عرش ، فالكل يتساوى فى درجة "الكبد" :الملك الحاكم ,و الرعية الصغير ، وإن اختلفت أنواع الكبد .

راحة الموت المزعومة (٣)

خلق الله سبحانه وتعالى فى الإنسان إرادة الحياة ، التى هى «الديناموه» الذي يتيح للإنسان أن يتغلب على المصاعب التى تواجهه فى الحياة .

وحذر الله سبحانه وتعالى من القنوط ، فقال فى كتابه الكريم : «ولا تقنطوا إن الله لا يحب القانطين» ! وذلك لكى يشجع المرء على القتال ، وعلى مكافحة العقبات التى تواجهه فى حياته .

وفى الوقت نفسه ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الشر هو الأصل فى الإنسان ، وليس الخير ، وهو الذي يدفعه إلى ارتكاب الخطايا والمعاصى . فانه وعد بغفران الذنوب لمن يتوب إليه سبحانه وتعالى ، وترك الباب مفتوحا أمام المغفرة ،فقال تعالى : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء».

ومن هنا فنحن أمام حقائق فى هذه القضية .

الجمعة ٢٦/٧/٢٠٠٢ .

الحقيقة الأولى ، أن الإنسان خلق فى كبد ، وبالتالى لا جديد فيما يتعرض له من متاعب ومصاعب وأهوال ،فالمتاعب هى الأصل فى حياة الإنسان وليس هى الفرع .

الحقيقة الثانية ، هى أن الله سبحانه وتعالى أودع فى قلب الإنسان الإرادة والقوة والعقل ،الذى يمكنه من التغلب على المتاعب والعقبات والصعوبات .

الحقيقة الثالثة ،أن الله حذر من القنوت ،وحذر الإنسان من اليأس تحريضا له على الاستمرار فى الحياة حتى ينتهى الامتحان ! .. ينتهى الامتحان إما بالفشل أو بالنجاح .

والسبب فى ذلك - كما ذكرنا - أن الحياة ليست هى النهاية ، وإنما هى المقدمة للحياة الآخرة التى هى حياة أبدية .

فالله سبحانه وتعالى شاءت إرادته أن يكمل الإنسان الامتحان إلى نهايته ، وهو سبحانه وتعالى، يراقب ما يفعل للتغلب على الصعوبات التى تواجهه ، وفى نفس الوقت فلا يقبل الله سبحانه وتعالى الهرب من الحياة .

ولكن من سوء الحظ أن البعض حين تتكأكأ عليه متاعب الحياة، يتصور انه يستطيع أن يفلت منها بالموت ! فينعم حينئذ بما يطلق عليه اسم الراحة الأبدية ، وينسى انه سوف يحظى بالفعل بهذه الراحة الأبدية من الحياة الدنيا ،ولكنه قد ينتقل إلى عذاب أبدى فى الدار الآخرة . .

ومشكلة الإنسان ، أنه يعطى للدار الأولى من الاهتمام أكثر مما يعطى للدار الآخرة. وهو حمق شديد ، لأن الدار الآخرة هى خير وأبقى وهى الأولى بالاهتمام . ومشكلته أيضا انه يعتبر الحياة الدنيا هى كل شئ ، فهى تبدأ عنده بالميلاد ، وتنتهى بالموت ولا شئ بعد ذلك غير الراحة الأبدية . وينسى أن الموت بدوره هو بداية ميلاد جديد لحياة أدوم بقاء ، وهى الحياة الحقيقية ،ففيها النعيم الأبدى ،وفيها الجحيم الأبدى .

وهذه الحياة الأخرى هى ما يجب أن يكون مصدر قلق الإنسان الحقيقى ، ولا يجب أن يكون مصدر قلق الإنسان الحقيقى ، هو تلك المتاعب الدنيوية التى مهما تفاقمت فان مصيرها إلى الزوال .

ومن الغريب حقا أننا لا نجد من يعطى للآخرة قليلا من الاهتمام الذى يعطيه للحياة الدنيا ، مع أن الحياة الآخرة هى ما يجب أن يسبب القلق للإنسان الذكى الذى يؤمن بالله واليوم الآخر.

وربما لهذا السبب ما وصف الله تعالى به الإنسان فى كتابه الكريم من قوله تعالى : «قتل الإنسان ما أكفره» ! وقوله تعالى : «إن الإنسان كان ظلوما كفارا » .

حرام عليك يا شيخ خالد !

لا اعتراض لدى على ما يقوله الدعاة الجدد ، الذين يحاولون ملء الفراغ الكبير الذى تركه الشيخ الشعرواى ، والذين يتكالب الشباب على الاستماع إليهم. ولكنى فقط أدعوهم ملحا إلى تذكر أنهم يعيشون فى القرن الواحد والعشرين ، واحترام عقول المستمعين إليهم ، وإلا يفسدون أكثر مما يصلحون !

وعلى سبيل المثال ،فقد استمعت بطريق الصدفة إلى حديث للداعية الشيخ خالد الجندى على إحدى القنوات الفضائية . وقد هالنى أن الرجل يقول هذر فى موضع الجد ،فى حين أن مهمته الدينية ألا يقول إلا ما يقبله العقل ، وخصوصا العقل المتحضر .

وقد روى فيما روى - استشهادا على رحمة الله سبحانه وتعالى - أن أحد القتلة بلغ عدد قتلاه تسعا وتسعين قتيلا ، فذهب إلى أحد الصالحين يسأله عما إذا كان يمكنه أن يطمع فى مغفرة الله سبحانه وتعالى؟ فأجابه الرجل الصالح بأن من قتل نفس بغير حق فمصيره جهنم ، فما بال من قتل تسعا وتسعين ؟

الخميس ١٥/٨/٢٠٠٢ .

فـاقسم القـاتل انه سـيكمل المائة بقتله ،وقـام بالفعل بقـتل الرجل الصالح !

ثم توجه القاتل إلى رجل صالح آخر ،وسـأله عما إذا كان الله سوف يغفر له ، فأجابه بأن الله يغفر الذنوب جميعا ، ونصحه بأن يهجر القـوم الذى يعيش بينهم ، لأنهم قوم ظالمون ، وأنهم هم الذين دفعوه إلى القتل ،وطلب منه أن يهاجر إلى قوم مؤمنين . فاستمع القاتل إلى النصـيحـة ، وتوجـه إلى وادى الرحـمـة . وفى منتصف الطريق مـات الرجل، فتنازعته مـلائكة العـذاب ومـلائكة الرحمة بين النار والجنة . فأرسل الله سبحانه وتعالى جبريل ليفصل فى الأمر ،فأفتى بقياس المسافة بين الموقع الذى مـات فيـه القـاتل وبين وادى الرحـمـة ووادى العـذاب ، وأيهـمـا أقـرب يدخله فيـه. فـرفع الله الأرض وقـرب وادى الرحمة ليدخل القاتل الجنة !

هذا هو نوع الخرافات التى يشيعها هؤلاء الدعاة الجدد ،وقد يبدو أنها خرافات ساذجة ،ولكن الخرافة التى أذاعها الشيخ خالد الجندى ، تحتـوى علـ بعض النقـاط التى لا يمكن إدراجـهـا فى سلك النوايا الطيبة.

وأولها تبرئة القـاتل من الجرائم التى أرتكبها ،وإلقاء المسئولية على المجتمع الظالم الذى عاش فيه القاتل . فالمجتمع مسئول والقاتل غير مسئول!

ثانيا ، استباحة القتل إلى هذا الحد المهول ، وهو مائة قتيل مادام القاتل سوف يتوب إلى الله فى نهاية الأمر !

وهذا كلام خطير ، ويخالف الدين لأن الجرائم نوعان كبائر وصغائر ، والكبائر وعلى رأسها جريمة القتل . حدد الله سبحانه وتعالى طريقة القصاص والغفران منها ، بما يعرفه جيدا الشيخ خالد ، وليس منها إلقاء المسئولية على المجتمع الظالم ، أو نية التوبة .

ووفقا لقصة الشيخ خالد الجندى ، فانه يمكن لقتلة السياح فى الدير البحرى أن يفلتوا من عقاب الله ،إذا هم استغفروا الله قبل موتهم الله سبحانه وتعالى ،ولسبب آخر هو أن المسئولية لا تقع عليهم ، وإنما تقع على المجتمع الظالم الذى نشئوا فيه !

فهل هذا الفكر الذى يحقن به هؤلاء الدعاة عقول شبابنا مما يخدم مستقبل هذا البلد بهؤلاء الدعاة . وفى أى شرع من الشرائع السماوية يدخل قاتل مائة نفس الجنة لمجرد أنه أظهر التوبة بحجة أن المجتمع هو المسئول عن هذه الجرائم ؟

عودة إلى الشيخ خالد!

وصلتني رسائل احتجاج من بعض القراء على ما كتبته عن الشيخ خالد الجندي ، الذي ذكر أن الله سبحانه وتعالى يغفر للقاتل عمدا إذا استتابه ! وقد قلت إن القتل من الكبائر التي حرمها الله سبحانه وتعالى ورسوله ، وأن دعواه أن الله سبحانه وتعالى يغفر للقاتل عمدا يشجع على القتل! وفي الوقت نفسه يهون مما ارتكبه السفاحون من جماعات التكفير من القتل عمدي! وبذلك يكون الله سبحانه وتعالى قد غفر لقتلة الشيخ الذهبي ، وغفر لقتلة السادات ،وغفر لمرتكبي المذابح ضد السياح في الدير البحري، وغير ذلك !

إن الاستهانة بجريمة القتل العمد،ودعوى أن الله يغفر لمرتكبها إذا استتابه ، هو دعوة صريحة للقتل العمد !

وقد طلب مني أحد من أرسل لي هذه الخطابات الرجوع إلى كتاب «إحياء علوم الدين» للأمام أبي حامد الغزالي للتأكد من صحة ما قاله الشيخ خالد! والطريف انه كتب كلمة «إحياء» في شكل «أحياء » ـ

الخميس ٣/١٠/٢٠٠٢ .

بهمزة فوق الألف ـ مع أن الفرق بين إحياء وأحياء ، فرق جسيم كما يلاحظ القارئ !

وقد ذكر آخر أن صحة توبة القاتل عمدا أمر مؤكد أجمع عليه العلماء ،فيما عدا ابن عباس ! وقال إن هذا وارد فى كتاب «صحيح مسلم والبخارى» «اللؤلؤ و المرجان» صفحة ٢٤٥ !

وقد كرر آخر هذا الكلام ،وطلب منى أن أرجع إلى كتاب رياض الصالحين .

وإجماع العلماء على صحة قبول توبة القاتل عمدا، لا يلزمنا بقبول هذا الرأى ،كما انه لم يلزم ابن عباس ! مع تحفظاتنا بأن الله سبحانه وتعالى أعلم بالسرائر !

إن الأمر الذى يلزمنا هو ما يقول به العقل ، ولسنا فى ذلك بسبيل الاستشهاد بما أورده القرآن الكريم من دعوة إلى استخدام العقل ،وهى كثيرة يعرفها الجميع!

فلا يعقل أن يرتكب المجرم جريمة القتل عمدا ،وهو يعلم ما قاله الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم من أن النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص .

ومن هنا حين يأتى الشيخ خالد ، ويزعم لنا أن أحد القتلة قتل ٩٩ نفسا بشرية ، ثم أكملها مائة بمن اعترض عليه ، ثم غفر الله له ! فإننا نقول له إن هذا أقل ما يقال فيه أنه تخريف ! وهو بعيد كل

البعد عن العقل و الدين ! ولو كان الشيخ خالد أحد هؤلاء المقتولين لما غفر للقاتل جريمته الشنعاء !

وعلى كل حال ، فسوف نعالج فى مقال آخر تخريفات بعض الدعاة مما يضر بنهضتنا الدينية ، ويعود بنا إلى ما قبل الإمام محمد عبده !

القابضون على الجمر

واضح مما نقرأه فى الصحف اليومية ، أن عدد القابضين على الجمر فى بلدنا يتناقصون! وعلى الرغم مما تبذله الدولة من محاربة للفساد ،وصلت إلى عنق كبار المسئولين والمحافظين وأصحاب المراكز ، فإن الفساد ينتشر انتشار النار فى الهشيم ، حتى كاد أن يصبح هو الأساس فى كثير من الأعمال العامة ، وعلى رأسها البنوك !

الأمر الذى ترتب عليه ضياع أموال هائلة من أموال الدولة تعد بالمليارات ، مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ مصر على مر العصور ! وهو الأمر الذى أصبح يتطلب ـ بشكل عاجل ـ فحص ثروات هؤلاء المسئولين ومراقبة تصرفاتهم ، وسوف تكتشف الدولة أن الكثير من الفساد ينبع من هنا ،وانه لم يحصل صاحب قرض على قرض بدون أن يدفع نسبة معينة من المبلغ الذى يحصل عليه فى شكل رشوة مستترة .

ولعله قد سبق لى أن كتبت مقالا فى هذا الصدد ، فى جريدة الأهرام ومجلة أكتوبر ، أوضحت فيه ـ من واقع تجربة شخصية ـ أن

الأحد ٢٠٠٢/٩/٨ .

المبلغ الذى كان يطالب به مدير أحد البنوك مقابل قرض طلبه بعض المستثمرين وصل إلى ٣,٥ مليون جنيه !

وهو أمر خلق من هذه الفئة من الموظفين طبقة من أصحاب الملايين ، وأفقد الدولة مليارات من الجنيهات ،حتى أننى اقترحت فى مجلس الشورى أثناء فحص ميزانية الدولة أن تتضمن الميزانية فى المستقبل بندا ثالثا ، إلى جانب بندى الإيرادات والمصروفات ،تحت عنوان ما يتوقع سرقته من المال العام فى العام المالى المذكور !

وبسبب هذه الثروات الطائلة التى يكسبها الفاسدون ، وجد الشعب المصرى نفسه أمام مستوى من الإنفاق الذى ينفقه الفاسدون ، يتجاوز كل منطق وعقل. وفى الوقت نفسه ، وبسبب ضعف إمكانيات جهاز الرقابة الإدارية ، رغم ما يبذله من جهود خارقة ، فان الأمر بدا فى عين الكثيرين من أفراد شعبنا أن الدولة تغمض عينيها عن الفساد ، وانه فى وسع كل سارق أن ينعم بما يسرقه ولا جناح عليه، ولا سبيل إلى كشفه وتقديمه إلى العدالة.

وقد كان فى ذلك تشجيع كبير على الفساد ،حتى أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر بالفعل ! فالمغريات أصبحت هى الأصل ، وعروض الرشوة على المسئولين فى الأجهزة الحكومية أصبحت جزءا لا يتجزأ من العمل !

أما الأحياء فى كل محافظة فان الأجهزة الإدارية فيها أصبحت من منابع الفساد فى البلد، حتى لقد اقترحت فى أحد مقالاتى أن تعلق الأحياء على أبوابها قائمة بأسعار الرشوة المطلوبة لأداء كل عمل !

ولم يحدث شئ من ذلك ،ولكن الذى حدث تماما هو ما تكشفه الصحف من يوم لآخر من القبض على المهندس فلان أو المهندس علان من المسئولين فى الأحياء لضبطه فى تقاضى رشوة !

وهذا كله يبين إلى أى حد تناقص عدد القابضين على الجمر فى بلدنا ـ أى تناقص عدد المتمسكين بدينهم! بعد أن أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر !

وهو أمر محزن حقا ، ولكن له ما يبرره، ولعل الدولة تضاعف جهودها فى حماية أبناء الوطن من الفاسدين والمفسدين .

المفسدون بين الإمهال والأهمال

شاءت رحمة الخالق ألا يسارع بأخذ الناس بذنوبهم ، وإنما شاءت حكمته تعالى أن يمهلهم علهم يتوبوا وينصلح أمرهم . ولذلك ورد فى كتاب الله الكريم : «ولو أخذ الله الناس بذنوبهم ما ترك على ظهرها من دابة».

والله تعالى يعرف أن الإنسان ظلوم كفار، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الرسل لكى يعدل الناس عن ظلمهم وكفرهم. ولان الله تعالى يعرف جيداً أن عدول الإنسان عن غيه وظلمه ليس بالأمر اليسير ، وإنما يحتاج إلى مجاهدة النفس ،حتى تعدل عن الطريق الخطأ وتعود إلى الطريق المستقيم. فقد شاءت إرادته سبحانه وتعالى أن يمهل الإنسان وقتا كافيا حتى يعدل عن ظلمه ويتوب إلى ربه. فإذا طال الإمهال ولم يرتدع الإنسان ولم يصحح أخطاءه وآثامه، فهنا يأتى عقاب الله كالصاعقة ! يقول الله سبحانه وتعالى: «إن بطش ربك لشديد» ، وهذا ما نراه ونقرأ عنه كل يوم فى صحفنا وفى صحف العالم .

الأثنين ٢٠٠٢/٩/٩ .

فنواب القروض على سبيل المثال أتيحت لهم الفرصة مرة ومرات لكى يرتدعوا، ولكنهم لم يرتدعوا! فجاء بطش الله سبحانه وتعالى ، فسقطوا من حالق إلى أسفل الأسفلين. كذلك أصحاب المراكز الكبيرة الذين ينسون الله سبحانه وتعالى ، وينسون شرفهم ،ويتقاضون الرشوة ، ويظنون أنهم سوف ينعمون بما حصلوا عليه !-فهم ينعمون بالفعل بعض الوقت ، ولكن عندما يستنفدوا الفرص التى منحها الله سبحانه وتعالى لهم للتوبة ، هنا تأتى ضربته الباطشة من حيث لا يحتسبون ، فإذا بهم قد سقطوا من حالق ، وإذا ما نعموا به ينقلب عليهم وبالا ونكالا.

هذا الإمهال من الله سبحانه وتعالى للمفسدين والمجرمين ، قد خفيت حكمته عن الأشقياء فظنوا أنهم سوف يفوزون بما غنموا من حرام إلى الأبد ،وأن الله سبحانه وتعالى غافل عما يعملون .

ومن هنا يتصور الكثير من البشر أن عين الله قد غفلت عما يعمل المجرمون ، وأنهم يستطيعون أن يحذوا حذوهم دون أن ينالهم أى ضرر، فينتشر الشر ، وينخدع الناس فى ذلك ،ويقول الأشقياء لأنفسهم لماذا لا يفعلون كما فعل من سبقوهم ممن سرقوا أموال الدولة ونهبوا ولم يحدث لهم ضرر.

ولكن عين الله لا تغفل ولا تنام فسرعان ما يقرءون فى الصحف عن القبض على فلان وعلى علان من ذوى السلطة والمراكز الرفيعة ، ويكون هذا جرس الإنذار الذى يوقظ البعض ، ولا يوقظ البعض الآخر. فالبعض الذى لا يستيقظ يتوهم أن ما حدث لمن أكتشف أمره ووقع فى قبضة السلطة سوف لا يحدث له ، وأنه أذكى وأحرص من أن

تناله يد العدالة ،ولكنه لا يلبث أن يقع فى يد السلطة على الرغم من كل ما أتخذ من احتياطات.

فحكومتنا مثل أية حكومة فى العالم لا تستطيع أن تمنع الجريمة ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تتستر على جريمة ،لسبب بسيط انه ليس من مصلحة أية حكومة أن تتستر على جريمة. ومن هنا لا يفلت المجرم من الوقوع فى قبضة السلطة .

واضح هنا أن الإمهال قد خدع الكثيرين ، فسقطوا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه سابقوهم من الفاسدين ، فالكثيرون ينسون حكمة الإمهال ! إنهم ينسون أن الإمهال إنما هو لإعطاء الفرصة للبشر لكى يعدلوا عن سلوكهم وعن غيهم ، وعن ظلمهم وإجرامهم ويعودون إلى كتاب الله وإلى تعاليمه.

والغريب أن شعبنا قد حذر من الوقوع فى هذا الخطأ فقال قولته الشهيرة «إن الله يمهل ولا يهمل» ! فالله بالفعل يمهل ولكنه لا يهمل ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومن هنا سوف تقع الكثير من الجرائم تحت وهم أن الله غافل عما يفعل المجرمون، ولكن الله تعالى ليس بغافل عما يفعل المجرمون ،وعلى هؤلاء أن ينتظروا بطش الله سبحانه وتعالى فى أية لحظة ،وقد رأينا هذا البطش فى كثير ممن نخالطهم من الأحياء فانقلب أمرهم من أعزة إلى أذلة، ومن كبار إلى صغار ! لقد نسوا حكمة الله من الإمهال ،فباغتتهم البطشة الكبرى من حيث لا يحتسبون !

معركة الفريق أحمد شفيق

فى إحدى جلسات مجلس الشورى فى الدورة السابقة قلت ما معناه إن وضع الإدارة الحالية فى مصر يشبه سيارة كاديلاك من أحدث طراز تدار بموتور قديم من القرن التاسع عشر! وقلت إنه ما لم يتم تجهيز هذه السيارة بموتور حديث يناسب الطراز فإن السيارة سوف تتعرض لأعطال متكررة، وقد ينتهى بها الأمر للتكهين قبل الأوان.

وقد جاء البرهان الدامغ على هذا الكلام فى حديث وزير الطيران المدنى الفريق أحمد شفيق، عندما تحدث عن فوضى الإدارة فى مطار القاهرة! فقد ذكر أنه لا توجد فى هذا المطار الذى هو مطار أكبر دولة فى العالم العربى، ما يعرف فى علم الإدارة بوحدة الأمر والقيادة! فعلى حد قوله «إنه لا يوجد رئيس لإدارة ميناء القاهرة الجوى! وإن هناك عددا من الجهات التى تعمل داخل ميناء القاهرة الجوى وإن كل جهة تخاطب رئيسها المباشر، ولا علاقة لها بالجهة الأخرى فى إطار التنسيق والتعاون، وإن الميناء الجوى يدار بطريقة كل فى واديه».

الثلاثاء ٢٨/٥/٢٠٠٢ .

هذا الكلام الذى قاله الفريق أحمد شفيق معناه أن الإدارة فى مطار القاهرة قد تجاهلت كل ما طرأ على علم الإدارة العامة وعلم إدارة الأعمال من تطور على مدى نصف القرن الأخير؛ مع أن هذا التقدم فى علم الإدارة، إنما هو السبب الأساسى فى التقدم الهائل الذى طرأ على وسائل الإنتاج فى نصف القرن الأخير.

عندما درست علوم الإدارة فى معهد الإدارة العامة منذ زمن، أبديت تعجبى من جهل المديرين فى بلدنا ورؤساء الأقسام الإدارية بعلم الإدارة وقلت لو كنت مكان المسئولين عن التعيين، وأردت تعيين أحد فى موضع المسئولية، لتحققت أولا من أنه قد درس علم الإدارة، لكى أضمن سير العملية الإدارية وفقا للقواعد العلمية الإدارية، وليس وفقا للمزاج والأهواء الشخصية.

وقد ثبت لى أن جميع السلبيات التى تعانى منها الإدارة المصرية مبعثها الخلل الإدارى الناتج من تجاهل القواعد التى وضعتها علوم الإدارة الحديثة.

فالإدارة الحديثة تقوم على وحدة الأمر، وعلى التنظيم الإدارى العلمى، وعلى شبكة محكمة من خطوط الاتصال بين الأجهزة المختلفة.

ولاشك أن الفريق أحمد شفيق، بكفاءته المعروفة الممتازة، قد وضع يده على مواطن الخلل فى هذا الجهاز الهائل، وأنه قد بيّت النية على التصدى للأخطاء والسلبيات الكبيرة ولكنى أتنبأ من التجارب السابقة أنه سوف يواجه مقاومة شديدة من المستفيدين من وجود هذه السلبيات.

فايزة أبو النجا.. وسلاح المقاطعة!

الوزيرة فايزة أبو النجا ، وزيرة الدولة للشئون الخارجية ، تعرضت فى الأيام الماضية لهجوم بعض الصحف الوطنية لأنها تحدثت عن سلاح المقاطعة حديثا واقعيا ، فقد وصفته بأنه ليس من مصلحة مصر أن تكون هناك مقاطعة للمنتجات الأمريكية ، لأن هذه المنتجات فى مصر برؤوس أموال مصرية ،ويستوردها مصريون ، وتعمل بها عمالة مصرية ، وأوضحت «أننا نؤذى أنفسنا وأبنائنا بالمقاطعة ونؤذى المستثمرين المصريين فى المقام الأول».

وهذا الكلام من الوزيرة فايزة أبو النجا كلام شجاع يستحق التحية، لا الهجوم ، لأنه كلام واقعى لا ينساق وراء التضليل الذى يضلل به أصحاب المصالح تحت ستار الغيرة الوطنية ،والدفاع عن القضية الفلسطينية .

منذ أن ظهرت إسرائيل إلى عالم الوجود، والعرب يرفعون فى وجهها سلاح المقاطعة. ولم يؤثرهذا السلاح فى إسرائيل أى تأثير.

الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/٢٨ .

ففى ظل هطا السلاح تحولت إسرائيل لإمبراطورية،فقد استولت على سيناء فى حرب ١٩٥٦، ولم تخرج منها إلا بمقايضة هى مرور ملاحتها فى خليج العقبة. ثم احتلت سيناء مرة أخرى فى عام ١٩٦٧ ومعها الجولان والضفة وفى خلال ذلك ، لم تتأثر إسرائيل بالمقاطعة العربية أيما تأثر، لسبب بسيط هو أن المقاطعة اتخذتها بعض البلاد العربية للاستغلال ،والابتزاز والتجارة مع شركات المقاطعة .

كما أتخذها مكتب المقاطعة بدمشق وسيلة لإرهاب المفكرين المصريين وغيرهم لصالح جبهة الصمود والتصدى الفاسدة .

وقد فضح ذلك الكاتب الكبير المرحوم أحمد بهاء الدين فى أحد أعمدته بجريدة الشرق الأوسط فى حينها ،فتحدث عن كيف أن مكتب المقاطعة بدمشق يبتز الشركات العالمية ويهددها بالمقاطعة ، ويعفيها من المقاطعة عند الدفع وغير ذلك من الوسائل القذرة التى اتبعها هذا المكتب .

والمهم أن الدول العربية لم تحقق أى إنجاز ضد إسرائيل بسلاح المقاطعة ، فى الوقت الذى كانت إسرائيل تمد جسورها التجارية والاقتصادية عبر العالم الخارجى ، فى ظل الهيمنة الأمريكية ،وتقيم علاقاتها الاقتصادية مع كل دول أفريقيا وآسيا ،ولم ينل الدول العربية التى اتخذت سلاح المقاطعة غير الخسارة التى نالتها من قطع علاقاتها مع الشركات العالمية التى تتعامل مع إسرائيل .

لم تتـأثر إسرائيل أيمـا تـأثيـر بسـلاح المقـاطعـة ، فى الوقت الذى تاثرت فيـه البلاد العربيـة التى استخدمت سـلاح المقاطعة ، والدليل على ذلك انه فى الوقت الذى كانت تستخدم البلاد العربية فيه سـلاح المقاطعة ، كانت إسرائيل تنمـو اقتصاديا وعسكريا واجتماعيا وتنمو علاقاتها السياسية بالعالم الخارجى ،مما كان يعوضها كثيرا عن هذا السلاح المغلول .. المغلول فى يد من استخدموه .

فايزة أبو النجا .. وسلاح المقاطعة (٢)

كانت مصر بالذات هى المتحمسة لاستخدام سلاح المقاطعة، ضد إسرائيل بعد أن أضافت إليها صيحة مقاطعة البضائع الأمريكية، وبطبيعة الحال لم يؤثر ذلك أيما تأثير لا على إسرائيل، ولا على الولايات المتحدة. فلم نر الاقتصاد الإسرائيلى ينهار بسبب المقاطعة العربية، ولم نر الاقتصاد الأمريكى ينهار بسبب هذه المقاطعة، وإنما أثر على مصر وعلى البلاد العربية، وعلى الرأسمالية الصغيرة التى تستخدم سلاح المقاطعة، أما الرأسمالية الكبيرة والدول العربية استخدمت سلاح المقاطعة استخداما مضحكا للغاية، فلم تتوقف عن شراء السلاح من أمريكاوشراء القمح، وشراء كل المنتجات التى تحتاجها دون أى اعتبار لسلاح المقاطعة.

والمهم أنه فى ظل سلاح المقاطعة الذى أشهرته البلاد العربية فى وجه إسرائيل، كانت إسرائيل تتقدم باستمرار ، فى حين كانت البلاد العربية تتخلف باستمرار... تتخلف ليس بسبب استخدامها سلاح

الأربعاء ٢٠٠٢/٦/١٩ .

المقاطعة، وإنما لأن لديها أسبابها للتخلف، وفى الوقت نفسه عدم أخذها بأسباب التقدم التى اتخذتها إسرائيل، وهى التقدم فى السلاح والتقدم الاقتصادى ، التقدم فى التعليم.

ولعل تحدثت عن سلاح المقاطعة الأخير فى مصر بمناسبة الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين واحتلال المدن الفلسطينية. كما دفعت تعبئة الجماهير المصرية ضد إسرائيل إلى مقاطعة بعض المحلات ذات الأسماء الأمريكية، وقد قلت إن هذا تضليل فى تضليل، لأن هذه المحلات ليست أمريكية، وإنما هى ذات أسماء أمريكية التمويل والاقتصاد بالإضافة إلى أنها تعمل بما أيد عاملة مصرية سوف تتأثر حتما من المقاطعة، فى حين لا تتأثر الولايات المتحدة ولا إسرائيل.

لذلك تعجبت كثير عندما هاجمت بعض الصحف الوطنية فى مصر وزير التعاون الدولى عندما تكلمت بلغة واقعية عن حقيقة سلاح المقاطعة، بما يكشف الجوانب الإيجابية والسلبية فيه ومدى تأثر الطرفين بهذا السلاح، والطرف الإسرائيلى الأمريكى والطرف المصرى.

فمن المحقق أن الوزيرة كانت محقة حين تكلمت بهذه اللغة الواقعية بهذه الشجاعة، ولكنها لغة لا تعجب بعض الللذين يحسنون الظن بسلاح المقاطعة دون أن يهتموا اهتمامًا كبيرا بدراسة آثاره على الانب الإسرائيلى والأمريكى من ناحية، وعلى الجانب المصرى والعربى من ناحية أخرى.

لذلك فإنى أكتب هذا المقال أحيى فيه وزيرة التعاون الدولى من جهة، وأرجو صحفنا الوطنية أن تتناول هذه القضية وتتحدث عنها بعين واقعية، وليست بعين تغلب العاطفة على العقل.

ولا ننسى فى هذا الصدد أن أكبر المطبعين فى العالم هم الفلسطينيين أنفسهم، ليس لأنهم يريدون ذلك، وإنما لأنهم واقعيون، فهم لا يمكلون إلا أن يطبعوا ويعلموا فى خدمة الاقتصاد الإسرائيلى ويشترون البضائع الإسرائيلية ويتنفسون المناخ الإسرائيلى.

وبالنسبة لمصر فلا تطلب أكثر من الواقعية، ودراسة فاعلية السلاح الذى نستخدمه، وإلا كنا فى موقع تهويش، فالسلاح الذى لا يحدث أى أثر للخصم هو سلاح تهويش، وليس سلاح فعال بأى حال من الأحوال.

ومازلت أقوى أن السلاح الفعال فى محاربة إسرائيل هو سلاح التقدم، التقدم الاقتصادى والاجتماعى والعسكرى من جانب مصر والبلاد العربية، والخروج من حالة التخلف التى تعانيها الكثير من البلاد العربية، وبعض النواحى الاقتصادية، ولعله آن الأوان لأن تدرس الدول العربية دراسة جادة وعلمية ووافية، مدى ما أضرت به إسرائيل من سلاح المقاطعة، ومديما أضرتبه نفسها. وفى الوقت نفسه فإننا نضحك على أنفسنا عندما نستخدم سلاح المقاطعة فى إغلاق بعض المحلات التجارية، فى حين أننا لا نعبأ بهذا السلاح بأى شكل من الأشكال فى المسائل الجادة مثل تجارة السلاح والأغذية والقمح والبترول.

فارس الدبلوماسية.. الذى رحل

فقدت مصر فى الأسبوع الماضى أحد أبرز سفراء الدبلوماسية المصرية ، ومقاتلا قوى الشكيمة دافع عن مصر فى المحافل الدولية ، وهو السفير تحسين بشير.

وتحسين بشير كان متحدثا رسميا باسم الرئيس عبد الناصر أولا، ثم باسم الرئيس السادات ثانيا ، ثم عين ممثل مصر فى جامعة الدول العربية ،ثم سفيرا لمصر فى كندا ، ومثل مصر فى كثير من المؤتمرات الدولية . فكان على رأس أكفأ المتفهمين للقضايا التى يدافع عنها ، وأشرس المقاتلين الذين يدافعون عنها .

كان لى حظ الاشتراك مع السفير تحسين بشير ،فى الدفاع عن القضية الفلسطينية فى عدة مؤتمرات دولية ، فى الولايات المتحدة وسويسرا وإنجلترا والنمسا. وقد أعجبت بفهمه العميق للقضايا التى يدافع عنها ، وقدرته الفائقة على عرض دفاعه بأسلوب سهل ومنطق مفحم ،وكان محل احترام شديد من جميع الدبلوماسيين الدوليين .

الأربعاء ١٩/٦/٢٠٠٢ .

كنت أشعر أننى أمام أستاذ فى الدبلوماسية ، وكانت قدرته وتبحره فى اللغة الإنجليزية يعطيه القدرة الفائقة على المناورة ، ومحاجة الخصم ، وإفحامه.

وقد اشترك معنا فى هذه المؤتمرات أساتذة ووزراء ودبلوماسيين كبار لهم باع طويل فى فهم القضية الفلسطينية ،منهم الأستاذ الدكتور محمود محفوظ ، والأستاذ الدكتور عادل صادق ،والسفير أحمد جمعة، والدكتور محمد شعلان ،مع دبلوماسيين أمريكيين كبار، استضافتهم جمعية الطب النفسى الأمريكية وغيرها من الجمعيات والجامعات المهتمة بقضايا السلام .

كما اشتركت شخصيات فلسطينية مرموقة ،مثل حاتم أبو غزالة وفايز أبو رحمة وحنا سينيورا وإلياس فريج وغيرهم ،ورموز حزب العمل وحركة السلام فى إسرائيل ومنهم السفير شيمون شامير سفير إسرائيل السابق فى مصر ،الذى قدم استقالته من منصبه احتجاجا على سياسة حكومة الليكود التى كان يمثلها والبروفيسور جابى فاريورج المتخصص فى الشئون المصرية والسودانية .

كان تحسين بشير هو الفارس المغوار فى كل هذه المفاوضات ، وكانت صلاته الدولية تتيح له عمل تسهيلات كثيرة ، والتوصل إلى حلول وسط فكان خير عون .

وقد انصرف تحسين بشير فى الفترة الأخيرة من حياته ،إلى إلقاء المحاضرات فى الجامعات الأمريكية وغيرها من الجامعات العالمية التى كانت تستضيفه باعتباره حجة فى الشئون الخارجية ، فكان خير ممثل لمصر وناطق باسمها ،ومدافع عن قضاياها .

توجان الفيصل!

فى حياتنا العربية المعاصرة شخصيات تشعر المرء بان الأمة العربية تستحق أن تعيش ، مهما تزايدت أعداد المنافقين والمضللين والمزايدين والفاسدين. ومن هذه الشخصيات المناضلة توجان الفيصل ،وهو اسم لا تعرفه الغالبية العظمى من المصريين ، ولكنه ظل يشغل بال الشعب الأردنى وقتا طويلا ، كما انه ظل يشغل بال الفكر العربى المعاصر ، لشجاعتها الفائقة التى لا تأبه بعقاب أو انتقام لما تقول أو تفعل مادام انه فى خدمة الحق والعدل والطهارة السياسية .

وقصة توجان الفيصل ، من القصص التى لا يمكن أن تحدث فى مصر ، لسبب واحد هو أن فى مصر يستطيع كل مواطن أن ينقد أى وزير أو رئيس الوزراء أو رئيس الدولة نفسه ، دون أن يتعرض لتنكيل السلطة.

لقد هاجمت توجان الفيصل رئيس الوزراء الأردنى ، واتهمته بالفساد ، فأحيلت إلى القضاء العسكرى -لا المدنى وحكم عليها

الأثنين ٢٠٠٢/٥/٢٨ .

بالحبس لمدة عام ! ولم تجد للخلاص من هذا الظلم إلا أن تعلن الإضراب عن الطعام ، واستمرت فى ذلك بعناد وشجاعة حتى كادت تلفظ النفس الأخير ، وإزاء ذلك أصدر الملك عبد الله بن الحسين أمرا بالعفو عنها بعد شهرين قضتهما فى الحبس ،فخرجت لتعلق على هذا العفو قائلة : أنها تستحق هذه الحرية !

وفى اعتقادى انه ما دامت مثل هذه الأمور تحدث فى عالمنا العربى، فيزج بمثقفة مناضلة ثورية فى السجن ، لأنها هاجمت رئيس الوزراء فى بلدها ،فان الأمر سوف يتطلب وقتا طويلا، حتى يمكن القول إن بلادنا العربية قد أصبحت تناطح الغرب فى مجال الحريات.

فالحرية فى كل الأحوال سوف تظل المعيار الرئيسى فى الحكم على أى نظام عربى ، وما إذا كان نظاما حرا أو نظاما استبداديا .

ولا ننسى فى هذا الصدد أن إسرائيل ما تزال تحارب العالم العربى بهذا السلاح ،فهى تصور نفسها أمام العالم بأنها بلد الحريات، على الرغم من أنها فى كل الأحوال بلد عنصرى يميز بين الإسرائيليين والفلسطينيين فى الأجور والخدمات وغيرها ،فضلا عن التنكيل الوحشى بالفلسطينيين .

ولعل عالمنا العربى يفطن إلى أنه يُضرب بسلاح الاستبداد ،أكثر مما يُضرب بسلاح الضعف العسكرى. ومن هنا فان قضية مثل قضية توجان الفيصل ، تسئ إلى سمعة البلاد العربية ، أكثر مما تسئ أية قضية أخرى لفالعالم الغربى ينظر إلى هذه القضية ومثيلاتها ، على

أنها مظهر من مظاهر التخلف الحضارى ! ومن هنا ففى حين إننا ننبه إلى خطورة هذه القضايا على سمعة البلاد العربية ، فإننا لا ننسى أن نحيى الملك عبد الله بن الحسين على عفوه الذى رتق ثقبا فى الديمقراطية الأردنية .

سعد هجرس خسرته مصر!

لم أكن أدرى انه آخر لقاء بينى وبين المهندس سعد هجرس ، عندما قابلته فى لجنة الشئون العربية بمجلس الشورى ، منذ أسابيع قليلة.

كانت لجنة الشئون العربية ،وعلى رأسها الدكتور فتحى البرادعى ، حريصة على أن تستنير برأى المهندس سعد هجرس ،عن طريق استمارته من لجنة الزراعة والرى . وكان المهندس سعد هجرس حريصا على تلبية هذه الدعوة ،حتى أننا كنا نراه-أعضاء اللجنة -أول الحاضرين .

ومع أنى أعرف المهندس سعد هجرس منذ أكثر من أربعين عاما ، من خلال مؤلفاته وكتاباته عن الإصلاح الزراعى ، فإنى لم أتعرف عليه شخصيا إلا فى مجلس الشورى ،ومن خلال التقارير القيمة التى اشرف عليها باعتباره رئيس لجنة الزراعة والرى .

السبت ٢٠٠٢/٧/٢٠ .

وقد أتيحت لى فرصة أكبر للتعرف عليه وعلى فكره فى لجنة الشئون العربية ، واكتشفت فيه- رغم الهدوء الذى يتسم به -شخصية عملاقة فريدة تمتلئ علما وخبرة ، لا تتوافر للكثيرين فى بلدنا .

وأذكر أننى فى آخر اجتماع حضره فى لجنة الشئون العربية والأمن القومى ، طلبت منه فى إلحاح أن يكتب مذكراته ، موقنا أنها سوف تكشف عن حقبة مهمة من تاريخ مصر ، هى الحقبة التى تم فيها إجراء الإصلاح الزراعى لأول مرة فى تاريخ مصر ، وما صاحب ذلك من تحولات هامة اجتماعية فى الريف المصرى .

وقد ابتسم ووعد بان يلبى الدعوة إذا سمحت ظروفه .

ولم تسمح ظروفه ! فقد اختاره الله سبحانه وتعالى إلى جواره ، لتخسر مصر بفقد سعد هجرس ،خبرة علمية كبيرة ،قل أن تتوافر فى غيره .

وهو أمر مؤسف ومحزن معا ! فمصر فى السنوات الأخيرة تخسر باضطراد سنويا عددا كبيرا من مفكريها ومثقفيها وسياسييها وعلمائها ، وهو عدد يصعب كثيرا تعويضه، وهذه الخبرات تمضى إلى الموت دون أن تسجل تجربتها فى الحياة .

ومعنى ذلك ضياع جزء كبير من تاريخ مصر الاجتماعى والسياسى والثقافى دون تسجيل. وهى خسارة كبيرة. ولهذا فمنذ وقت طويل فإنى لا أكاد أترك فرصة تسنح لى لمقابلة شخصية مصرية مسئولة أو ذات خبرة ،حتى أطالبه بكتابة مذكراته ،حرصا على تاريخ مصر من الضياع.

ويعض الناس يرفض من باب التواضع ، والبعض الآخر يعد ولا يفى ، ثم يدهمه الموت ،كما حدث بالنسبة للصديق الراحل المرحوم سعد هجرس ، ولست أدرى كيف يمكن حمل سياسيينا ومفكرينا على كتابة مذكراتهم ؟ مع أن الأمر لا يتطلب ممن يريد تفادى مشاق الكتابة أكثر من إملاء هذه المذكرات على كاسيت ،لتفرغ فيما بعد .

ومن هنا اعتقد أن مصر قد خسرت بفقد سعد هجرس خبرة كبيرة ، وتاريخا مهما يتعذر على غيره كتابته ، واعتقد أن مصر لن تستطيع تعويض سعد هجرس إلا بعد وقت طويل ، ولن يستطيع مجلس الشورى تعويض هذا العالم المصرى الكبير بسهولة.

كما أننا فى لجنة الشئون العربية والخارجية والأمن القومى ، سوف نفتقد علم وخبرة سعد هجرس وهو أمر مؤسف ومحزن .

خالد محيى الدين (١)

يبلغ خالد محيى الدين ، رئيس حزب التجمع ، عامه الثمانين فى هذه الأيام ، وقد أعد حزب التجمع بهذه المناسبة حفلا لتكريمه .

والسيد خالد محيى الدين يستحق بالفعل كل تكريم ،فهو من أنقى العناصر التى أفرزها تنظيم الضباط الأحرار ،كما انه من أكثرهم اتساقا مع نفسه ومع أخلاقه ومثالياته. وتاريخه قبل الثورة وبعدها يشهد له بالنقاء الثورى والتجرد ، ووضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار .

وقد قادته مثالياته إلى الانضمام أولا إلى صفوف الأخوان المسلمين ، بحثا عن العدل الاجتماعى ،ولما فشل فى الوصول إلى بغيته، تحول إلى الفكر الماركسى طلبا لهذا العدل الاجتماعى نفسه .

وبالتالى فهو يجمع فى شخصه بين فكرين ، قد يبدوان متناقضين، ولكن يجمعهما البحث عن العدل . فهو ليس متعصبا لغير فكرة العدل ، ولا شئ آخر . وبسبب انعدام روح التعصب فى فكر خالد

---

(١) الاثنين ٢٠٠٢/٨/٢٥ .

محيى الدين ، وبسبب انحيازه لفكرة العدل ،فانه كان الضابط الوحيد في مجلس قيادة الثورة الذى رفض فكرة الديكتاتورية ، التى انحاز إليها معظم ضباط ثورة يوليو ، ووقف مدافعا صلبا عن الديمقراطية .

ومن الطبيعى أن هذا الموقف وضعه فى موضع التصادم مع بقية أعضاء مجلس الثورة ،على نحو جعله يدفع ثمنا غاليا. فقد كان خالد محيى الدين هو العضو الوحيد الذى لم يغترف من مغانم الحكم ،إذ أبعده عنه عبد الناصر.

وللأمانة فقد كان يشاركه فى هذا الموقف الشريف والشجاع ضابط يسارى آخر، هو يوسف صديق الذى يعد ،باعتراف الجميع أول من أسقط قيادة القوات المسلحة ، فى الوقت المناسب ،بعد أن انتبه فاروق إلى خطر تنظيم الضباط الأحرار .

وقد كاد خالد محيى الدين فى أزمة مارس١٩٥٤ ، يدفع حياته ثمنا لموقفه الشجاع ، إلى جانب الديمقراطية ! ولكن شخصيته الفريدة الجذابة المتعقلة ، أنقذت عنقه !

وعلى كل حال ،فإذا كان خالد محيى الدين يعد من ضباط ثورة يوليو ، فانه لا يعد من رجال حكومة ثورة يوليو ، فلم يشارك فى حكم عبد الناصر بأية صورة من الصور ، وبالتالى فهو برئ من انتهاكات عبد الناصر لحقوق الإنسان ، كما انه برئ من الهزائم العسكرية التى ارتكبها ثنائى عبد الناصر عبد الحكيم عامر .

(يتبــع)

خالد محيى الدين (٢)

على الرغم من أن خالد محيى الدين من المؤسسين الأوائل لثورة يوليو ، فانه لا يعد من رجال حكومة ثورة يوليو. فبسبب موقفه المنحاز للديمقراطية ، فانه لم يشترك فى حكومة عبد الناصر فى أى مرحلة من المراحل .

وقد تجلى موقف خالد محيى الدين المنحاز للديمقراطية ، والبعيد عن بريق السلطة ، عندما تولى الرئيس محمد أنور السادات الحكم ، وافتتح صفحة جديدة فى التنظيم السياسى بإلغاء الاتحاد الاشتراكى ، الذى كان هو التنظيم السياسى الوحيد للثورة ،وسمح بتعدد الأحزاب ، التى اتخذت فى البداية شكل منابر ، فقد كان فى وسع خالد محيى الدين أن يكون منبرا مواليا للسلطة ، ولكنه اختار موقف المعارضة .

ففى ذلك الحين ألف محمود أبو وافية منبر الوسط ، الموالى للحكومة ، وألف مصطفى كامل مراد منبر اليمين ، وألف خالد محيى الدين منبر اليسار. وهو المنبر المعارض .

الثلاثاء ٢٠٠٢/٨/٢٦ .

كان لى شرف الاشتراك فى تأليف هذا المنبر عندما فاتحنى فيه السيد خالد محيى الدين ، وجرت اجتماعات عديدة لكبار المفكرين اليساريين ، فى منزل الصحفى الكبير حسين فهمى فى الجيزة .

كان الاتجاه لدينا فى البداية أن يكون منبرا ماركسيا ،ولكن ثقتنا فى إخلاص السادات للاتجاه الديمقراطى ،كانت منعدمة تقريبا ! فتكون المنبر من خليط من الماركسيين والناصريين.

وسرعان ما وقع الصدام بين منبر اليسار ، والحكومة فى أول انتخابات برلمانية أجريت. وكانت تلك أول تجربة صدامية مع نظام الحكم .

وجاءت أحداث ١٨و ١٩ يناير ١٩٧٧ ،ليدفع منبر التجمع ثمنا غاليا. فقد أعتقل الكثيرون من رجاله .

وفى كل ذلك أثبت خالد محيى الدين انه سياسى شجاع لا يهاب ، وانه مستعد أن يتحمل مسئولية القيادة بحكمة .

وبحكم إيمان خالد محيى الدين بالديمقراطية ،فانه نزل ميدان المعارك الانتخابية لمجلس الشعب، واستطاع أن يفوز بالنيابة عن دائرة كفر شكر ، حيث يواصل إلى اليوم فى المجلس دفاعه عن قضايا الطبقة العاملة والعدل والحرية .

ومن هنا ، فان خالد محيى الدين - يعد على وجه التحقيق - وطنيا مصريا نظيفا ، يخلو سجل تاريخه السياسى من أية نقطة

سـوداء ، مما قـد تشـوب سـجل تاريخ أى سـيـاسى آخـر ، كـمـا يحـفل تاريخه السياسى بالمواقف الشجاعة التى لم يتخل فيها عن أخلاقياته ومثالياته، كما تخلى الكثيرون ممن رافقوه فى بداية مشواره السياسى !

ومن هنا فهو يستحق كل تكريم.

د.ماهر مهران !

مات الدكتور ماهر مهران ، واختفى عن عالمنا وانتقل إلى الدار الآخرة ، وأصبح فى رحاب رب العالمين .

وفقدت مصر عالما جليلا ، وابنا متميزا من أبنائها الذين أعلوا اسمها فى مجال العلم والطب وهو أمر محزن ! فمصر فى الفترة الأخيرة تنزف وتفقد علماء عظام من الجيل القديم الذين أعلوا سيطها ،وكانوا من دعائم نهضتها العلمية ، وجعلوا من مصر فى العالم العربى قمرا علميا ساطعا يبدد ظلام الجهل ، وكعبة يقصدها الجميع من أنحاء الوطن العربى .

كما كان عالما أمينا ائتمنته مصر على بناتها فكان نعم الأمين ، وبفضل علمه صحت أجسام ونجت أرواح من الموت ، وقد أغنى هذا مصر الالتجاء إلى أساتذة الطب النسائى فى الخارج .

كان الدكتور ماهر مهران وزيرا للسكان ، ولكن الشعب المصرى لا يذكره كوزير ، وإنما يذكره كعالم جليل ،وكطبيب من أبرع أطباء النساء

الأثنين ٢٠٠٢/٩/٢٣ .

والولادة شهدته مصر ،وهذا هو ما يبقى بالفعل للعلماء ! فلا يذكر الشعب مناصبهم ، وإنما يذكر علمهم وما قدموه للشعب المصرى من خدمات علمية.

قد يدهش القارئ إذا عرف أننى عرفت الله أكثر وأكثر على يد الدكتور ماهر مهران من خلال برنامجه التليفزيونى الأسبوعى الصباحى! فقد كان حريصا على أن يوضح إعجاز الخلق، على نحو لا يتوفر لكبار رجال الدين ! وأذكر أننى كتبت يوما أقول إن كل من الدكتور ماهر مهران ،ومصطفى محمود قد خدما الإسلام بأكثر مما خدمه رجال الدين الذين ينقلون عن الكتب الصفراء ،ويرددون اليوم ما يقولونه بالأمس ، ولا يعمقون الإيمان بالله التعميق الكافى لصنع مسلم يدرك قدرة الله سبحانه وتعالى .

لقد قال الله فى كتابه «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» وقد كان الدكتور ماهر مهران يساعدنا على الدوام بهذا التبصر. فكان المشاهد يخرج بعد مشاهدته لبرنامجه أكثر فهما للإعجاز الإلهى فى الجسم البشرى.

كم أتمنى لو أن التليفزيون المصرى جمع كل ما قاله الدكتور ماهر مهران فى برنامجه ، وأعاد بثه ، وقام بتسجيله فى شرائط فيديو ، لينتفع بذلك المؤمنون من شعبنا ، وينتشر الوعى بالطب النسائى المجهول لدى الكثيرين من أبناء الشعب ، ومن الكثيرات من بناتنا ونسائنا ، ولكى تبقى ذكرى الدكتور ماهر مهران باقية فى حياتنا العلمية والاجتماعية .

آمال ماهر لن تكون أم كلثوم

تعيش دار الأوبرا اليوم فى أزهى عصورها ، بفضل الجهد الجاد الذى يبذله الدكتور سمير فرج ، وهى تشهد من الجمهور المصرى اليوم أضعاف ما كانت تشهده فيما مضى ، ولا ينقصها إلا الاهتمام بعرض الأوبرات العالمية حتى تستحق اسمها ،وهى دار الأوبرا .

كان احتفال دار الأوبرا بالمولد النبوى الشريف احتفالا تاريخيا غير مسبوق ، سواء من ناحية الديكور أو الحشد الفنى الكبير من المطربين والمطربات والكورال الضخم الذى شغل جانبى المسرح ،وتجاوز عدده المائة .

وقد لعبت موسيقى جمال سلامة مع الأغانى والآلات الموسيقية الحديثة دورا مهما فى الارتفاع بمستوى هذا العرض فوق العديد من العروض المثيلة السابقة .

وفى الوقت نفسه فإن الديكور كان جديدا على المسرح المصرى ومثيرا ، ويستحق التهنئة ،وكان للإخراج الممتاز للمخرجة جيهان

الخميس ٢٠٠٢/٥/٣٠ .

مرسى الشابة الدور الأساسى فى إنجاح هذا العمل بهذا الشكل الذى استلفت أنظار الجميع .

ولقد قدم البرنامج فى الفصل الأول عددا من المطربات والمطربين، الذين سبق تقديمهم أمام الرئيس مبارك ، والذين قدموا عددا من الأغانى الدينية المحبوبة، وهى بالفعل أصوات مبشرة بمستقبل باهر فى عالم الغناء وهم يستحقون مقالا آخر.

ثم كان الفصل الثانى ، وقد قامت به المطربة آمال ماهر ،التى قدمت أغنيتين من أغانى أم كلثوم الأولى هى الثلاثية المقدسة للشاعر صالح جودت ، والثانية سلو قلبى للشاعر أحمد شوقى وكلاهما من ألحان رياض السنباطى .

وبهذا أكتمل لهذا الحفل جميع العناصر الناجحة ،أى الديكور والألحان الموسيقى والكلمات والأصوات .

ولقد سبق لى أن كتبت عن آمال ماهر ووصفتها بأنها هدية عمار الشريعى لمصر. وهى ذات صوت ممتاز بالفعل. خصوصا عندما تغنى لأم كلثوم ، فمن الطبيعى أن تسبغ أم كلثوم بصوتها ، وكلمات أغنياتها ، وتلحين موسيقاها الكثير من النضارة والعظمة على أى مطربة تغنى هذه الأغانى ، فإذا كانت هذه المطربة ذات صوت جميل بالفعل ،فان عناصر النجاح تكتمل .

ولكن الصوت الجميل وحده لا يكفى لإنجاح أى أغنية ·فالأغنية عبارة عن بناء متكامل تجتمع فيه الكلمات مع اللحن مع الصوت الجميل ومهارة الأداء الموسيقى. وأغانى أم كلثوم تجتمع فيها كل هذه

العناصر ، يضاف إليها عنصر آخر قد لا يفطن إليه الكثيرون ، وهو ما أطلق عليه أسم الصوت المثقف.

فالصوت الجميلوحده لا يكفى لتوصيل الطرب إلى المستمع، ولكن الصوت المثقف وحده الذى يستطيع هذا التوصيل.

وهذا هو السبب فى أنك حين تستمع إلى صوت جميل يغنى أغانى أم كلثوم ينتقل إليك الطرب كاملا ، فإذا غنى هذا الصوت نفسه أغنية أخرى لغير أم كلثوم ، فإننا نفتقد ذكاء الصوت ، كما نفتقد فيه الثقافة. وهذا هو السبب فى أننى حين استمع إلى صوت آمال ماهر وهى تغنى لأم كلثومَ ، فإنى استمع إليها بنفس النشوة التى استمع بها لصوت أم كلثوم ،فإذا استمعت إليها فى أغنية أخرى من غير أغانى أم كلثوم ، لم أشعر أبدا بأننى استمع إلى صوت آمال ماهر ، وإنما أستمع إلى مطربة عادية . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن آمال ماهر على الرغم من جمال صوتها ،فإنها تفتقر إلى الثقافة التى تعطى الصوت ذكائه ، وبالتالى طلاوته .

ومن هنا فإن آمال ماهر لن تصبح أبدا أم كلثوم ، إذا لم تحذو حذو أم كلثوم فى مشوارها الثقافى الطويل الذى ألهمت به الشعراء ، وألهبت به حماس الجمهور العربى.

صحيح أن آمال مازالت صغيرة السن وأمامها مشوار طويل ، ولكن الطريق الذى طوله ألف ميل يبدأ بخطوة واحدة. ولن تستطيع أن تكون لنفسها شخصيتها الفنية المستقلة إلا إذا هضمت هذه الحقيقة جيدا، وأدركت أن الثقافة هى الطريق الوحيد لبناء الشخصية الفنية المستقلة.

تحية لطارق حبيب

الحلقات الوثائقية التى قدمها طارق حبيب تحت عنوان «ملفات ثورة يوليو»، وأذيعت فى حلقات على بعض القنوات الفضائية ،تعد من أهم مـا صـدر فى السنوات الأخـيـرة عن ثورة يوليـو. و لم يكن فى الإمكان إنجازها لولا التقدم التكنولوجى فى العصر الحديث الذى أتاح لطارق حـبيب هذا الإنجاز. وهو توثيق مرحلة مـهـمـة من تاريخ بلدنا المعاصر بلسان الذين شاركوا فى الأحداث .

وهو بذلك لا يخرج على أى عمل تاريخى يقدم عليه مؤرخ يسجل شهادات المعاصرين ، مع فارق كبير ، هو أن الشهادات التى سجلها المؤرخ ، مرهون مصـداقيتها بمصداقيته ،ولكن الشهادات التى قدمها طارق حبيب ليست فى حاجة إلى برهان عن مصـداقيتها ،فأصحابها بأنفـسـهم يتكلمـون ويشـهـدون ، ولا يسـتطيـعـون أن ينكروا مـا قـالوه بأنفسهم على الشاشة الصغيرة.

وهذا يسوقنا إلى أن نوضح الفرق بين المصداقية وبين الحقيقة التـاريخية. فتحقـيق الوثيـقـة التاريـخية ينقسم إلى قسمين : قسم

السبت ٢٠٠٢/٦/٢٢ .

يتحدث عن المصداقية ، بمعنى أن المؤرخ عليه أن يثبت أن هذه الوثيقة صدرت بالفعل من صاحبها . وعلى المؤرخ فى هذه الحالة أن يثبت أن الوثيقة التى فى يده منسوبة فعلا لصاحبها وليست مزورة ،أى لم يصنعها أحد وينسبها إلى صاحبها .

وقد حدث مثل ذلك عندما ظهرت منذ نحو عشرين عاما مذكرات منسوبة لخروشوف ، و بعض القادة السوفيت. فقد شكك الكثيرون فى صحة هذه المذكرات بمعنى صحة نسبتها إلى هؤلاء ، فكثير من الوثائق التى نسبت إلى مشاهير وإلى أفراد بعينهم ثبت فيما بعد أنهم لا صلة لهم بها وأنها زورت و نسبت إليهم .

هذه هى المهمة الأولى للمؤرخ ، وهى أن يثبت أن الوثيقة التى قدمها منسوبة لصاحبها بالذات وليست مزورة أو منسوبة لشخص آخر.

أما المرحلة الثانية ،فهى إثبات أن ما قاله هذا الراوى هو الحقيقة، وهذه قضية أخرى ، وتحتاج إلى علم المؤرخ ،فليس كل ما ينسبه الشاهد فى كلامه حقيقة ، فقد ينسب لنفسه أفعالا لم يفعلها أو يهاجم أشخاصا لمجرد اختلافه معهم فى المنهج أو فى الميول السياسية ، وبالتالى فعلى المؤرخ فى هذه الحالة أن يتحقق من أن ما قاله الشاهد هو الحقيقة وليست شيئا مختلقا قاله الراوى .

ولعل الذين قرءوا كتابى مذكرات السياسيين والزعماء يستطيعون تفهم هذا الكلام ،وأنا أضرب مثلا لذلك ما ذكره عرابى فى مذكراته عن بعض الأدوار التى قام بها ، فقد أثبت أنه لم يقم بها بالفعل ! وأنه أدعى ذلك لإضافة بطولة إليه.   (يتبع)

تحية لطارق حبيب (٢)

أثبتنا فى مقالنا السابق أن صحة الوثيقة شئ ،والحقيقة التاريخية شئ آخر ،فصحة الوثيقة معناها صحة نسبة الوثيقة إلى صاحبها ، ولكن هذه الصحة لا تعنى أن ما كتب هذه الوثيقة يمثل الحقيقة التاريخية. فما ورد فى مذكرات الكثيرين ممن لعبوا دورا تاريخيا فى الأحداث قد لا يمثل الحقيقة التاريخية فقد يكون مختلقا ، مع وثوقنا بأنها مذكرات هذا الشاهد بالذات إلا أن ما كتبه علينا أن نتحقق من أنه قد حدث بالفعل.

وليس معنى ذلك أن ما كتبه البعض من أحداث غير حقيقية منشأها سوء النية ، فقد تكون هذه هى رؤيته أو ما سمعه بالفعل .

وقد فعل ذلك المؤرخ الكبير الجبرتى عندما نسب إلى محمد كريم أنه أخذ يتسول الفدية التى حكمت عليه به محكمة الحملة الفرنسية ، ويطلب من أفراد الشعب أن يشتروه بهذه الفدية ! ثم ثبت من مذكرات سكرتير بونابرت أن ذلك لم يحدث ، وأن محمد كريم كان أبى النفس ، وأنه رفض أن يفدى نفسه بأى شئ وأقبل على الموت بشجاعة فائقة.

الأحد ٢٠٠٢/٦/٢٤ .

فلم يكن الجبرتى فى ذلك يكذب عمدا ، وإنما يروى ما سمعه وما روى له،وهو شئ والحقيقة التاريخية شئ آخر. وعلى المؤرخ أن يوضح ذلك .

كذلك ذكر د. محمد حسنين هيكل فى مذكراته عن مقاطعة لجنة ملنر أن الوفد احتار فى كيفية مواجهة هذه اللجنة حتى خرج أحد القراء بمقال فى جريدة النظام اقترح فيه مقاطعة لجنة ملنر ،فتبنى الوفد هذه الدعوة !

وقد أثبت عدم صحة هذا الكلام ، وأن الوفد هو الذى كان وراء هذه الرسالة إلى جريدة النظام. وقد اضطررت للرجوع إلى كافة الأعداد منذ صدور جريدة النظام حتى عثرت على هذه الرسالة ،وكانت لطالب اسمه حسن سلامة -أصبح فيما بعد مستشارا - فقد تأكدت من أن هذا الخطاب لم يكتب من تلقاء نفس الكاتب وإنما بإيماز من الوفد.

وكثير جدا من الروايات التاريخية التى ذكرها أصحابها تعبر عما سمعوه ، ولكنها لا تعبر عن الحقيقة ،فالمؤرخ فقط هو الذى يستطيع أن يعبر عن الحقيقة ، كما يفعل القاضى عندما يسمع شهادات الشهود ويقرأ الوثائق والدعاوى ثم يخرج بحكم بالإدانة أو بالبراءة. وهذا يتطلب منهجا علميا لا يعرفه غير المؤرخ من دراسته الأكاديمية.

وفى كل الأحوال فان ما فعله طارق حبيب فى ملفات ثورة يوليو يعد عملا هائلا بكل المعايير ،وقد بذل فيه جهدا خارقا . فقد استطاع

أن يجمع عددا هائلا من شهادات الشهود وأن يصل إليهم فى أماكنهم ومخابئهم وفى كل مكان يتواجدون فيه مهما بلغت مراكزهم السابقة والحالية! وقدم كل ذلك فى لغة تليفزيونية سهلة شدت انتباه الجميع ، وهو ما يدعونا إلى أن نكرر له التهنئة على هذا العمل التاريخى الإعلامى الكبير .

الأصابع السحرية لعمر خيرت!

عمر خيرت يعد من أعظم الملحنين المصريين ، الذين يملكون الحس الغربى إلى جانب الحس الشرقى ، وهو عازف بيانو ممتاز، وتتميز موسيقاه بالسرعة والحماس ، فلا تستطيع أن تنام وعمر خيرت يعزف على البيانو ، فأصابعه قوية ،وذات عزم وتصميم . وحين يعزف على البيانو فى أى حفل موسيقى فانه يملك آذان المستمعين. ولأن القطع الموسيقية التى ألفها تملك جاذبية خاصة ، فإنها مسجلة فى كاسيتات –تبلغ تسع كاسيتات لمن يرغب من عشاق الموسيقى .

وهو على العكس تماما من ابن شقيق بيتهوفن الذى خيب أمله بعد أن عجز عن أن يجعل منه موسيقيا عظيما ،فعم عمر خيرت هو الموسيقى الكبير أبو بكر خيرت ،ويعتبر عمر امتدادا له .. امتدادا متطورا .

ومن سوء الحظ أن البيانو فى مصر ليس آلة شعبية ،وإنما هو بكل المعايير آلة غربية ، وبالتالى فحين يعزف عمر خيرت على البيانو ، فان

الخميس ٢٠٠٢/٧/٤ .

الظن يذهب إلى أنه يعزف موسيقى غربية ، فى حين انه يعزف موسيقى شرقية .

وقد كان الموسيقى الفرنسى الشهير سان صانس ، الذى عشق الموسيقى الشرقية هو الذى استطاع أن يطوع الآلات الموسيقية الغربية للموسيقى الشرقية! فمن يستمع إلى كونشرتو البيانو الخامس لسان صانس ، وهو المشهور باسم المصرى ،يعرف كيف استطاع أن يطوع الآلات الموسيقية الغربية وعلى رأسها البيانو ، للموسيقى الشرقية !

فحين تستمع إلى الحركة الثانية من هذا الكونشرتو تشعر بأنك جالس فى خان الخليلى على إحدى المقاهى المعروفة ،فهو يعزف على البيانو ما يعزف على العود الشرقى. والأمر بالنسبة لعمر خيرت هو العكس ، فحين تستمع إلى الموسيقى الشرقية التى يعزفها عمر خيرت على البيانو تشعر على الفور بأنك تستمع إلى موسيقى غربية ،وليست شرقية .

ومن حسن الحظ أن الدكتور سمير فرج رئيس هيئة الأوبرا ، قد قرر بحسه الفنى تخصيص حفل شهرى لموسيقى الفنان عمر خيرت .

وعلى كل حال فمن المحقق انه لو كان الفنان عمر خيرت فى بلد أجنبى من الذين يهتمون بالموسيقى الكلاسيكية لكان له شأن أكبر من شأنه فى بلدنا . وهذا يدعونا إلى انتهاز هذه الفرصة لأن نكرر ما دعونا إليه منذ سنين طويلة من الاهتمام بالموسيقى الغربية جنبا إلى جنب مع الموسيقى الشرقية ،وبمعنى آخر الاهتمام بالموسيقى البحتة المجردة من الأغانى والرقص ،فهذه الموسيقى هى التى تثرى الوجدان .

جورج سيدهم!

أتيحت لى مؤخرا فرصة مشاهدة جزء كبير من مسرحية المتزوجون الكوميدية لسمير غانم وجورج سيدهم و شيرين. وهى من المسرحيات الكوميدية التى تركت بصمتها فى تاريخ المسرح الكوميدى المصرى ، كما أنها تعتبر علامة فارقه فى تطور المسرح الكوميدى المصرى. وقد تألق فيها سمير غانم بشكل غير مسبوق ،كما تألق أيضا جورج سيدهم بشكل بارز كعادته . وأما شيرين فإنى أعتبر أن ما قدمته فى هذه المسرحية الكوميدية هو أجمل ما قدمته إلى اليوم ،إذ كشفت فيه عن مواهب كوميدية ،ومقدرة خارقة على الإضحاك .

ارتبط اسم جورج سيدهم باسم سمير غانم منذ بداية حياتهما الفنية التى أكسبتهما الشهرة. وتألق الاثنان فى كل المسرحيات التى اشتركا فى بطولتها وكان ثالثهما المرحوم الضيف أحمد الذى شاء القدر أن يحرم مصر من موهبته بالموت .

وفى البداية كان نجم جورج سيدهم أسطع من نجم سمير غانم ، لأسباب تتصل بيدانته وخفة ظله وعمق شخصيته المصرية.

الأربعاء ٢٠٠٢/٨/٢٨ .

وفجأة اختفى جورج سيدهم من الساحة الفنية فقد أصيب بمرض عضال، منعه من العمل الفنى

وعلى غير العادة فى الوسط الفنى حيث يرعى الفنانون من يقع منهم فريسة المرض فان جورج سيدهم لم يجد هذه الرعاية.

والسؤال الآن ما هذا التجاهل لاسم جورج سيدهم ؟ ولماذا لا نسمع عنه ونتابع أخباره ؟

أما كان يكفى تاريخه فى الإضحاك وإمتاع شعبنا المصرى بان يحظى بعناية وسائل الإعلام ؟ ولماذا لم تسمع عن أى تكريم له يرفع من معنوياته فى مرضه ،فى حين نسمع عن تكريم بعض ممن لا يستحقون ؟

إننى أعتبر أن الممثل الكوميدى يقف فى الصف الأول من الممثلين ، لسبب بسيط هو أن القدرة على الإضحاك تفوق القدرة على الإبكاء ، فهى قدرة غير عادية يتمتع بها البعض ،ويحرم منها البعض الآخر .

فخفة الظل لا يتمتع بها الجميع ،ومن السهل على أى ممثل أن يبكى الجمهور المصرى ،ولكنه عسير جدا على أى ممثل أن يضحك الجمهور المصرى .

وجمهورنا المصرى بالذات هو جمهور متميز ،تغلب المأساة على حياته ، ويغلب النكد على حياته ،وقد اعتاد على ذلك حتى انه إذا أغرق فى الضحك لسبب ما ساورته الهواجس والوسواس من أن يكون هذا الضحك مقدمة لكارثة تحيق به وبصحبه وبمن يلوذون به.

ومن هنا فإنى أضع الممثلين الكوميديين ،وقد أصبحوا قلة فى الدرجة الأولى من الممثلين المصريين ،وأجدرهم بالتقدير من الدولة ،ومن الهيئات الفنية. وأظن أن جورج سيدهم يستحق الرعاية والتكريم.

مدحت عاصم!

مدحت عاصم ، موسيقار كبير ،ومكتشف عدد مهم من كبار الموسيقيين ، وعلى رأسهم فريد الأطرش وأسمهان وغيرهم .وقد عرفته وتشاركنا فى بعض الندوات التليفزيونية ، زرته فى بيته فى الزمالك ، وتعرفت على بناته ، وزوجته الشابة إجلال البدوى التى تعمل بالمركز الثقافى البريطانى.

عندما رأيت صورة السيدة إجلال البدوى على البيانو الشهير الخاص بمدحت عاصم ، ظننت أنها ابنته ،ولم تكن موجودة بالمنزل ، ولذلك عندما ودعته على باب الشقة هممت بأن أطلب منه إبلاغ تحياتى لابنته العزيزة ! لولا أن تداركت فى آخر لحظة ،وقلت فى نفسى ولماذا لا تكون زوجته ؟

وقد صدق حدسى ، فقد كانت بالفعل زوجته ! ومع توطد علاقتى بالموسيقار مدحت عاصم عرفت قصة حب فريدة من نوعها بين الموسيقار مدحت عاصم والسيدة إجلال البدوى! وهى من قصص الحب النادرة التى تتحدى الأعراف والقوانين الطبيعية .

الاثنين ١٦/٩/٢٠٠٢ .

لم تكن العلاقة بين السيدة إجلال البدوى والموسيقار مدحت عاصم مجرد علاقة زواج عادى مثل الذى نسمع عنه بين الشابات وكبار السن ،لتحقيق أهداف مادية لأحد الطرفين على حساب الآخر ، وإنما كانت علاقة حب فريدة تستوعب كل العلاقات الإنسانية الكريمة ، من احترام وإعجاب ووفاء.

وسرعان ما جاء الامتحان الكبير ، عندما توفى الموسيقار مدحت عاصم! وإذا بزوجته الشابة إجلال البدوى تظهر من علامات الوفاء لذكراه ما لم نعد نراه فى حياتنا المعاصرة من أية زوجة ! فقد رفضت كل عروض الزواج التى عرضت عليها من شخصيات معروفة .وفى الوقت نفسه حافظت على بيته ، كما تركه تماما !بل حافظت على سيجاره كما تركه ، ولم تغير أى شئ من أوضاع البيت الذى تركه، وواظبت على زيارة قبره فى كل مناسبة ،ووهبت نفسها وحياتها وشبابها لذكراه .

هذه الرومانسية التى اختفت من معالم حياتنا المعاصرة ، جلبت للسيدة إجلال البدوى احترام وتقدير كل من عرفها ، وعرف المرحوم الموسيقار مدحت عاصم .

أكتب ذلك عن السيدة إجلال البدوى تقديرا لوفائها ، خصوصا بعد أن اطلعت على العدد الخاص الذى أصدرته مجلة "نصف الدنيا" الغراء ، التى ترأس تحريرها الصحفية اللامعة سناء البيسى، وكان العدد بعنوان «الموسيقار» وقد تناول حياة الموسيقيين المصريين الكبار ، ومنهم الموسيقار مدحت عاصم .

فقد صدمت حين رأيت أن الصحفى الذى كتب الموضوع ،قد أغفل كلية هذه القصة الرائعة عن هذا الجانب الرومانسى من حياة مدحت عاصم! مع أن أية تغطية لمثل هذا الموضوع لم تكن لتغفل هذه الجوانب غير العادية من حياة العظماء !بل انه فى الغرب كثيرا ما تشد هذه الجوانب من حياة العظماء انتباه الصحفيين والكتاب ،فيولونها عناية تفوق الجوانب العادية !

لذلك كم أود لو اهتمت مجلة نصف الدنيا ،بتدارك ما فات التحقيق الصحفى الذى صدر عن الموسيقار مدحت عاصم وغيره من الموسيقيين الكبار حتى تكتمل صورة حياة هؤلاء العظماء فى ذهن شعبنا.

مبارك وتحديث جيش مصر

الجيش هو درع الأمة الواقية، الذى يحمى حريتها واستقلالها، وترتهن بقوته كرامتها، وهو المستهدف من العدو لا تغفل عنه عينه لحظة واحدة، يتابع قوته وضعفه وكل ما يطرأ عليه من زيادة أو نقص لأنه يعرف أن وجوده أو عدمه يرتبط بهذا الجيش.

كل البلاد التى استقر فيها نظام الحكم، يوجه الجيش إلى ما وجد لأجله، وهو الدفاع عن الوطن ضد العدو الخارجى. وفى البلاد التى قامت فيها نظم انقلابية تحكم شعوبها بالحديد والنار، تنشىء لجيشها مهمة أخرى إلى جانب حماية البلاد من العدو الخارجى، هى حماية نظام الحكم من غضبة الشعب أو ثورته، بل أيضا من انقلابات الجيش على نظام الحكم.

ومن هنا تختل الأمور اختلالا خطيرا، فلا تعود الكفاءة العسكرية هى المعيار فى تعيين قيادات الجيش، بل تصبح الثقة فى ولاء القيادات العسكرية، أيا كانت كفاءتها العسكرية!

الجمعة ٢٠٠٢/٥/٣ .

وهذا هو السر فى أنه لم تنشأ جيوش حقيقية فى البلاد الأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية التى قامت تأسست حكوماتها على انقلابات عسكرية.

وهذا يفسر أيضا لماذا لم يتردد عبدالناصر فى تعيين ضابط برتبة صاغ، هو عبدالحكيم عامر، فى منصب قائد عام الجيش المصرى، متوهما أن ترقيته أربع رتب مرآة واحدة سوف ترفع كفاءته العسكرية، وتجعل منه جنرالا حقيقيا يستطيع مواجهة جنرالات العدو!

وفى الوقت نفسه ظن عبدالناصر أنه قد استطاع تأمين نفسه ونظام حكمه من أية انقلابات عسكرية، وكان فى ذلك واهما، فلم يتورع عبدالحكيم عامر عن فرض نفسه كقائد عام للجيش، بعدما ظهر من عدم كفاءته فى قيادة الجيش فى حرب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦. وفى عام ١٩٦٢ قام بانقلاب عسكرى أبيض، فقد عبدالناصر بعده كل أثر لسلطة له على الجيش، وكان ذلك تمهيدا لهزيمة يونيو ١٩٦٧، التى تبعتها محاولة انقلابية أخرى دبرها عبدالحكيم عامر.

ولم يتم تصحيح الوضع فى الجيش إلا بعد أن جرى التخلص من عبدالحكيم عامر بعد الهزيمة، وتصفيته جسديا.

وقد كان بعد هزيمة يونيو أن تمهد الميدان لبناء جيش قتالى جديد محترف، مهمته الدفاع عن الوطن، وليس الدفاع عن نظام الحكم. وقد كان هذا الجيش هو الذى خاض حرب الاستنزاف، وحقق نصر أكتوبر ١٩٧٣.

وقد كان هذا الجيش هو الذى شاهدت جانبا من تقدمه، عندما زرت مع وفد من لجنة الشئون العربية والأمن القومى بمجلس الشورى مبنى التوجيه المعنوى، ومبنى الكلية الحربية الأسبوع الماضى.

كان التغيير هائلا. وشعرت بفخر، فها أنا أشاهد جيشا ينتمى إلى القرن الواحد والعشرين، يستخدم أحدث المعدات العسكرية، والأجهزة العلمية المتقدمة، فى الحصول على المعلومات وتحليلها واستخلاص نتائجها، والتنبؤ بالأحداث. وفى الحربية شاهدت كيف يتم بناء المحارب المصرى من أصلب العناصر ليكون قادرا على القيادة فى عصر التقدم العلمى الحالى.

وقد استلفت نظرى بشدة أن الجيش هو أكبر مؤسسة ديمقراطية فى البلاد! فلا يتخذ أى قرار قبل أخذ كافةالآراء بحرية تامة، كما أنه يخلو من عيوب البيروقراطية الحكومية، وفساد ومهازل الإدارة المدنية، فالكل فى الجيش يعمل فى النهار، والإدارة المدنية تعمل فى الظلام!

تقاليد مجلس الشورى!

فى جلسة تاريخية حافلة اختتم مجلس الشورى دور الانعقاد الثانى والعشرين ، باستعراض هام لأعمال الدورة تلاه رئيس المجلس الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى ، فى حضور رئيس الوزراء دكتور عاطف عبيد ، وعدد كبير من الوزراء .

ومجلس الشورى له تقاليده الأصيلة التى تميزه عن مجلس الشعب ، والتى يحرص على ترسيخها رئيس المجلس .

فمن تقاليده أن الأعضاء لا يصفقون لمتكلم مهما بلغت حماسة إلقائه ، وبلاغة عباراته! وهو أمر دعى الأعضاء جميعهم إلى تحرى الموضوعية ، وعدم استجداء التصفيق ،والتركيز فى الموضوعات التى يتحدثون عنها.

كما أن من خصائصه الأسلوب العلمى فى تناول الموضوعات ، واحترام عقل المستمعين والجمهور. فقد حرص الرئيس مبارك على أن يعين فيه عددا مهما من أكبر علماء مصر فى التخصصات العلمية المختلفة: القانونية والاقتصادية والفكرية والسياسية والاجتماعية .

الأحد ٢٠٠٢/٦/١٦ .

وبالتالى فلا يوجد حشو أو تطويل فى كلام معظم الأعضاء ،وإنما تسود العلمية والموضوعية فى كلماتهم .

وازعم أننى كثيرا ما أحسست وأنا استمع لكلمات الأعضاء فى أثناء مناقشة الموضوعات المختلفة بأننى فى مدرسة سياسية عالية تزيد الإنسان علما وفكرا.

ويساعد على ذلك كثيرا سياسة رئيس المجلس الدكتور مصطفى كمال حلمى الديمقراطية الأصيلة ،التى لا تحجر على فكر، ولا تمنع عضوا من التعبير عن رأيه ،وأن يشرح فكرته بكل استفاضة دون مقاطعة.

فى الوقت نفسه إتاحة الفرصة لكل معترض لأن يبدى اعتراضه ، وإجراء الحوار فى جو ديمقراطى كامل .

وليس معنى هذا أن رئيس المجلس يوافق على كل ما يقوله الأعضاء ، ولكنه يكتفى بالتعقيب ، وإبداء رأيه ،وإتاحة الفرصة للوزراء للرد على ما يثيره الأعضاء من نقد .

وللدكتور مصطفى كمال حلمى طريقته الفريدة عند التصويت على المواد التشريعية وغيرها! فقد يكون المعترض واحدا فقط ،ولكن الدكتور مصطفى كمال حلمى يعبر عنه بلفظ «أقلية» وهو ما يحدث فى معظم الأحوال مع العضو السيد محمد فريد زكريا ،فمعظم مقترحاته ، لا تنال غير صوته فقط، ولكن الدكتور مصطفى كمال حلمى يعبر عن ذلك بلفظ أقلية ،ويبتسم الأعضاء لهذا الأدب الجم.

وهو لا يثور أبدا مهما بلغت درجة الإثارة فى كلام بعض الأعضاء ،وقد حدث أن تكلم أحد الأعضاء عن البطالة فى مصر ، فبالغ كثيرا فى حجم العاطلين ،وعلى نحو مثير ، فلم يفعل الدكتور مصطفى كمال حلمى غير أن ترك الرد بالحقائق على العضو ، للدكتور محمد زكى أبو عامر وزير الدولة للتنمية الإدارية ، وللسيد أحمد العماوى وزير القوى العاملة والتدريب اللذين دللا بالأرقام وبالحقائق على حقيقة حجم البطالة فى مصر بما يخالف كلام العضو. وأذكر أننى طلبت حين ذاك نشر ردى الوزيرين على الرأى العام ،نظرا لأنه يبالغ كثيرا فى هذه الأيام فى حجم البطالة فى مصر.

وعندما تكون كلمات بعض الأعضاء مفحمة ، فإن الدكتور مصطفى كمال حلمى يترك الرد للبرلمانى المحنك السيد كمال الشاذلى .

وتعتبر التقارير التى تصدر عن مجلس الشورى فى القضايا المختلفة ، من أهم الدراسات العلمية المتخصصة ،التى يكتبها أكبر العلماء والخبراء فى المجلس.

فالمجلس ينقسم إلى عدد مهم من اللجان المتخصصة ،مثل لجنة الشئون العربية والخارجية والأمن القومى ،ولجنة الشئون الدستورية والتشريعية ، ولجنة الشئون المالية والاقتصادية ،ولجنة الإنتاج الصناعى والطاقة ، ولجنة الصحة والسكان والبيئة ، وغيرها من اللجان .

وتقارير هذه اللجان تعد من أهم المصادر التاريخية فى دراسة المجتمع المصرى فى هذه الفترة .

والمهم أن هذا كله يدار بقيادة مايسترو بارع واسع الصدر والخبرة والعلم ، وهو الدكتور مصطفى كمال حلمى .

لغز ميزانية مجلس الشورى!

أليس من الغريب أن ميزانية مجلس الشورى لم تزد مليما واحدا طوال ست سنوات، في حين تضاعفت ميزانيات كل مرفق ووزارة وشركة في مصر في تلك السنوات الست!

وقد يظن البعض أن ذلك إنما تم على حساب الخدمات، ولكنه سوف يدهش حين يعلم أن ذلك تم مع تجويد وتحسين وزيادة الخدمات!

إن هذه الحالة الغريبة من شأنها أن تصفع كل الإدارات التي تطالب بزيادة الميزانية كل عام، مع ما هو معروف من تدهور الخدمات فيها. ولكن هذا مجرد أنموذج يوضح أن الأمانة والإخلاص والعمل الجاد، يمكن أن تؤدي إلى هذه النتيجة.

إن شعبنا منذ فترة طويلة يضج بالشكوى من الفساد الإداري، والسرقات التي يشترك فيها الصغير والكبير، فضلا عن الإسراف الشديد في الإنفاق حتى ساور اليأس الجميع من إمكان إصلاح هذا

الأثنين ٢٠/٥/٢٠٠٢ .

الحال، وحتى أصبحت دعوة إصلاح الجهاز الإدارى تتقدم كل الدعوات.

ولقد بح صوت الرئيس مبارك من دعوة أجهزة الحكومة إلى ترشيد إنفاقها، وتحسين خدماتها، ولكن الدعوة كانت تلقى أذنًا صماء، ويفاجأ الشعب بميزانية الدولة ترتفع عاما بعد عام، وخدمات الإدارة الحكومية تتدهور عاما بعد عام.

ولا ريب أن السبب فى ذلك يرجع إلى اعتقاد شائع لدى الإدارات الحكومية بأن عدم المطالبة بزيادة الميزانية يعنى أنها لا تريد أن تحسن خدماتها، وأن الإدارة التى تطلب زيادة أكثر فى الميزانية ينعكس على نشاطها.

وقد مررت بهذه التجربة عندما كنت عميدا لكلية التربية بجامعة المنوفية، فعندما أردت التوفير فى بعض النفقات، همس البعض فى أذنى بأننى سأكون بذلك الوحيد بين العمداء الذين يطالبون بزيادة الميزانية. وعندما أردت التوفير فى عدد الآلات الكاتبة بعدما لاحظت أنها لا تستخدم جميعها، وأردت إرجاعها إلى الجامعة لتستفيد بها فى أماكن أخرى، احتج المليون بأن هذا العمل سوف يعرضهم للمسألة من جانب الجهاز المركزى للمحاسبات، لأن الكلية طالبت بأكثر مما تحتاج إليه من الآلات الكاتبة.

وأذكر فى هذا الصدد أننى أردت إعادة ٢٢ آلة كاتبة من ٢٨، وهى عدد الآلات التى كانت موجودة عندما توليت المسئولية، أى أننى احتفظت بست آلات كاتبة من ٢٨.

ومن المحق أن كل إدارة حكومية تستطيع التوفير فى نفقاتها، لو تغيرت العقلية السائدة، لو وجدت المسئول الذى يهتم بمثل هذه القضايا مثل الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى، والمستشار فرج الدرى أمين عام المجلس.

ومن هنا فإننى أدعو الدكتور عاطف عبيد إلى دراسة هذه التجربة الفريدة فى مجلس الشورى، وتعميمها فى بقية أجهزة الدولة.

عن زواج الجن من الأنس

الفنان الكبير عادل إمام اشتهر أكثر ما اشتهر بمسرحيته الكوميدية الهادفة شاهد ماشفش حاجة التى صور فيها علاقة الإنسان المصرى البسيط بالسلطة، وعالج قضايا أخرى مهمة مثل الإرهاب.

وقد شاهدت له منذ أيام فيلماً قديما لم تسبق لى مشاهدته، عن زواج الجن من الإنس! وقد شاهدته إلى النهاية أملاً فى أن أشاهد رؤية تقدمية تحارب هذا اللون من التفكير الذى يسود الأوساط الدنيا فى مصر وبعض الأوساط التى تؤمن بالخرافات! وصدمت حين تبينت أنه يؤكد هذه الزؤية! وأنه لا يعدو أن يكون فيلماً من أفلام الرعب! وقصته مستقاة من القصص التى كنا نسمعها ونحن أطفال وتتحدث عن جنى أراد أن يتزوج إنسية، ولكنها تغلبت عليه بقراءة آيات من الذكر الحكيم فاحترق وذهب إلى غير رجعة!

صدمنى الفيلم لأنه تصادف عرضه مع اتصالات تجرى معى حالياً تقوم بها سيدة من عائلة كريمة، تحدثنى عن زواجها بجنى، وإنجابها

الأثنين ١٥/٤/٢٠٠٢ .

منه أولاداً! وتروى أوصافاً للجنى ولأولادها الأعزاء! وأنا عادة أحترم قرائى وأستمع إليهم ما استطعت.

وقد استهوانى هذا الحديث، وقمت بدراسة أكدت لى أنه وإن كان علينا كمسلمين أن نؤمن بوجود الجن، نظراً لأنهم ذكروا فى كتاب الله الكريم، إلا فإنه ليس من الإيمان بهذه الخزعبلات الإيمان باتصالهم بالبشر! فذلك عالم آخر خفى منفصل كلية عن عالمنا الإنسانى، انفصال الماء عن النار! فلا التقاء بينهما فى أية صورة من الصور!

ولكن حقيقة وجود عالم الجن كما ذكر فى القرآن، قد أوحى للنصابين من البشر منذ القدم فكرة السحر، وادعاء القدرة على تسخير الجن لخدمة الإنس، أو للإضرار بالإنس! والارتزاق من هذا العمل!

وبالنسبة لبعض العقول الرومانسية غير المحصنة بالعلم، فإن خداعها بفكرة السحر أمر يسير فى تلك الأزمان، وحتى نحو العصر الحالى! فما أسهل خداع العقلاء، مهما بلغوا من الثقافة. حتى أصبحت فقرات السحر فى العروض الفنية فى العالم أجمع من الفقرات المحببة، وفيها يشق الساحر زميلته بسيفه نصفين أمام الجماهير، فتصفق! وفى أفلام الخيال العلمى الكثير من هذه المشاهد التى تلقى الاستحسان.

على أنى تحت إلحاح السيدة القارئة، اتصلت بصديقى العلّامة الأستاذ الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس الذى أكد لى أن ما تشاهده السيدة القارئة هو نوع من المرض العقلى

يصور لها الزواج بالجن، وخلفة الأبناء منه، ولكنها تعزو ذلك إلى السحر لأنه أسهل التفسيرات إلى العقل. وقال: إن هذه الأمراض العقلية يمكن شفاؤها عن طريق العلاج الحديث.

على أننى عندما أخبرت السيدة القارئة برأى الدكتور عادل صادق، أصرت على رأيها، بأن ما تراه حقيقة، وأنه من عمل السحرة الذين دبروا لها ذلك بإيعاز من خصومها! وقالت إنه لا يفك السحر إلا ساحر! وطلبت منى الاتصال بمن يعرفون فك السحر! وأن أرفع صوتها إلى هؤلاء لإنقاذها!

ومثل هذه السيدة تكون فريسة سهلة للنصابين الذين يزعمون اتصالهم بالجن وقدرتهم على تسخيرهم فى نفع، والإضرار بالبشر، باستغلال ذكرهم فى القرآن الكريم.

وقد سبق لنا أن ذكرنا أن القرآن الكريم فيه نوعان من الخطاب.. الأول ويخاطب البشر الذين كانوا يعيشون فى زمن الرسالة. ووفقاً للحديث النبوى الشريف: «خاطب الناس على قدر عقولهم».. فإنه ما كان للقرآن الكريم أن يخاطب الناس بمصطلحات ومفاهيم العصر الحاضر، إنما يخاطبهم بمصطلحات ومفاهيم عصر الرسالة. وبغير ذلك ما صدق الناس، وما نصروا دين الله. أما الخطاب الثانى فموجه للبشرية كافة فى كل الأزمنة. ومن هنا فعلينا ألا نتمسك بحرفية الآيات، بل بمدلولها وحكمتها، وإعمال العقل فى تفسيرها، حتى لا نعزل عن عصرنا الحاضر، الذى حطم فيه الإنسان أسطورة القمر الذى كان يعبده الناس فى عصر مضى!

حول سرقة السيارات

يقول المثل المصرى الصميم : «إن غاب القط ألعب يا فأر». ولعل هذا هو السبب الأساسى فى انتشار سرقة السيارات من أمام أبواب المنازل فى شارع نخلة المطيعى والشوارع المجاورة. والمقصود بالقط الغائب هنا هو إدارة مكافحة سرقة السيارات بمديرية أمن القاهرة.

فهذه الإدارة ،كما تظهر الدلائل والحوادث تنام معظم الوقت ، وتستيقظ بعض الوقت. وهذه الخاصية الفريدة يعرفها جيدا اللصوص المتخصصين فى سرقة السيارات. فهم يروحون ويغدون فى المنطقة ،ويسرقون ما يعجبهم من السيارات ،ثم يعودون إلى بيوتهم آمنين غانمين .

وبطبيعة الحال فإن الضحايا المنكوبين من أبناء هذا الوطن يسارعون بعمل اللازم من ناحية تحرير محضر يثبت الواقعة فى قسم البوليس المختص سواء كان قسم النزهة أو قسم مصر الجديدة ، ويسارعون إلى إدارة مكافحة سرقة السيارات، لإزعاج القائمين على الإدارة بشكاواهم. ويأخذون رقم المحضر ،وهذا كل شئ.

الأحد ٢١/٤/٢٠٠٢ .

فتمر الأيام والليالى ، وتمر الأسابيع ،والشهور دون أى بادرة تظهر اهتمام هذه الإدارة بمكافحة ظاهرة سرقة السيارات التى تحدث فى منطقتها .

فى بلاد الدنيا كلها ،التى يقلق رجالها قضايا الأمن ، فإن الجهة المختصة تسارع بوضع كمائن فى الجهة الموبوءة ، ولا تستريح حتى لا تطهر المنطقة من المجرمين ، ولكن إدارات مكافحة سرقة السيارات فى بلدنا ، لا تعرف هذا التكنيك ،ولا هذا التقدم العلمى ، ولا تؤمن بالكمائن ، ولا تعتقد أن مهمتها توفير الأمن ،وتطهير المناطق المصابة بهؤلاء اللصوص .

والسؤال لماذا لا يتشجع الفئران فى غياب القط ؟ ومن هنا فإنى أعزى صاحب هذا الخطاب الذى وصلنى ،وهو المهندس سعد محمود طوبار القاطن فى ١٢ شارع نخلة المطيعى بمصر الجديدة ،بأنه ليس الوحيد فى النكبة التى أصيب بها بسرقة سيارته البيجو ٥٠٤ ، برقم ٢٨٣٣٥٨ ملاكى القاهرة من أمام منزله فى يوم ٩ ديسمبر سنة ٢٠٠١ ، ويعد خطاب السيد سعد طوبار إدانة بالغة لمكتب مكافحة سرقة السيارات يبرهن على الإهمال الجسيم ،وعدم العناية بأداء الواجب فيذكر السيد سعد طوبار أنه إزاء ما وجده من لامبالاة قام بطباعة أوصاف السيارة ،وأخذ يوزعها على كمائن السيارات فى الطرق السريعة ،ففوجئ بأنهم ليس لديهم أية معلومات عن هذه السيارة .

وعندما كان فى الإسكندرية ذهب إلى مكتب مكافحة سرقة السيارات بخصوص هذه الواقعة ، وفوجئ بأن المكتب لا يعلم بدوره شيئا عن سرقة سيارته .

وإذا كان الأمر كذلك فليخبرنى السيد اللواء حبيب العادلى بما عهد فيه من شجاعة وصراحة : ما هو العمل الحقيقى لمكاتب مكافحة سرقة السيارات ؟ هل هو مجرد تحرير المحاضر بوقائع السرقة، والانتظار، ووضع اليد على الخد حتى تأتى معلومة من هنا أو هناك قد ترشد إلى سيارة من هذه السيارات؟

فشل الإدارة فى مرفق المياه!

أربعة وعشرون ساعة لإصلاح ماسورة مياه! هذه فضيحة لمرفق مياه القاهرة، لا تحدث فى قرية صغيرة فى دولة من الدرجة الثالثة، ولكنها تحدث فى مرفق مياه القاهرة الكبرى ، فى فجر يوم الخميس ٢٥ أبريل، وهو عيد تحرير سيناء، استيقظ سكان حى المريوطية بالهرم على انقطاع المياه، انقطاعاً تاماً، وفهم الجميع أن مرفق المياه يحتفل بعيد تحرير سيناء بطريقته الخاصة!

ولم يسبب انقطاع المياه قلقاً كثيراً فى البداية، فقد اعتاد سكان الحى على انقطاع المياه فى منتصف الليل، وفى أى وقت من أوقات النهار! وكانت المياه تعود بعد أربع أو خمس ساعات. ولكنها فى هذه المرة استمرت طول الليل والنهار، وعلى امتداد ٢٤ ساعة كاملة، عاش فيها سكان الحى فى محنة حقيقية، للأسباب التى يعرفها الجميع. فمن خصوصية الماء أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يستغنى عنه فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار. وكانت الحجة التى تذرع بها المرفق هى

الأربعاء ٢٠٠٢/٥/١ .

أن الماسورة التى انفجرت كانت ماسورة كبيرة قطرها ٨٠ سم، ولم يستطع أحد أن يفهم أن مثل هذا العذر يمكن أن يسبب امتداد الإصلاح على مدى ٢٤ ساعة، فمن المفترض فى مرفق ضخم فى مدينة هائلة مثل مدينة القاهرة، أنه يتوقع مثل هذه الانفجارات فى مواسير من هذا القطر أو أكبر منه، وأنه يوفر الامكانات البشرية والمادية، التى تمكنه من إصلاح مثل هذه المواسير فى مدة معقولة يستطيع أن يتحملها المواطن العادى، أما أن يستمر الإصلاح ٢٤ ساعة كاملة، تنقطع فيها المياه عن أهل الحى بكل ما يسببه هذا الانقطاع من أضرار، فإن هذا معناه أن المسئولين عن المرفق يعيشون بعقلية متخلفة عن العصر، وأنهم لا يؤدون عملهم بالكفاءة المطلوبة.

فقد اختفى عهد الإدارة القديمة التى كانت تنتظر فى مكانها حتى تفاجئها الأحداث، ونحن اليوم فى عهد الإدارة الحديثة التى توفر الإمكانات وتتنبأ بالأضرار، وتعد العدة لإصلاحها فى أقرب وقت، وبالكفاءة اللازمة.

ونحن لا نتوقع من مثل هذه الإدارة أن تكون على مستوى الإدارة فى المدن الأوروبية، أو حتى فى القرى الأوروبية، كما لا نتوقع أن تكون على مستوى الإدارة فى البلاد العربية الأخرى، ولكن من حقنا أن نطالب بإدارة تكون على مستوى مكانة مصر ومركزها بين الأمم.

وعلى كل حال فمن الواضح، أن تقاعساً فى الإصلاح تجب محاسبته، بدليل أنه لو كان انفجار هذه الماسورة فى الحى الذى يقطن فيه رئيس المرفق لما استغرق ٢٤ ساعة!

ونحن نعتقد ورئيسنا يدعو إلى تحديث مصر، وقد استغرق الحوار حول تحديث الإدارة جلسات مطولة فى مجلسى الشعب والشورى، أن يبدأ بتحديث الإدارة فى المرافق ذات الحساسية الخاصة بالجمهور، وعلى رأسها مرفق المياه، لأنه إذا استغرق إصلاح ماسورة صغيرة فى حى ٢٤ ساعة، فكم من الوقت يستغرق إصلاح شبكة مياه فى مدينة مصرية؟.

الأرصفة الخطرة

اتبعت نصيحة رجال المرور، وسرت فوق الرصيف فكادت تكسر رجلي مرة، وكدت أفقد حياتي صعقا بالكهرباء مرة أخرى! كان الشارع يسمى شارع العريش في الهرم. ولأني خشيت على حياتي من المرور في نهر الشارع بين السيارات، فقد فكرت في أن النجاة تكون بالسير فوق الرصيف، ولم يكن الرصيف مثل أي رصيف في العواصم الغربية أو حتى في أصغر مدينة، فقد كان الكثير من بلاطه منزوعًا، والأدهى من ذلك أنه كانت تبرز منه أسياخ من الحديد يمكن أن تمزق قدم السائر، وقد تفاديت ذلك بجهد جهيد، ونجوت من التعثر في حفر الرصيف، ولكني ما إن وصلت إلى بقعة منه حتى فوجئت بكبلات الكهرباء الخطرة تبرز على جانب الطريق!

أما أعمدة الإنارة فقد كانت مكمنا آخر للخطر فقد كانت تبرز منها أسلاك الكهرباء العارية، التي تهدد حياة كل من يلمسها بالخطر.

الأثنين ٢٠٠٢/٥/٦ .

هذا ببساطة هو الفرق بين رصيف في القاهرة الكبرى، ورصيف فى أية مدينة أوروبية أو غير أوروبية. فالرصيف فى أية مدينة فى العالم يعنى الأمان والنجاة من الخطر، ولكن الرصيف فى بلدنا يعنى فخاخ الصمق والحفر والتعثر، إنه ببساطة يهدد حياة كل من يسير فوقه.

وإذا كان الأمر كذلك أفليس من الطبيعى أن يتفادى المارة من أبناء وطننا السير فوق الرصيف، ويفضلون السير فى وسط الطريق.

صحيح أن الخطر فى وسط الطريق وارد من السيارات والموتوسيكلات والعجلات، ولكن نهر الطريق فى كل الأحوال نهر مرصوف لا تبرز من كابلات الكهرباء الخطرة.

وقد سألت نفسى، هل هناك صعوبة حقيقية تواجه الأحياء فى المدن لكى يصبح رصيف الشارع آمنا مثل رصيف الشارع فى المدن الأخرى؟

ولم أجد سببا معقولا! فلا يمكن التذرع بالنقص فى الأيدى العاملة، فالبطالة فى مصر، لا تقل إن لم تزد عما يوجد فى المدن الأخرى. ومن يتوجه إلى ما يسمى بأسواق الرجالة، سوف يرى رجالا طوالا عراضا بدون عمل، وسوف يرى شبابا يافعا عاطلا.

والأغرب من ذلك أنه لو كانت هناك إدارة سليمة تحترم العمل وتحترم واجبها، وتملكها الروح الوطنية، والغيرة على سمعة الوطن، لوجدت أنها لا تفتقر إلى العمالة، إنما هى تملك عمالة زائدة، ولكنها لا تستفيد بها، وتهدرها.

ولو كنت فى موضع المسئولية عن هذا الشارع، لأجريت تحقيقا عاجلا يحدد مسئولية من تركوا هذه الأرصفة بتلك الحالة الخطرة، ولجازيت كل واحد منهم بما يستحق، إن مشكلة الإدارة فى بلدنا ليست مشكلة نقص العمالة، إنما التسيب وعدم المساءلة.

الدور المفقود لوزارة الصناعة!

ربما كانت هذه هى المرة المليون التى يشير فيها الرئيس مبارك قضية التصدير، وآخر مرة هى التى كانت فى خطبته الشاملة فى عيد العمال.

وفكرة الرئيس فى التصدير ،فكرة بسيطة للغاية ، وهى أن العولمة آتية لا ريب فيها ،ومعناها فتح الأبواب أمام البضائع الأجنبية ،ورفع الحماية عن البضائع المصرية. وبالتالى فان المشترى المصرى سوف يكون أمامه الاختيار بين البضاعة المصرية والبضاعة الأجنبية ، وبطبيعة الحال فانه لن يختار إلا البضاعة التى هى أجود وأرخص ، فإذا كانت البضاعة المصرية على هذا المستوى كان بها ،وإذا لم تكن فان المشترى المصرى سوف يشترى البضاعة الأجنبية .

ويجب ألا يتذرع فى ذلك بالوطنية المصرية ،ففى السوق التجارية، فإن الذى يتحكم هو جيب المشترى وليس وطنيته.

وللتدليل على ذلك، إذا دخل القارئ كل محلات شارع أكسفورد، ليعرف كم هو عدد البضائع الإنجليزية الصنع التى سوف يجدها،

الأثنين ٢٠٠٢/٥/٦ .

فلن يجد إلا النذر اليسير وسيرى البضائع المستوردة من كافة الأنواع ! بل انه حتى فى محلات ماركس أند سبنسر سوف يجد البضائع المستوردة من كافة البلاد ، وقليل منها الذى صنع فى إنجلترا .

وقد كتبت منذ سنوات عديدة أننى عندما أردت شراء جهاز كمبيوتر لابنى يناسب سنه فى ذلك الوقت وهو من ماركة كومودور ، الإنجليزى الصنع لم أجد جهازا مكتوبا عليه صنع فى إنجلترا ،وإنما كانت نفس الأجهزة مصنوعة فى تايوان وكوريا .

وقد اشتريت قميصا من محلات سيلفرج ، واكتشفت أنه مصنوع فى كوريا . وكذلك الحال بالنسبة للسلع الأخرى ، حيث يجد المشترى أمامه نفس القطعة من صنع بلاد مختلفة ،وبأسعار مختلفة وللمشترى الحق فى أن ينتقى ما يشاء .

ومن هنا لا حماية للصناعة الإنجليزية فى نفس إنجلترا .وهو ما يتوقع فى مصر عما قريب فى عصر العولمة .

وهذا ما دعا الرئيس مبارك إلى إثارة قضية التصدير بقوة فى خطبته فى عيد العمال ، وقد حذر بذلك كل من رجال الصناعة المصرية ، والعمال المصريين معا من البطالة التى سوف تنتظر كل مصنع يتجاهل قطار العولمة الداهم فى الوقت القريب.

وعلى سبيل المثال فمن المحقق أن أصحاب المصانع التى تصنع اللمبات الكهربائية ، هم قوم ينامون فى العسل ،ولا يدرون شيئا عما سوف يحدث لهم ،فاللمبة التى تنتجها هذه المصانع على اختلاف

انواعها لا تتحمل عدة أسابيع ناهيك عن شهور. وقد كانت اللمبة فى السنوات الماضية تعيش سنوات دون أن تحترق ، ومعنى ذلك أن هذه المصانع وغيرها تفهم كلام الرئيس مبارك بالعكس تماما ، وتعمل ضد مصلحتها وضد مصلحة عمالها ، وضد مصلحة الوطن .

ومن هنا أعتقد أنه لا يجب الاعتماد على شرف رجال الصناعة ، أو أمانة العمال وحدها ، وإنما لوزارة الصناعة دور يجب أن تقوم به ،وهو أن تنتقى عشوائيا من كل مصنع أحد منتجاته ، وتضعه تحت الفحص لمعرفة ما إذا كانت تنطبق عليه مقاييس الصناعة السليمة أم لا .

وبدون ذلك فسوف ندخل عصر العولمة بمزيد من البطالة ، ومزيد إغلاق المصانع!

علامات استفهام حول البعثات!

ربما كان الفارق الوحيد بين بعثاتنا إلى الخارج فى القرن التاسع عشر، وبعثاتنا اليوم فى أوائل القرن الواحد والعشرين، أن الدولة فى الماضى كانت تستفيد من هذه البعثات استفادة كاملة، فى شغل الوظائف الإدارية والعلمية بالكفاءات اللازمة، ولكن الدولة اليوم ترسل البعثات الدراسية إلى الخارج فيزداد أعضاء البعثات علمًا وثقافة وخبرة. ولكنهم لا يكادون يعودن إلى الوطن المصرى، حتى يجدوا أنفسهم وقد قذف بهم فى مجاهل الإدارة المصرية أو الجامعات المصرية.

والأسوأ من ذلك أنهم يعودون من جامعات مزودة بأحدث الأجهزة العلمية، إلى جامعات تفتقر إلى أحدث الأجهزة العلمية. ومن هنا لا يكاد يمر عليهم عام أو أكثر حتى يكونوا قد نسوا ما تعلموه، وعادوا إلى حالتهم الأولى قبل البعثة تقريبًا.

والمفارقة الكبرى فى هذا الشأن أن طلبة البعثات العلمية فى الخارج، تستفيد منهم الجامعات والمصانع والشركات الأجنبية فى تلك

السبت ٢٠٠٢/٥/١١ .

البلاد، من أبحاثهم وجهودهم العلمية، نظرًا لارتباط التكنولوجيا بالصناعة، ولأن الأبحاث التى تجرى لذاتها، وإنما تجرى لخدمة الصناعة وتقدمها، وخدمة المجتمع من كافة الأوجه، ولكنهم حين يعودون إلى مصر لا يجدون أى مجال أمامهم لخدمة العلم وخدمة بلدهم، وتكون النتيجة أن يصابوا باكتئاب وخيبة أمل.

على هذا النحو تهدر الدولة الطاقات العلمية الشابة، وتنفق الأموال فى بناء عقول، ولكنها لا تستفيد الفائدة المرجوة من هذه العقول.

وفى رأيى أن هذه القضية بدأت منذ بعض الوقت، بسبب الخلل فى فلسفة البعثات.

فمن المفروض أن الدولة ترسل المبعوثين لدراسة موضوعات نادرة لا توجد فى مصر وتحتاج إليها البلاد، ولكن الأمور جرت على غير هذا النحو، إذ كانت البعثات ترسل لدراسة موضوعات يمكن تتوافر أوجه دراستها فى مصر.

وهذا الكلام ليس من قبيل الإنشاء، فعندما كنت أستاذًا زائرًا فى جامعة لندن، حدثنى الدكتور إبراهيم فوزى وزير الصناعة السابق، والذى كان مستشارًا ثقافيًا لمصر فى انجلترا عن بعض الموضوعات التى استلفتت نظره لغرابتها، والتى أرسل لدراستها بعض المبعوثين. وكان من هذه الموضوعات بعثة لدراسة اللغة العامية المصرية! وقد أثبت الدكتور فوزى هذه الحالة فى الدورية السنوية التى كان يصدرها المكتب الثقافى.

وصحيح أن الأستاذ الدكتور حسن كامل بهاء الدين وزير التعليم العالى قضى على هذا اللون من الموضوعات، عندما كان وزيرًا للتعليم العالى، وحدد ضرورة توافر التخصص النادر فى إرسال المبعوث إلى الخارج، ولكن الحال بالنسبة للمبعوث عندما يعود إلى وطنه، من ناحية إهمال الاستفادة به، وعدم وجود الأجهزة الحديثة التى يواصل بها أبحاثه التى قام بها فى أثناء بعثته . هذا الحال بقى على ما هو عليه.

والسؤال الآن فيما إذًا تنفق الدولة الأموال الطائلة فى البعثات إلى الخارج، إذا كانت تبادر بإهدارها فور عودة المبعوثين إلى أرض الوطن.

رد وزارة السياحة على شكوى الحجاج!

كتبت فى يوم ٢١ مارس الماضى مقالاً بعنوان «ضيوف الرحمن يا وزير السياحة» تناولت فيه شكوى أعضاء أحد أفواج الحجاج، من استغلال وإهمال وسوء معاملة ثلاث شركات سياحة من الإسكندرية.

وقد وصلنى رد من وزارة السياحة يفيد أن الوزارة قامت بالتحقيق مع شركات (بركة للسياحة - أوسكار للسياحة - ناشيونال ترافيل سيرفيس) وقد أسفر التحقيق عن التزام هذه الشركات بالبرامج المتفق عليها والمعتمدة من الوزارة، وأن هذه الشركات قدمت المستندات الدالة على ذلك، وقررت فى أقوالها بالتحقيقات ردًا على ما ورد بالشكوى المنشورة، أن مدة الرحلة هى ١٣ يومًا فقط وليس ٢٥ حيث أنه حج سريع كما ورد بالإعلان عن الرحلة، وتم إخطار الحجاج به قبل السفر (!) كما أن البرنامج المقدم من تلك الشركات والمعتمد من الوزارة متضمنًا مدة الرحلة ١٣ يومًا، وأنه لم يتم تواجد الحجاج لفترات طويلة بالشوارع. ولم يتم الاتفاق على تعيين مشرف دينى بالرحلة، وأن طول

الأثنين ٢٠٠٢/٥/١٣ .

فترة التواجد بمطار جدة يرجع إلى الإجراءات الخاصة بجوازات المطار هناك، وقال الرد أيضًا إن لجان الإشراف التابعة لوزارة السياحة، والتى كانت متواجدة بصفة دائمة للاطمئنان على حالة الحجاج - كما يقول رد الوزارة - لم تشمل محاضرها أية مخالفات ضد هذ الشركات، ولم يتقدم حجاج هذه الشركات الذين تم المرور عليهم أكثر من مرة للبعثة أو لجان إشرافها بأى شكاوى». وبناء على ذلك قامت الوزارة بحفظ الشكوى ضد هذه الشركات. حيث أن القضاء لا يوافق على توقيع الجزاءات دون سند وذلك أمر لا تقوم به الوزارة أساسًا».

هذا ما وصلنى من السيد حسن جمال الدين رئيس قطاع الشركات والمحلات السياحية بوزارة السياحة.

واعترف أن هذا اللون من التحقيقات الذى تضمنه رد الوزارة هو أغرب ما ورد علىّ من ردود الجهات الرسمية.

لقد كنت أتوقع أن يتركز التحقيق على ما ورد فى شكوى الحجاج التى أوردتها فى مقالى، للتحقق مما إذا كان ما ورد من وقائع فى صلب الشكوى التى نشرت نصها فى مقالى، صحيحًا أو غير صحيح، فإذا كان صحيحًا فإلى أى حد يتفق ذلك مع تعليمات وزارة السياحة؟

ولو تم ذلك بالفعل لعرفت الوزارة أن تعديل هذه الشركات زمن الرحلة من ٢٥ إلى ١٣ يومًا، لم يعلم به الحجاج إلا قبل أربعة أيام فقط من الرحلة، وبعد أن دفعوا واستعدوا.

ولم يكن مثل هذا التحقيق عسيرًا فقد أرسلت ـ بناء على طلب السيد رئيس القطاع ـ قائمة بأسماء جميع المشتركين فى هذه الرحلة، ولدى هذه الشركات أرقام تليفوناتهم فإذا أجمعوا جميعهم على صحة هذه الشكوى فعلى الوزارة فى ذلك الحين أن تقرر ما إذا كان ما فعلته هذه الشركات يتفق مع تعليماتها أو أنه لا يتفق.

وإذا أجمعوا على صحة الوقائع التى أوردوها، فإن هذا يكون دليلاً دامغًا على صورية الإشراف الذى تتحدث عنه الوزارة على رحلات الحج، ويبين حجم صورية تلك اللجان المزعومة.

يا سيدى الوزير إن لديك واقعة حقيقية محددة بشهادة كل أعضاء هذا الفوج المنكوب. وكان أجدر بجهاز التحقيق فى الوزارة أن يتحقق مما إذا كان هؤلاء الحجاج يكذبون بمجرد عودتهم من بين الله الحرام، وأنهم يستهلون حياتهم بعد الحج بالافتراء على الأبرياء!

ودعونا نعالج مثل هذه المسائل بالجدية اللازمة، لأنه إذا كانت الوزارة قد عنيت بسؤال أصحاب هذه الشركات، فقد كان الأجدر بها أن تعنى أيضًا بسماع أصحاب الشكاوى!

وإذا كانت الوزارة لا تعتبر شهادة كل أعضاء هذا الفوج سيىء الحظ سندا رسميًا لتوقيع الجزاءات على الشركات المخالفة، فما هو نوع السند المطلوب فى مثل هذه الحالات؟.

رسالة إلى مدير الجوازات

أليس من الغريب أنه فى هذا الزمن الذى يتنكر فيه بعض المصريين لجنسيتهم المصرية، ويتعلقون بأذيال الجنسيات الأوروبية أو الأمريكية، يوجد بعض المصريين الأقحاح، المحرومين من جنسيتهم المصرية، والذين يحفون فى أروقة إدارة الجوازات والجنسية للحصول على جنسيتهم المصرية، دون جدوى.

لقد وصلنى هذا الخطاب الذى أطرحه على اللواء عادل عفيفى، مساعد الوزير ومدير مصلحة الجوازات والجنسية، وهو على النحو الآتى:

أكتب إليكم هذه القصة الغريبة، التى أنا ضحيتها، فأنا مصرى، ولكنى فى الوقت نفسه غير مصرى، فى حكم قوانين الدولة المصرية، وأواجه بصعوبات كثيرة معجزة لحرمانى من جنسيتى المصرية.

لقد تقدمت إلى إدارة الجوازات والجنسية بوزارة الداخلية بالمستندات الآتية وهى:

الثلاثاء ٢٠٠٢/٥/١٤ .

١ ـ شادة ميلاد والدي، وهو من مواليد الشرقية.

٢ ـ شهادة ميلادى فى السودان، مثبت بها أننى مصرى، وموثقه ومعتمدة.

٣ ـ شهادات ميلاد أعمامى، وجميعهم مصريون.

٤ ـ كشف رسمى مستخرج من سجلات مصلحة الضرائب العقارية يثبت ملكية جدى لعقار فى شارع عبد العزيز بالزقازيق.

على أن كل هذه المستندات لم تكن كافية، فى نظر إدارة الجوازات والجنسية، لإثبات جنسيتى المصرية!

والغريب أنه طلب منى مستندات مستحيلة، هى شهادة تثبت أن والدى كان يتردد على مصر فى الفترة من عام ١٩٢١ حتى ١٩٢٩!! فكيف بالله يمكن لى، أو لأى مخلوق الحصول على مثل هذه الشهادة.

إن الانتقال بين السودان ومصر فى تلك الفترة، لم يكن فى حاجة إلى تأشيرات دخول وخروج، إنما كانت السودان مثل أسوان.

ولإزالة هذه الصعوبة، عرضت على الإدارة شهادة اثنين من أعمامى كانا يشغلان مناصب مهمة فى مصر، وقد تجاوزا سن الثمانين. فرفض هذا العرض (وبالمناسبة مات أحدهم منذ فترة).

كذلك عرضت تقديم شهادة من الجهات المختصة بالسودان تقرر أنى منحت الجنسية السودانية بالتجنس كما هو واضح بجواز السفر، وأن الجنسية السابقة هى الجنسية المصرية، فرفض هذا الطلب أيضًا!

هذا هو نص الرسالة التى وصلتنى من السيد إسماعيل محمد إبراهيم مصطفى، أطرحه على السيد اللواء عادل عفيفى، عله يجد حلاً لهذه المشكلة الغريبة، فنحن هنا أمام مصرى قح، أصوله مصرية قحة، والده جنسيته مصرية، وعائلته تعيش فى الزقازيق - وهى مدينة مصرية كما هو معروف!

ومع ذلك تنكر عليه جنسيته المصرية بدون أى مبرر، لقد كان سوء حظ هذا المواطن المصرى أنه ولد فى السودان، ولم يكن السودان فى مثل ذلك الوقت مثل أمريكا وانجلترا، إنما كان جزءاً من الوطن المصرى، وكان ملك مصر فى ذلك الحين وحتى عام ١٩٥١ يطلق عليه ملك مصر والسودان.

ألسنا - إذن - أمام لغز محير؟.

واغتالت القاهرة مدن الأقاليم!

ملاحظة مثيرة طرحت فى شعبة التراث الحضارى والأثرى، بالمجلس القومى للفنون والآداب والإعلام، عندما كانت الشعبة، وهى مكونة من أكبر علماء الآثار فى مصر، تناقش التقرير الذى تضعه عن مدينة «قوص» بالصعيد.

لقد تحدث التقرير عن علماء قوص وآثارهم العلمية على مدى عشرات السنين. وجرى الكلام أيضًا عن علماء «إدفو» وعلماء آخرين فى مدن القطر المصرى، وكل منهم يزيل اسمه بالمدينة التى ولد فيها، وفقًا للتقليد الذى كان سائدًا فى ذلك العصر، وهو أن يعرّف كل عالم نفسه باسم البلد الذى ينتمى إليه، وهذا هو السبب فى أن جميع أسماء هؤلاء العلماء كانت تزيّل بأسماء بلادهم التى انتموا إليها، وعلى سبيل المثال: «السخاوى» و«الطهطاوى» و«الطنطاوى» و«الجرجاوى» و«القلقشندى» إلى آخره.

وقد كان السؤال: من الذى يعرف اليوم علماء أى بلد من بلاد القطر المصرى؟ ولماذا اختفت أسماء المدن من أسماء المشاهير؟. وقد دارت الآراء فى تفسير هذه الظاهرة.

الأربعاء ١٥/٥/٢٠٠٢.

وفى رأيى أن الظاهرة هى ظاهرة طبيعية، تتفق مع العصر الإقطاعى، حيث تحظى الأقاليم بنوع من الاستقلال الذاتى، والبعد عن العاصمة! وبطبيعة الحال فإن هذه الظاهرة تختفى تدريجيًا مع اختفاء العصر الإقطاعى، ومع تقدم وسائل المواصلات، ومع ظهور حكومة مركزية قوية، وهو ما حدث فى مصر حتى وقت قريب.

وعلى سبيل المثال، فإن الكثير من الصحف المصرية كانت تصدر فى الإسكندرية أولاً، ثم تنتقل إلى القاهرة، وكانت الطبعات الصباحية تصدر فى الإسكندرية، والطبعات المسائية تصدر فى القاهرة، فقد كانت القاهرة تتبع الإسكندرية فى الحقل الثقافى، وكانت الأحزاب والجماعات السياسية تنشأ أولاً فى الإسكندرية، ثم تنقل إلى القاهرة، وقد نشأت الحركة النقابية العمالية أولاً فى الإسكندرية، وانتقلت منها إلى القاهرة.

ومع تمركز الحكومة المصرية فى القاهرة، وتمركز النشاط التجارى والصناعى فى القاهرة، بدأ ينحسر الضوء عن مدن الأقاليم. ومع اختفاء العقلية القومية اختفت أهمية مدن الأقاليم.

وربما تتضح هذه الصورة جيداً إذا عرفنا أن النائب فى مجلس الشعب، لا يعد نائبًا عن الدائرة التى انتخبته، إنما هو نائب عن الشعب كله، وبالتالى فهو يمثل مصر كلها، ولا يمثل إقليمًا معينًا. إنه تقدم الفكر القومى على حساب الفكر الإقطاعى.

مهزلة مأموريات العمل إلى الخارج

لست أدرى تمامًا ما هى اختصاصات هيئة الرقابة الإدارية، ودورها فى ضبط الجهاز الإدارى المنفلت؟. وعلى سبيل المثال، فما هو دور جهاز الرقابة الإدارية فى ضبط مأموريات العمل التى تستنفد ميزانية الدولة فى بدلات السفر وغيرها، والتى أصبحت تشمل كل أجهزة القطاع العام تقريبًا بلا استثناء.

لم يحدث مرة أن طلبت رئيس مجلس إدارة شركة من الشركات، إلا ووجدته فى الخارج فى مأمورية عمل! وكنت أعجب! فبعض هذه الشركات لا تسمح أعمالها بخروج رئيس مجلس إدارتها، ومعه من يشاء من المحبين إلى الخارج لقضاء مهمة تتعلق بعمل هذه الشركة!

هذا هو الفساد الإدارى الحقيقى، وهو التحايل على «الفسح» وبدلات السفر وقضاء وقت العمل المفروض لخدمة الشركة فى التسكع فى أوروبا وأمريكا، تحت حجة مأمورية عمل.

الخميس ٢٠٠٢/٥/١٦ .

كان هذا الأمر غير معروف منذ نصف قرن عندما كان الاتصال بين القاهرة والإسكندرية يتطلب نصف يوم، والاتصال بأوروبا يحتاج إلى ترتيبات وأيام.

ولكنه يحدث اليوم، فى عصر ثورة الاتصالات العظمى، التى تجعل الاتصال بأبعد بقعة على وجه الكرة الأرضية، لا يتطلب أكثر من دقيقة واحدة هى التى يقضيها المرء فى إدارة قرص التليفون.

بل إنه اليوم يوجد ما يعرف باسم الفيديو كونفرانس، وفيه يمكن عمل مؤتمر يشترك فيه عدة مديرين فى مناقشة صفقة معينة أو غيرها، دون أن ينتقل أحد منهم من مكانه، ناهيك عن الفاكس، والـ «إى - ميل» والانترنت وغيرها.

وإذا كان الأمر كذلك أفليس مما يتناقض مع طبيعة العصر، ومع طبيعة التطور الصناعى والتكنولوجى العالى، أن تتزايد مأموريات العمل إلى الخارج، بدلاً من أن تقل أو تنعدم!

إن القارىء ليعجب حين يعلم أن بعض رؤساء مجالس إدارة بعض الشركات التى تعمل فى مشروعات محلية، لا يكفون عن السفر إلى الخارج، وتقاضى بدل السفر الباهظ، وترك أعمالهم للصغار، يعبثون بها، ويفسدون فى الأرض، ولدى نماذج من هذه الحالات!

كم كنت أود أن تعنى هيئة الرقابة الإدارية، وعلى رأسها مقاتل شديد البأس هو اللواء هتلر طنطاوى أن ينقل اهتماماته إلى هذا

الركن الفاسد في الإدارة المصرية! ولو كنت مكانه لطالبت كل شركة، وكل وزارة بموافاة هيئة الرقابة بعدد سفريات رئيس مجلس الإدارة إلى الخارج، والأسباب الملحة التي اقتضت ترك مسئولياته والسفر إلى الخارج! ثم المبالغ التي تقاضاها في هذه المأموريات الملفقة، لكي نغلق هذا الباب الواسع من أبواب الفساد الإداري.

عصر المرأة الذهبى!

من المحقق أن المرأة فى عالم اليوم، تمر بأزهى عصورها التاريخية! لقد كانت المرأة فى العصر الماضى، تنقسم إلى : امرأة جميلة، وامرأة قبيحة. واليوم اختفى القبح من عالم المرأة!

والفضل فى ذلك يرجع للرجل وليس للمرأة! لقد قادت عبقرية الرجل إلى اكتشاف ألوان من المساحيق، والكريمات، والدهانات، وأدوات فرد الشعر الأكرت والمجعد، والأصباغ.

هذا بالإضافة إلى ظهور عباقرة فى فن الكوافير، قاموا بعمل تصميمات لشعر المرأة، نقلتها من العصر الهمجى، إلى العصر المتمدن.

والغريب فى الأمر ظهور تسريحات كل حين وآخر تتبعها المرأة بعناية فائقة. ففى وقت تظهر تسريحة «ألا جرسون»، فيختفى على الفور الشعر الطويل، ثم تختفى هذه التسريحة وتظهر تسريحات أخرى، وهكذا بدون هوادة.

الأحد ١٩/٥/٢٠٠٢ .

ثم فكر الرجل فى أن المرأة قد تحب أن تظهر بتسريحات مختلفة فى أوقات متقاربة، فاخترع باروكة الشعر الحديثة، التى يمكن تصميم عدة تسريحات فيها فى أوقات متقاربة.

وهكذا لم يعد يوجد شارع فى مدينة مصرية، دون أن يكون به كوافير، حتى أصبح دخل الكوافيرات من أعلى الدخول فى مصر.

ومع تقدم طب العيون، وظهور العدسات اللاصقة، فكر الرجل: لماذا لا يزيد فى تزوير وجه المرأة عن طريق تزويدها بعدسات ملونة! وأصبحنا نفاجأ بامرأة سوداء العين فى الصباح، تتقلب إلى زرقاء أو خضراء العين فى المساء!

ولم يقتصر الأمر على وجه المرأة، بل تعداه إلى جسدها، فاختفى إلى حد كبير حزب شجر الجميز، الذى اشتهر به العصر الماضى، وظهرت وسائل التخسيس، وشد الترهلات، من جسد المرأة، وزودت بالآلات الحديثة التى تزيل الشحوم من هذا الجزء أو ذاك من جسدها.

وبذلك اختفت إلى حد كبير صورة المرأة القديمة الطبيعية، وظهرت صورة المرأة الحديثة المصنوعة. واختفت بالتالى أذواق الرجال فى المرأة، فلم يعد يقبل الرجل على شجر الجميز، وانما أصبح يقبل على المرأة الرشيقة التى تحسن تجميل وجهها، وتخفى منه أى قبح!

والمهم فى كل ذلك أنه أضاف أعباء كبيرة إلى المرأة، لم تكن تعرفها من قبل، وحرمها من جميع الأطعمة التى تحبها، وكذلك من جميع المشروبات، كما أضافت إليها نفقات مالية أصبحت تثقل ميزانيتها. ولكنها لا تتذمر من ذلك فكله يهون فى سبيل إرضاء الرجل!

حصيلة الضرائب:
مسألة أخلاقية أم اقتصادية؟

من أكبر المفارقات فى الإدارة المصرية، أن بعض الأعمال الهامشية تحظى بإدارات فخمة ومكاتب وأقسام مكيفة، أما الأعمال الجوهرية والأساسية فيخصص لها أسوأ المبانى والتجهيزات. وعلى سبيل المثال جهاز الضرائب!

فمن المعروف أن هذا الجهاز هو من أهم الأجهزة فى الدولة، لأنه هو المسئول عن تحصيل مليارات الجنيهات من الممولين، وعلى أمانته ونزاهته تتوقف كمية الأموال المحصلة نقصًا أو زيادة. ومن المفروض فى مثل هذا الجهاز ألا تبخل عليه الدولة بمال، وألا تبخل موظفيه بالرعاية المادية والصحية اللازمة، ولكننا نرى العكس تمامًا، فالمرتبات منخفضة ولا ترقى إلى مرتبات موظفى البنوك. وأما الرعاية الصحية، فإن صندوق الرعاية الصحية والاجتماعية لا يعطى أكثر من ٣٠٠ جنيه سنويًا، مقابل مصاريف علاج الموظف وأسرته، وهو ما لا يتناسب مع أسرة مكونة من ثلاثة أو أربعة أفراد، هذا مع العلم أن الموظف يخصم منه فى مقابل هذه الرعاية مبلغًا شهريًا لصالح الصندوق.

الاثنين ٢٧/٥/٢٠٠٢ .

ويتذرع المسئولون فى ذلك بأن الصندوق يتحمل مكافآت نهاية الخدمة و ٩٠٪ من تكاليف العمليات الجراحية.

وواضح من هذا الوضع أن الدولة لا تعرف الضغوط التى يتعرض لها موظفو الضرائب فى هذا المجتمع الذى ينطبق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن القابض على دينه كالقابض على الجمر، وهى تفترض فى مأمور الضرائب الصلابة والنزاهة المطلقة، مهما تعرض لضغوط الحياة. كما تنسى أن زيادة حصيلة الضرائب ونقصها يتناسبان طرديًا مع زيادة أوضاع موظفى الضرائب أو تدهورها.

وهذا ما تعرفه الدول المتقدمة، التى تتعامل مع موظفيها على أساس الواقع الملموس، بدلاً من المثاليات والأوهام، فهى تعرف أنها بقدر ما توفر لموظف الضرائب حياة كريمة، بقدر ما يعطيها حصيلة كريمة، فإذا عرّضت الموظف للحاجة، فإنها لا تضمن أن يعرّضها أيضًا للحاجة.

والغريب أن قدماء المصريين منذ آلاف السنين كانوا يدركون هذه الحقيقة ويتعاملون على أساسها، فقد كانوا يرفعون مرتبات الجباة وأمناء المخازن وكل من تعرضه وظيفته للغواية.

لقد كان قدماء المصريين يدركون أن الأمانة وحدها ليست كافية وأنها ليست مسألة أخلاقية، إنما هى مسألة اقتصادية، ولكن حكومتنا السنية تفهم العكس، وهو أن الأمانة مسألة أخلاقية فقط! وربما كان هذا هو السبب فى الانخفاض المستمر فى حصيلة الضرائب فى مصر!

حول شركات نقل الركاب!

الخدمة التى تقدمها شركات النقل البرى السريع بين المدن، خصوصا بين القاهرة والإسكندرية، تعد خدمة ممتازة، وقد غطت جانبا كبيرا من قصور الخدمة التى كانت تقدمها شركات النقل الحكومية. فالسيارات مريحة، ومكيفة، ومزودة بوسائل الترفيه.

ولكن المشكلة تتمثل فى البشر الذين يخدمون على هذه السيارات، فهم يحاولون ابتزاز الركاب بكل الطرق.

وعلى سبيل المثال، فقد زودت شركات النقل هذه سياراتها ببوفيهات تقدم المشروبات وبعض المأكولات الخفيفة. وفى كل بلاد الدنيا فان هذه البوفيهات تكون ملتزمة بتقديم خدماتها بالأسعار المحددة، وهو نفس الحال فى سيارات النقل المصرية، ولكن القائمين على الخدمة فيها، لايكتفون بما يجنونه من ربح مشروع، إنما يحتالون على زيادة هذا السعر بطرق جهنمية! وعلى سبيل المثال، فإنك حين تطلب كوبا

الجمعة ٢٠٠٢/٥/٣١ .

من الشاى تقدم لك العاملة إلى جواره، طبقا من أنواع مختلفة من البسكوتات والسندويتشات والكيك، دون أن تطلب ذلك، فإذا تناولت إحدى هذه القطع طلب منك دفع أضعاف السعر، فأنت هنا أمام عملية نصب ، لا بيع فيها ولاشراء ولا خدمة مما تقدمه شركات نقل الركاب فى أى مكان، فقد ذكر لى قريب ركب إحدى سيارات الاتحاد العربى من الإسكندرية إلى القاهرة، أنه عندما طلب كوبا من الشاى، لاحظ أن الفتاة التى تقوم بالخدمة قد وضعت فى الكوب ثلاثة أكياس من الشاى بدلا من كيس واحد، لكى ترفع سعر كوب الشاى ثلاث مرات حسب عدد الأكياس، وكانت النتيجة أن الشاى أصبح أسود، تغلب عليه المرارة، وبطبيعة الحال فقد أفسد هذا عليه المشروب، والغريب أنه عندما سأل العاملة عن سبب وضع ثلاثة أكياس، أجابته بأنه لم يطلب كيسا واحدا! وعندما سألها وهل المفروض فى كوب الشاى أن يوضع فيه ثلاثة أكياس بدلا من كيس واحد؟، أجابت بأنه حسب الطلب، ورد عليها وهل طلبت منك ثلاثة أكياس؟، وهنا تظاهرت العاملة بالغضب لكرامتها، وردت بأنها سوف تتحمل ثمن الأكياس الثلاثة!

أنت هنا أمام نوع صغير من المستغلين الذين يعتمدون على خجل الركاب وتحرجهم من مناقشة مثل هذه الأمور (وبالمناسبة فهذا الراكب استقل سيارة الاتحاد العربى التى قامت من الإسكندرية الساعة التاسعة من صباح يوم الأربعاء ٢٩ مايو، ووصلت إلى القاهرة فى الساعة ٤٥، ١١ق).

هذا الكلام ينطبق على ماتبقى من نقود، فان العاملات يعتبرونه حقا مكتسبا، ولايردونه على الإطلاق إلا إذا طلب منهم.

هذه الظاهرة ـ وهى ظاهرة عامة لاتخلو منها سيارة على الإطلاق ـ هى ظاهرة مهينة لشركة نقل الركاب وللقائمين على هذه البوفيهات كما أنها لامثيل لها فى بلد من البلاد، فهى نوع من النصب والتحايل! وكان من الطبيعى أن يترتب على ذلك أن الجمهور المصرى، وهو جمهور ذكى، لم يعد يثق فى هذه البوفيهات، وأصبح الكثيرون يصطحبون معهم بعض المأكولات الخفيفة لحماية أنفسهم من الاستغلال.

ولست أدرى هل تقع الرقابة على هذه الشركات فى إطار وزارة السياحة أو وزارة النقل؟ فما يهمنى بالدرجة الأولى هو إزالة هذه الوصمة، فهذه السيارات يركبها المصريون والأجانب على السواء.

وهذا هو رد شركة نقل الركاب!

المقال الذى كتبته عن سوء الضيافة فى أتوبيسات شركة الاتحاد العربى لنقل الركاب يوم ٣١ مايو ٢٠٠٢ ، فيما بين الإسكندرية والقاهرة ،وما يجرى فيها من استغلال العمال والعاملات القائمين على تقديم الأطعمة والمشروبات للمواطنين ، الذين يستقلون هذه العربات ، وصلن عنه الرد الآتى من الأستاذ أحمد عارف مدير عام شركة «سابينتشى» المسئولة عن الضيافة فى هذه الأتوبيسات ، وفيه يقول أن قائمة أسعار الأصناف التى تقدم فى هذه الأتوبيسات معلقة فى مكان واضح فى محطات الركوب ، كما أنه يقدم لكل راكب قائمة الأسعار مع التذكرة ! و يقدم لكل راكب فاتورة عند تسديد الحساب مدون بها الأصناف التى تناولها وأسعارها وأرقام التليفونات، للاستعلام أو تقديم الشكاوى أو المقترحات. كما أنه يوجد مراقب فى كل محطة وصول لتلقى أى ملحوظات أو شكاوى من السادة الركاب حيث يتم التصرف فيها فورا . .

الجمعة ٢٠٠٢/٥/٣١ .

وجميع الإجراءات السابقة قرتها الشركة للتغلب على محاولة استغلال مضيف أو مضيفة من ذوى النفوس الضعيفة.

وعلى الرغم من جميع هذه الإجراءات إلا انه تحدث بعض المخالفات والتجاوزات الفردية والتى يتم التصرف فيها بكل حزم .

ويقول الرد انه تم إيقاف المضيفة التى كانت تعمل فى الميعاد المحدد بمقالكم ، وإجراء التحقيق الفورى بمجرد قراءة المقال ، ويهيب السيد احمد عارف بجميع الركاب التمسك بحقهم وطلب الفاتورة وتقديم الآراء والمقترحات والشكاوى إذا لزم الأمر ، وأن هذا هو السبيل الوحيد للنهوض بمستوى الخدمات التى تقدم للجمهور.

هذا هو الرد الذى وصلنى من السيد أحمد عارف مدير عام شركة سابيتشى القائمة على ضيافة ركاب أتوبيسات شركة الاتحاد العربى ، وإنى إذ أشكره على هذا الرد ،وعلى هذا التوضيح ،وعلى سرعة الإجراءات ، فإنى أقول له إن ما ينقص الإدارة فى هذا العمل هو الرقابة والمتابعة. فجمهورنا جمهور مسالم وكريم ، وهو يتحرج كثيرا من الدخول فى مناقشات مع العاملات حول المسائل المادية ،وهو ما تستغله العاملات استغلالا بلا حياء.

فالذى يحدث حاليا على جميع الأتوبيسات التى تقوم فيها هذه الخدمة، هو انه لا تقدم أية قائمة بالأسعار مع تذكرة السفر ! كما انه لا تقدم فاتورة ! بل انه إذا طلب الراكب فاتورة يكون الرد عليه بأن الشركة لا تزود العاملات بالفواتير ! كما أن العاملات يتحايلن على

ابتزاز الركاب عن طريق تقديم أصناف من المأكولات لم يطلبها الراكب أصلا ، وتتم محاسبته عليها أو على بعضها بعد مساومة مملة ومهينة للركاب ، لا تخلو من امتعاض ووقاحة العاملة .

وواضح أن مستوى اختيار العاملات فى هذه الأتوبيسات ، ليس هو المستوى الذى يتفق مع كرامة الشركة أو كرامة الركاب أو كرامة مصر.

ومن هنا ،فلعل المسئولين عن الشركة لا يعولون كثيرا على شكاوى الركاب المصريين الذين علمتهم التجارب عدم جدوى تقديم مثل هذه الشكاوى ،وعلى الشركة الاعتماد على وسائل الرقابة الأخرى التى تلجأ إليها الشركات فى أوروبا والعالم المتحضر ،لأن ما يرتكب على هذه الأتوبيسات من مخالفات يجب أن يمنع ويقمع بسرعة وحسم .

براءة شركة الاتحاد العربى!

سبق لى أن تناولت فى مقالى بتاريخ ٣١ مايو ٢٠٠٢، سوء الضيافة على خطوط شركة الاتحاد العربى للنقل البرى، واستغلال المضيفات للركاب، وطالبت بإنهاء هذا الوضع المذرى.

وقد تلقيت من المهندس مختار مصطفى حسن، رئيس شركة مجلس الإدارة ردًا تناول فيه الجهود التى تبذلها الشركة لتطوير الخدمات على هذه الخطوط، مشيرًا فى البعد الإجتماعى المتمثل فى انخفاض تعريفة الركاب.

وقد تعرض لما أشرت إليه مما يشوب خدمات الضيافة من مسالب، فأوضح أن خدمات الضيافة بحافلات الشركة، تقدمها شركة متخصصة بتعاقد يحدد مسئولية شركة الضيافة على تقديم خدماتها، مؤكدا أن ذلك لا يعفى الشركة من المسئولية عن أى خطأ يحدث على متن حافلاتها.

السبت ٢٠٠٢/٦/٢٩.

وعلى ضوء ذلك وأمام أى من شكاوى الجمهور، أو الأخطاء التى تصدر من القائمين على الخدمة، فإن الشركة تتخذ على الفور إجراءاتها طبقا للتعاقد المبرم.

وذكر سيادته أنه نظرا لتعدد شكاوى الجمهور فى الفترة الأخيرة، إضافة إلى الوقائع الهامة التى وردت فى مقالى، فإن الشركة تجرى حاليا تقييما قانونيا لحقوقها قبل شركة الضيافة. وأيضا الإجراءات التى يلزم اتخاذها للمحافظة على ما حققته الشركة من سمعة بين جمهور الركاب قد بناؤها على مدى ما يزيد على خمسة وعشرين عاما.

«وبالإضافة إلى ذلك» - كما يقول رد المهندس مختار مصطفى حسن «فإنه يتم الآن توزيع قائمة بأسعار السلع التى تقدم مع كل تذكرة تباع إلى الجمهور، كما يتم من بداية الأسبوع الحالى إعلام السادة الركاب مرتين على كل رحلة بأن الشركة مقدمة الخدمة ملزمة بالعمل بقائمة الأسعار وقصر الطلبات على ما يطلبه الراكب على أى من البنود الواردة بهذه القائمة دون أى زيادة. كما يتم التأكيد على ترحيب الشركة بتلقى أى شكوى بمحطة الوصول ليتم حلها فورًا وقبل مغادرة الراكب».

«وإنى على يقين أن ما تتخذه الشركة من خطوات حاسمة فى هذا السبيل سوف يؤدى فى أقرب وقت إلى تجاوز هذه المشكلات والانتهاء منها. ويسعدنى أن تواصلوا سيادتكم متابعة جهود شركة الاتحاد العربى فى الفترة القادمة للأطمئنان على ما تم إنجازه».

هذا ما وصلنى من المهندس مختار مصطفى حسن، ردًا على مقالى سوء الضيافة على أتوبيسات شركة الاتحاد العربى. وهو رد مقنع فى الواقع، ويحدد المسئولية عن سوء الضيافة، كما يظهر غيرة على سمعة شركة الاتحاد العربى للنقل البرى.

وتصورى الشخصى - مما أسمعه عن سلوك الضيافة أنه لا يتفق مع سمعة شركة الاتحاد العربى، وإن اختيار شركة الضيافة للمضيافات كان اختيار جانبه الصواب ! ولست أدرى لماذا ؟ فالبطالة فى مصر توفر أصلح العناصر من حملة المؤهلات العليا الذين يترفعون عن سلوك الشحاذة واستغلال الركاب، ويحفظ - وبالتالى لشركة الضيافة سمعتها.

ولعل هذه الشركة تعيد النظر فى تعييناتها بما يحفظ حسن السمعة لكل من شركة الضيافة ، ولشركة الاتحاد العربى للنقل البرى.

مياة معدنية أم مياه حنفية!

عندما زرت المدينة الفرنسية الجميلة «أكس - ن - بروفانس» فى جنوب فرنسا، لحضور مؤتمر عن مصر فى القرن التاسع عشر، سألت مرافقى إلى الفندق، وهو البروفيسور ديلانو، وهو يتكلم العربية الفصحى بطلاقة، من أين أشترى زجاجة مياه معدنية؟. فأجاب ضاحكًا بالعربية الفصحى: لو اشتريت مياها معدنية، لضحكت عليك الحنفية! وعندما استفسرت منه عن المعنى، أجاب بأن المياه التى تجرى فى حنفيات المدينة، هى مياه معدنية بالفعل، ومن ثم لا حاجة بى لشراء مياه معدنية، إذ تكفينى مياه الحنفية.

وفيما يبدو أن شركات المياه المعدنية المصرية، تتصور أن المياه التى تجرى فى حنفياتنا هى مياه معدنية، مثل المياه التى تجرى فى حنفيات أكس ن بروفانس! ولذلك فهى تكتب على زجاجاتها اسم مياه معدنية، ثم تكتب محتويات هذه المياه من البوتاسيوم والكالسيوم والماغنسيوم والحديد وغيرها من المعادن! ثم يفاجأ المستهلك الذى يشرب من هذه المياه بأنها فى كثير من الأحيان مياه معطنة! أو متغيرة الطعم، وهو ما

الأثنين ٣/٦/٢٠٠٢ .

لا يمكن أن يحدث فى مياه معدنية تخرج من عمق سحيق تحت الأرض.

ومن هنا فإننا نناشد هذه الشركات بأن تكون واقعية ، وأن تنشر إلى جانب محتويات مياه الزجاجة من المعادن، محتوياتها الأخرى من الجراثيم التى تصاحب مياه الحنفية فى بلدنا.

وفى الوقت نفسه فإننا ندعو وزارة الصحة، وعلى رأسها وزير جاد هو الأستاذ الدكتور محمد عوض تاج الدين، أن تكلف جهازا علميًا دائما بتحليل عينات عشوائية من مختلف الشركات للتحقق من صدق البيانات المدونة على كل زجاجة. فإذا تبينت العكس كشفت أمرها للجمهور المصرى، حتى يبتعد عن مياهها إلى مياه أخرى تتفق بياناتها مع الحقيقة.

وربما يكون من صالح هذه الشركات، أن تعرض على جمهورنا الكريم أفلاما تبين الموقع الذى تستخرج منه المياه والآلات المستخدمة، وإمكانات هذه البئر من المياه، وعمقها ووسائل التعبئة والنقل وغيرها، مما يبعث الطمأنينة فى قلب الجمهور المصرى، الذى يستهلك هذه المياه.

وفى الوقت نفسه، وبالدرجة الأولى، فإنه من الضرورى جدًا أن يقوم هذا الجهاز العلمى، بفحص عينات عشوائية من مياه الشرب العادية التى تجرى فى الحنفيات، للتحقق من صلاحياتها للاستهلاك الآدمى. ذلك أن الأغلبية الساحقة من جمهورنا المصرى يستخدم مياه الحنفية، ولا يملك ترف شراء زجاجات المياه المعدنية. ومن حق هذا الجمهور أن يشرب مياها صالحة للشرب، لا تصيبه بالأمراض، وهو ما يحدث كثيرا فى هذه الأيام.

حول قانون محاربة التدخين

وافق مجلس الشعب فى يوم أول يونيه ٢٠٠٢، على قانون مهم هو قانون مكافحة التدخين ، ويقضى بحظر الإعلان عن السجائر، ومنع بيعها لأقل من ١٨ سنة.

وعلى الرغم من أهمية هذا القانون فلست أظن أن المدخين سوف يعيرونه اهتماما! كما أن الأحداث سوف يتحايلون على الشراء، وسوف لا يعبأ الباعة بهذا القانون، وسيبيعون السجائر للكبار وللصغار، بعد إضافة بعض النقود فى مقابل المخاطرة!

وهو أمر محزن للغاية ! وهو برهان على أن العقل البشرى إذا تعارض مع الرغبة، فإن الرغبة تتغلب، كما يعنى أن الإنسان لا يعبأ بالمخاطر مهما عظمت فى سبيل إرضاء شهواته الشخصية.

ما قام به مجلس الشعب من محاولة لمحاربة التدخين، لم يكن جديدا، فقد سبقته أعتى الدول الرأسمالية التى يقوم جزء مهم من اقتصادها على إنتاج السجائر، عندما تحقق العلماء من أن ضرر السجائر ضرر أكيد على الصحة العامة، بل هو مدمر لصحة الإنسان.

الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/٤ .

وقد كان من المفروض، أن تمنع الحكومات الرأسمالية، وتجرم إنتاج السجائر مادامت بهذا الخطر على صحة الإنسان. وهو ما تفعله بالنسبة لمواد أخرى تصيب صحة الإنسان بالضرر، مثل إنتاج الهيروين والأفيون والبانجو وغيرها.

ولكن قوة وجبروت وسطوة المال عند شركات إنتاج السجائر، منعت صدور هذا التحريم. ولم تجد الحكومات الرأسمالية ما يمنعها من الإذعان لجبروت هذه الشركات، فعندما وازنت بين الاقتصاد وصحة الإنسان، فضلت الاقتصاد.

وقد كان الحل الوسط الذى عرضته شركات إنتاج السجائر مع الحكومات، هو أن تكتب على منتجاتها من علب السجائر الأنيقة تحذيرا من استعمالها، ينص على أن التدخين ضار بالصحة.

وقد قبلت الحكومات الرأسمالية هذا الحل الوسط، وهى تعلم أن هذا التحذير لن تكون له أية فاعلية أمام رغبة المدخنين.

ولكى تتحايل شركات إنتاج السجائر على هذا التحذير، فإنها زادت من تجميل علب السجائر، بحيث تكون مغرية للمدخن، ومشجعة له على تحدى الخطر.

وهو ما حدث بالفعل، فقد أصبحت علب السجائر، من أجمل علب المنتجات الاستهلاكية ، حتى أنها فاقت فى جمالها علب الشكولاته التى تجذب الأطفال، وأصبحت من أشد ما يفخر به المستهلك من اقتناء، بل أصبحت من مظاهر الأناقة والتفاخر، وقد زاد الطين بلة انضمام المرأة إلى الرجل فى عادة التدخين، الأمر الذى زاد من الاستهلاك وضاعف من الخطر.

حول قانون محاربة التدخين (٢)

حاولت كثيرا أن أجيب على هذا السؤال: ما الذى يدفع البشر إلى الإضرار بأنفسهم، وتدمير صحتهم التى هى أعز ما يملكون، فى مقابل إشباع شهوة غير مفهومة، هى شهوة التدخين!

عندما كنت صبيا جلست مع بعض الصبية الصغار، وإذا بأحدهم يخرج سيجار ويدخنها، ويناولها للآخرين للاشتراك معه فى تدخينها. وعندما جاء الدور علىّ رفضت، وسألنى الرفاق، لماذا ترفض قلت: لأن رائحتها كريهة، وليست مريحة! وقد دهشت عندما كانت الإجابة بالتصديق على كلامى! وعندئذ سألت إذا كان الأمر كذلك فلماذا تدخنون ؟ كانت الإجابة: لأننا كبرنا، وأصبحنا رجالا! أفلا تريد أن تكون رجلا؟ قلت الرجولة ليست بالتدخين، وإنما بالقيام بأعمال الرجال. وقد فهمت أن معظم الصبية، إن لم يكن كلهم، يدخنون بهدف إظهار أنهم تخطوا مرحلة الطفولة، ودخلوا فى مرحلة الرجولة.

ولكن الأمور تسير بعد ذلك فى طريق الإدمان! فالسيجارة تجر وراءها سيجارة، إلى أن يصبح المرء مدمنا للسجائر.

الأربعاء ٢٠٠٢/٦/٥ .

والأمر المدهش، والذى لا تفسير له، هو تجاهل المجتمع الدولى صفة الإدمان فى السجائر ! فالمجتمع البشرى يعترف بإدمان شرب الخمر، وبإدمان تعاطى المخدرات، ولكنه يغض الطرف عن خاصية إدمان السجائر! مع ما هو مشاهد من أن التدخين يسبب الإدمان بالفعل، بدليل أنه يتعذر على أى مدخن أن يقلع عن التدخين إذا أراد ذلك. فقد جرت العادة ألا يقلع عن التدخين، إلا مرغما، أى بعد إصابته بالفعل بالأمراض التى يسببها التدخين. وعادة ما يكون ذلك بعد فوات الأوان، أى بعد أن يكون السيف قد سبق العزل.

وكل ذلك أمر مفهوم، ولكن الشئ غير المفهوم أن المدخنين جميعهم يشاهدون هذه المصائب تقع تحت أبصارهم يوميا، ويتساقط أمامهم الضحايا من أصدقائهم وأقاربهم، دون أن يتعظوا، ودون أن يرتدعوا، ودون أن يقلعوا عن التدخين.

وقد عرفت أوروبا أن السبب فى ذلك يرجع إلى عدم الوعى بهذه الأضرار منذ وقت مبكر، ولذلك أخذوا فى توعية الصغار بهذه الأضرار فى مرحلة مبكرة جدا.

فعندما كنت أستاذ زائرا فى جامعة لندن، عرفت من صاحب المنزل، وهو مدرس علوم فى مدرسة اعدادية، أنهم يدرسون للتلامذة الصغار أضرار التدخين بطرق حديثة جدا، تقنع الصغار بمضار التدخين، وتأثيره المدمر على الصحة العامة.

(يتبع)

حول قانون محاربة التدخين (٢)

ذكرت فى مقالى السابق، أن الدول الغربية تقوم بعمل التوعية ضد التدخين منذ وقت مبكر ، وتقوم بهذه التوعية فى المدارس الإعدادية، وقد فهمت أن هذه التوعية تتم عن طريق عمل أنموذج زجاجى لرئة الإنسان يعرض أمام التلامذة الصغار، ثم يمرر فى الأنابيب الزجاجية دخان السجائر، فيرى التلامذة كيف أخذ اللون الأبيض الناصع يصفر تدريجيا، حتى يتراكم القطران على الأنابيب الزجاجية من الداخل، وتصبح سوداء بعد أن كانت ناصعة البياض. ثم يقال للتلامذة إن هذا الذى يشاهدونه هو مصير رئاتهم إذا هم أدمنوا التدخين.

ولست أدرى تماما ماهى نتائج هذه الدروس حول مضار التدخين عند التلامذة، ولكنى أطالب السيد الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم، بإدخال برنامج لمكافحة الإدمان فى مدارسنا المصرية، لأنه فى كل الأحوال فإن كل تلميذ فى مدارسنا المصرية هو عبارة عن مشروع مدخن سوف يكبر يوما بعد يوم، حتى

الجمعة ٢٠٠٢/٦/٧ .

يصبح مدخنا كبيرا، فيصبح عندئذ مشروع مريض بسرطان الرئة، أو مشروع مريض بعدد آخر من الأمراض الفتاكة.

أقول ذلك وأدعو البرامة التليفزيونية إلى المشاركة فى هذه الحملة ضد التدخين، عن طريق القيام بزيارات لأقسام معهد الأورام، وعمل لقاءات مع الأطباء، ومع المرضى، لكى يشاهد الجمهور المصرى بنفسه، أو بعبارة أدق لكى يشاهد جمهور المدخنين المصريين مصائرهم مرسومة على وجوه الآخرين.

إن الإنسانية جمعاء اليوم فى مواجهة كارثة تحيق بما تتمثل فى إباحة التدخين، تشبه لحد كبير الأوبئة التى يشهدها العالم من حين لآخر، مثل الإيدز والدرن والوباء الكبدى.

ولكن الفرق الجديد بين هذه الأوبئة ووباء التدخين، أن الأوبئة الأخرى تواجه من المجتمع الدولى بمقاومة شديدة، وخطط مرسومة للمقاومة، ومتابعة لانتشارها أو لانحسارها، ولكن وباء التدخين يقابل بإغماض العين، والتغاضى، والإرشادات البسيطة مثل منع التدخين فى جزء من الطائرات، وإباحته فى الجزء الآخر، ومثل منعه فى المسارح العامة والسينمات، وأماكن الاجتماعات العامة، وأحيانا فى بعض المكاتب الخاصة. وفى الغرب يحرم على الموظفين فى أماكن العمل، ولمن شاء التدخين الذهاب إلى أماكن خاصة لهذا الغرض. كذلك منع التدخين فى بعض المركبات العامة، وفى بعض عربات القطارات.

.ولكن هذه الحواجز ـ كما هو معروف ـ هى حواجز للحد من أماكن التدخين، وليست للحد من التدخين! فالمجتمع الدولى واقع تحت سيطرة الشركات المنتجة للسجائر .

وإذا كان هذا مبررا اقتصاديا بالنسبة للدول التى تجنى أرباحا طائلة من إنتاج هذه السلعة المدمرة للصحة، والمسببة للموت، فإنه ليس مبررا فى بلدنا كبلدنا ! ومن هنا فإنى أرحب بقانون محاربة التدخين الذى وافق عليه مجلس الشعب مؤخرا، ولكنا نرى أنه جاء متأخرا جدا، وأنه يمثل مجرد خطوة أولى فى طريق طوله ألف ميل، لاقتلاع هذا الوباء من بلدنا .

مأساة ميدان التحرير!

ميدان التحرير هو أوسع ميادين القاهرة على الإطلاق، وهو أفقرها أيضا. فهو عبارة عن مساحة شاسعة مرصوفة تخلو من أى معلم من المعالم التى تميز الميادين الكبرى فى عواصم العالم.

على سبيل المثال ففى ميدان الكونكورد فى باريس تجد المسلة المصرية العظيمة والتماثيل والنافورات، وفى ميدان الطرف الأغر فى لندن نجد أيضا نفس الإبهار، وفى كل ميدان تقريبا من ميادين العالم : فى إيطاليا وإنجلترا وفرنسا والنسما وألمانيا وغيرها من دول العالم، نرى هذه الدول تعنى بتزيينها بالتماثيل الجميلة والنافورات التى تعبر عن حضارة البلد وتاريخها وأبطالها فتشتهر بها.

إن الذوق المعمارى فى أوروبا رفيع الشأن وهى تستغل الميادين بالذات للتعبير عن ذاتيتها.

بل إننا رأينا فى الأحياء الصغيرة والمدن الصغيرة تلك الميادين، لا تخلو من تماثيل أو نصب تذكارية أو نافورات بديعة.

الجمعة ٢٠٠٢/٦/٧.

وبالنسبة لمصر يبدو أن ذوقنا المعماري قد نسى أن مصر تملك أعظم ما يشد أنظار العالم من تماثيل ومسلات ونصب تذكارية، ولكنها مهملة ومركونة فى مخازن هيئة الآثار ومقتنيات وزارة الثقافة.

ومن هنا فلو أن سائحا وصل من أوروبا إلى ميدان التحرير معصوب العينين، ثم طلب إليه أن يعرف اسم هذا الميدان وفى أى بلد يقع، لعجز عن ذلك، فى حين أن أى سائح فى أوروبا يستطيع بسهولة أن يميز حضارة هذا البلد أو ذاك من التماثيل والنصب التذكارية التى تزين ميادينه.

الدول المتحضرة فى أنحاء العالم تستخدم ميادينها كمعارض، وساحات عرض، تعرض فيها أبرز وأشهر مقتنياتها التاريخية والوطنية، ولكننا فى مصر نحرص على إخفاء كل ما يميز هويتنا الوطنية والتاريخية.

بل إنه فى يوم من الأيام كان شارع الهرم يعد أحد أجمل شوارع القاهرة الكبرى، وكان شارعا متميزا بتماثيله التى تقود المرء من الجيزة إلى الأهرامات، ثم طرأ فى بال بعض أعداء الجمال تجريد هذا الشاعر من كل ما يميزه منه كل التماثيل والنصب التى كانت موجودة به، تحت حجة أنها لا تتناسب مع الأهرامات، وقد تعجبنا فى ذلك الحين من هذه الحجة، ومما ترتب عليها من تجريد الشارع من معالمه. فإذا كانت التماثيل التى كانت قائمة به لم تعجب البعض، فقد كان من المفروض أن يستبدل بها تماثيل تناسب المنطقة، ولكن ما حدث هو أن شارع الأهرام لم يعد يفترق عن أى شارع فى القاهرة أو غيرها، اللهم

فيما عدا الرصيف المائل الذى تفتق عنه عقلية شيطانية هدفها (زحلقة الناس) وتعريضهم للخطر وأصبح من أسوأ شوارع القاهرة الكبرى.

وقد ترتب ذلك أن جردت ميادين القاهرة من كل شئ يظهر انتمائها لمصر، فهى ميادين مجردة تخلو من الذوق المعمارى، ومن الهوية التاريخية والوطنية.

وهو ما جرى فى ميدان التحرير الذى كان فى وقت من الأوقات يتميز ببعض المعالم ثم جرد منها، وأصبح بلا معالم.

وقد تصور البعض أنه مادام أن الميدان قد أصبح اسمه ميدان التحرير بدلا من ميدان الإسماعيلية أو قصر النيل فإنه كان يمكن تزيينه لتماثيل لرموز التحرير فى مصر: مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنى مبارك.

وإن كنت شخصيا أفضل بالنسبة لأكبر ميدان فى القاهرة، أن يصطبغ بالصبغة المصرية القديمة، وأما الميادين الصغيرة فتزين بتماثيل رموز التحرير.

وخلاصة القول أن مياديننا تتميز بأنها ميادين باهتة اللون، مجردة من الهوية، مصممة بقلة ذوق معمارى يحسد عليه أصحابه، وأن الوقت قد حان لأن يتحول اهتمام المسئولين فى بلادنا من بناء الأرصفة العالية الخطرة فاسدة الذوق، التى لا مثيل لها فى أى بلد متمدن إلى الاهتمام بمياديننا التعسة، على نحو اهتمام الدول المتقدمة بميادينها.

ومأساة أخرى فى ميدان التحرير!

عدت من رحلتى العلاجية فى ألمانيا، ومررت بباريس، واستمتعت بمظاهر الحضارة الغربية فى أوروبا. وفى أول يوم مررت فيه بميدان التحرير فوجئت بإعلان عن مشروع يجرى تنفيذه فى الميدان عن بناء جراج متعدد الطوابق ومجمع تجارى!

وقد قفزت فى ذهنى على الفور مقارنة بين ميدان الكونكورد فى باريس وميدان الطرف الأغر بلندن، وتصورت لو أعلنت فرنسا أو إنجلترا عن نيتها فى بناء جراج متعدد الطوابق فى هذه الميادين وسوق تجارى، وتساءلت: لماذا نشوه ميادينا بدلاً من تجميلها؟

لقد سبق لى أن كتبت مقالاً عن ميدان التحرير وقلت أنه ميدان فقير جدًا فى النواحى الجمالية بدون مبرر! ويبدو أن محافظة القاهرة تصورت أنها ببناء الجراج المتعدد الطوابق والسوق التجارى، سوف تضيف لمسة جمالية على هذا الميدان الفسيح الذى هو أكبر ميدان فى مدينة القاهرة!

الخميس ٢٠٠٢/٦/٥ .

ومثل هذا التفكير لا يدخل فى باب تجميل الميدان، وإنما يدخل فى باب تشويهه وإخفاء معالمه!

ولو تصورنا أن ذلك حدث فى أحد الميادين الأوروبية لقامت الدنيا ولم تقعد! - مع استبعادنا تمامًا لمثل هذا الاحتمال.

فالدول المتقدمة تحافظ بكل جهدها على معالم ميادينها وشوارعها لأن ذلك جزء من حضارتها وشخصيتها العامة، حتى أنه لو زار أحد السائحين ميدانا من هذه الميادين منذ مائة عام أو أكثر، لما وجد شيئًا قد تغير فيه!

وهذا الكلام لا ينطبق فقط على الميادين الشهيرة، بل على الميادين الأقل شهرة.

بل إن إنجلترا تذهب إلى حد أقرب إلى الخيال، فهى تحتفظ بالحوائط الخارجية لأى مبنى معرض للهدم، ثم تقيم المبنى الجديد داخل هذه الحوائط نفسها فلا أحد يشعر على الإطلاق بعد انتهاء الهدم والبناء أن شىء قد تغير فى الشارع أو فى الميدان.

ولكن فى مصر لا نكتفى فقط بتجريد ميادينا من اللمسات الجمالية، وإنما نعمل على تشويهها! إننى أطالب محافظة القاهرة بأن تنشر صورًا لميدان التحرير تمثل مراحل تطوره المختلفة، وسوف نجد إنها تسير من سيئ إلى أسوأ.

وهذا ما حدث - على سبيل المثال - فى شارع الهرم الذى كان شارعًا مميزًا مزدانًا بالتماثيل والخضرة والأشجار. وكان من المفروض إذا

حدث اعتراض على شكل التماثيل ومدى مناسباتها لمنطقة الجيزة والأهرام أن يستبدل بها تماثيل أخرى تتفق مع البيئة، خصوصًا ومصر بها عدد هائل من التماثيل تتفق مع طابع الشارع الحضارى. وإذا بالذى يحدث تمامًا هو تجريد الشارع من أى لمسة جمالية، ولكى يخفى المسئولون خيبتهم وقلة ذوقهم فإنهم اخترعوا أرصفة ليس لها مثيل فى العالم أجمع، وهى أرصفة مائلة تزحلق كل من يسير فوقها!

وها نحن اليوم نشاهد جريمة أخرى ترتكب فى حق ميدان التحرير، وهى بناء جراج متعدد الطوابق، وسوق تجارى، وإخفاء معالم الميدان وإخفاء طابعه، وهذا هو كل ما تبدعه العقلية الفنية فى الإدارة المصرية!

فهل يتوقف المسئولون عن هذا المشروع، أو أننا فى سبيلنا إلى مشروعات أخرى أكثر سوءًا!

جوائز الدولة..

والدرس الذى لم يتعلمه الصغار!

لقن المجلس الأعلى للثقافة فى اجتماعه الأخير يوم ١٠ يونيو ، عددا من الجمعيات التى لها حق الترشيح لجوائز مبارك والدولة التقديرية والتفوق ، درسا قاسيا فى كيفية اختيار المرشحين ، واحترام عقول أعضاء المجلس الأعلى للثقافة ،واحترام نفسها .

لقد كان من الملاحظات هذا العام فى ترشيحات عددا من المجالس العلمية والنقابات المهنية والجمعيات المتخصصة التى لها حق الترشيح، أنها جعلت من نفسها عزبة خاصة ، توزع فيها الترشيحات على أعضائها حسب الأهواء وإرادة رؤسائها ، وجماعات الضغط فيها.

وهذا أمر سيئ للغاية ،لأن جوائز الدولة يجب أن يكون لها احترامها ، وأن تكون فوق الصغائر ، ولا يلعب فيها الصغار. وذلك احتراما للهدف الأسمى الذى خصصت له الجوائز ، واحتراما للجوائز نفسها فى عين الجمهور !

ذلك انه إذا علم الجمهور أن أحدا لا يستحق الجائزة قد نالها ،فانه لن يحترم الجائزة ،ولا الجهة التى رشحت ، ولا المجلس الذى منحها !

الجمعة ٢٠٠٢/٦/٧ .

وفى الوقت نفسه فان هذا سوف يشجع الهيئات الأخرى على مثل هذا العبث ، فتنهار إحدى القيم الرفيعة فى مجتمعنا .

ولكن المجلس الأعلى للثقافة ، وهو المكون من أكبر عقول مصر المفكرة ، لم يقع فى الخديعة التى أراد أن تستدرجها إليه تلك الجمعيات والهيئات ،فقد رأينا لأول مرة بعض الأسماء التى رشحتها تلك الهيئات تحصل على صفر كبير ،بمعنى انه لم ينتخبها أحد من أعضاء المجلس ،لقد أدرك أنها مدسوسة عليه من أصحاب أهواء لا يحترمون تخصصاتهم ،ولا يحترمون المجلس ولا أعضائه.

ولطالما كتبت فى هذا الشأن من واقع مشاركتى كعضو من أعضاء المجلس الأعلى للثقافة ، فقد لاحظت أن كثيرا من الأسماء التى رشحت للجوائز ، على الرغم من قيمتها ،فانه توجد فى الخارج أسماء أكثر قيمة علمية منها تجاوزتها اللجان التى لها حق الترشيح!

وهو عيب خطير ، لأنه إذا كانت الهيئات العلمية والنقابات المهنية ، لا تتذكر أسماء القمم من أعضائها ،فهل يطلب من غير المختصين تذكر هذه الأسماء ؟

وإذا كان أعضاء اللجان الحاليين لا يذكرون أسماء الرواد ،ومن سبقوهم فى العلم والفضل ،أفلا يدل ذلك بجلاء تام على أنهم لم يعودوا كبارا ؟ وأن من سبقوهم أفضل منهم علما وخلقا ؟ و ألا يشير ذلك إلى أن هذا الفرع أو ذاك من فروع الترشيح ، قد تجمد أو تراجع أو تقهقر إلى الوراء ؟

وأن الموجودين حاليا هم أسوأ خلف لخير سلف ؟

رسالة إلى رئيس هيئة النقل العام!

تفضلت هيئة النقل العام ، فى تطوير خدماتها المستمرة لجمهورنا المصرى ، بمد خط جديد من خطوط الأتوبيسات المكيفة من ترعة المريوطية إلى محطة عبود بشبرا ، بحيث يخدم مناطق شارع فيصل بالهرم والدقى والمهندسين ،ويصل إلى شبرا عن طريق الكورنيش مرورا بجامعة القاهرة وميدان مصطفى محمود ومستشفى معهد ناصر .

وقد كان هذا الخط هدية لجمهور هذه المناطق التى يمر بها ، لولا أن سائقى هذه الأتوبيسات أخذوا يتلاعبون فى مساراته، وفى الخدمة التى يقدمها ،عن طريق عدم الوقوف للركاب ،والسير فى مسارات مختلفة عن المسارات المقررة - الأمر الذى ترتب عليه أن إيرادات هذا الخط لم تعد تتكافأ مع مصروفاته ، مما يهدد بإيقافه .

ولعل هذا بالذات هو ما يريده سائقوا هذا الخط، لأسباب مجهولة وإن كانوا يعرفونها هم! .

السبت ٢٠٠٢/٦/٥ .

وقد وصلتنى الشكوى الآتية من السيدة حنان محمد وهى معدة برامج بإحدى القنوات الفضائية ، و تقطن على ترعة المريوطية ، تقول أنها وقفت فى شارع البطل أحمد عبد العزيز ثم شارع جامعة الدول العربية لمدة ساعتين كاملتين فى انتظار هذا الأتوبيس لينقلها إلى معهد ناصر، فكانت الأتوبيسات تمر عليها واحدا وراء الآخر ، وتتجاهل إشارتها لها بالوقوف، حتى بلغ عدد الأتوبيسات التى مرت بها أربعة أتوبيسات، فاضطرت إلى إيجاد وسيلة أخرى للوصول إلى المستشفى .

و فى أثناء العودة أصرت على ركوب أحد هذه الأتوبيسات ، ونجحت فى ذلك ، وطلبت من السائق أن يعطيها عنوان الإدارة التى يتبعها الأتوبيس لترسل إليها بشكواها ، فأجاب السائق بأن الشركة ليس لها رقم تليفون ،وأنها ليست شركة واحدة ، وإنما هى ثلاث شركات اشتراها أحمد بهجت ، ونصحها بألا تعول على ركوب هذا الخط ، لأنهم تلقوا تعليمات من الشركة بإماتة الحركة فى هذا الخط، ثم غير هذا السائق مسار الخط على النحو الآتى العجوزة -شيراتون القاهرة - شارع مراد الجيزة - شارع الهرم. وهنا دونت الراكبة رقم الأتوبيس المخالف ، وهو ١٠٢٦٤ ، وكان ذلك يوم السبت ٨ يونية ، الساعة الثامنة مساء .

وقد ذكرت السيدة أن هذه الواقعة لم تكن هى الأولى ! فقبل يومين ، أرادت أن تركب أحد هذه الأتوبيسات من أمام معهد ناصر،

فمر عليها أتوبيسان من نفس الخط يتسابقان بسرعة جنونية على الكورنيش ، ولم يعيراها التفاتا.

وتقول إنها بسبب هذه السلوكيات ، قررت عدم استخدام هذا الخط يأسا من وقوف هذه الأتوبيسات.

هذا هو نص الخطاب الذى وصلنى من السيدة حنان محمد، أطرحه أمام المسئولين عن هيئة النقل العام ، ليبدو رأيهم فى هذا التصرف!

ولكنى أطرح هذا السؤال : أليس ما يفعله هؤلاء السائقون ،هو ما ينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى : «يخربون بيوتهم بأيديهم»؟

إن هؤلاء السائقين يعرفون جيدا كم يتكلف استيراد هذه الأتوبيسات ، و كم يتكلف تشغيلها وصيانتها ، والغرض السامى الذى تتغياه هيئة النقل العام من خدمة جمهور المواطنين المصريين. كما أنهم يتناولون مرتباتهم دون نقصان عن كل وردية عمل يعملونها على هذا الخط. ولكنهم - مع ذلك - يخربون بأيديهم مصدر عيشهم وعيش أولادهم. فهل لنا أن نأسف على تردى الأخلاق والضمائر فى بلدنا إلى هذا الحد ؟

ورد من هيئة النقل العام!

حول سلوكيات سائقى النقل العام!

وصلنى الرد التالى من المهندس نبيل المازنى رئيس مجلس إدارة هيئة النقل العام:

«إيماء إلى مقالة سيادتكم بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢٠٠٢/٦/١٥، تحت عنوان: «رسالة إلى رئيس هيئة النقل العام» بشأن الشكوى المرسلة لسيادتكم من السيدة حنان محمد، معدة برامج بإحدى القنوات الفضائية، من عدم وقوف الأتوبيسات المكيفة التى تخدم على خط ترعة المريوطية إلى محطة عبود بشبرا. أتشرف بالإحاطة بالآتى:

١ - تم تكليف مجموعة من جهاز المراقبة بالهيئة لمتابعة التزام السائقين بخط السير المقرر لهذا الخط.

٢ - كما تم إحالة السائق المخالف لخط السير للتحقيق فيما نسب إليه فى هذا الشأن.

وتفضلوا...

رئيس مجلس الإدارة

المهندس نبيل المازنى

الجمعة ٢٠٠٢/٦/٢٨.

هذا هو الرد الذى تلقيته من السيد نبيل المازنى، ولا أملك إلا أن أشكره لسرعة الاستجابة، وأكثر من ذلك لسرعة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع مخالفات السائقين على هذا الخط.

والأمر الذي يحيرنى كثيرًا هذا الفارق الجسيم، بين سلوك سائقى مركبات النقل العام فى مصر، وسلوكهم فى الخارج! فمن المستحيل لمن عاش فى الخارج أن يرى مخالفة من أحد السائقين، لسبب بسيط هو أن هذه المخالفات لا تحدث أصلاً!

فسائق الأتوبيس فى أية عاصمة أوروبية، يحترم الركاب احترامًا شديدًا، ويتعامل معهم من منطلق المسئولية عنهم، وعن وقتهم، وعن مصالحهم. فهو يلتزم بالوقوف ليس فقط فى المحطة المقرر وقوفه فيها، وإنما فى المستطيل المرسوم له على الأرض للوقوف فيه! بمعنى أنه لا يقف فى أى مكان يعجبه فى المحطة - وقد يكون فى وسط الشارع! - وإنما هو يلتزم بالوقوف فيما خصص له من مكان. والسبب فى ذلك معروف، وهو ألا يعيق وقوف الأتوبيسات فى المحطات المركبات الأخرى التى تسير فى الطريق.

كما أن المحطة نفسها تكون فى مكان مقتطع من الرصيف، وليس فى الشارع نفسه، حتى يصبح وقوف الأتوبيس متواز مع الشارع.

والسائق فى الخارج ينتظر صعود الركاب إلى المركبة، دون أن تبدو عليه أية علامة من علامات الضجر، ودون أن يستعجل الركاب بالتحرك الخداعى - أى على العكس تمامًا مما يحدث من سائقى

الأتوبيسات فى مصر! فهم يتحركون فى أثناء صعود الركاب إلى المركبات. وكثيرًا ما يحدث فى حالة أسرة أن يصعد بعضها، ولا ينتظر السائق صعود بقية أعضائها، بل ينطلق بسرعة، ولا يأبه بصراخ أحد! وأعتقد أن هذه السلوكيات قد آن الأوان لتغييرها، فهى سلوكيات همجية لا تحترم الشعب، وإنما تزدريه! وهذا هو الفرق بين سلوك سائقى مركبات النقل العام فى بلدنا، وسلوكهم فى الخارج! فهل ننتظر يومًا نرى فيه سائقى مصر يتصرفون كما يتصرف سائقى الشعوب الأخرى المتحضرة؟

المستغيث بالنجدة.. كالمؤذن فى مالطا!

حدثتنى سيدة محامية فى بنك التعمير والإسكان ، بأنها توجهت ومعها أحد المحامين ومحضر، لتنفيذ حكم على أحد البنوك ، ولكنها ووجهت بمقاومة من حرس البنك وكادوا يتعرضون للضرب، فأرادت الاتصال ببوليس النجدة ، ولكنها فوجئت بان الرقم الشهير ١٢٢ قد تغير منذ وقت طويل ، وأن الرقم الجديد مشغول باستمرار ،ولمدة ساعتين تقريبا حتى تملها اليأس .

و هذه القصة تثير قضية أرقام بوليس النجدة ،التى تغيرت وبلغت من الطول وكثرة الأرقام ما يتعذر معه على ذهن أى بشر أن يتذكره .

وهو أمر يدعو للعجب والتساؤل من ناحيتين:

الناحية الأولى ، أن كل بلاد العالم المتمدن ، لا تتجاوز أرقام الطوارئ أكثر من ثلاثة أرقام ، لسبب بسيط هو أن الإنسان فى وقت الأزمة لا يستطيع أن يتذكر رقما طويلا ، بل انه فى كثير من الأحيان

الخميس ٢٠٠٢/٦/٢٠ .

ينسى الأرقام المألوفة لديه ! فما بال رقم طويل مكون من سبعة أرقام مثل رقم ٥٦٢٢٨٧٠ لنجدة الجيزة ،ورقم ٥٧٦٠١٢٢ لنجدة القاهرة ؟

أما الناحية الثانية ، فهى أنه بالنسبة لحالات الطوارئ يوجد فى جميع انحاء العالم المتمدن ثلاثة أرقام فقط يحفظها كل مواطن ، ويطلبها فيوصله إلى الجهة التى يستنجد بها فى الحال. وبالتالى فهو لا يحتاج إلى إجهاد ذاكرته والتخبط بين الأرقام حتى يصل إلى الرقم المطلوب.

وعلى سبيل المثال فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا يوجد رقم ٩١١ ، وينطقه الجميع بالأرقام المفردة نين وان وان ، فتهب الأجهزة الأمنية كلها لمساعدته فى الحال ، حتى ولو لم ينطق بسبب الاستنجاد !

حدثنى الدكتور مرسى المسيدى ، وهو طبيب مصرى يعيش فى كندا منذ سنوات طويلة ، انه أخطأ فى إحدى المرات وهو يطلب الرقم الكودى لمصر ، فطلب رقم النجدة ٩١١ وعندما أدرك خطأه وضع السماعة ، وإذا به يفاجأ بمن تطلبه تستفسر منه عن سبب الاستنجاد؟ فأجابها بأنه أخطأ فى الرقم ولا يوجد لديه سبب للاستنجاد. ولكن بعد خمس دقائق فوجئ ببيته وقد حوصر بعدد كبير من سيارات النجدة ورجال الأمن وقد تسلل بعضهم من الجراج المؤدى إلى داخل المنزل ! وعرف منهم أنهم ظنوا أن إجابته بعدم وجود سبب للاستنجاد،

بعد وقوع الاستنجاد بالفعل ،ربما يكون سبب وقوعه تحت تهديد إجرامى .

وبطبيعة الحال فانهم عرفوا عنوان بيته من رقم تليفونه المسجل لديهم. فكل رقم تليفون مسجل قرينه عنوان المسكن .

هذه واقعة حقيقية حكاها لى الدكتور مرسى المسيدى ، وهى ليست بعيدة عما نشاهده في الأفلام البوليسية ،عندما يرفع أحد المواطنين سماعة التليفون طلبا للنجدة لوجود غريب داخل المسكن ، فيتلقى الإرشادات من جهة الأمن التى تساعده على إنقاذ نفسه.

وبطبيعة الحال ،فلسنا من التفاؤل بحيث نطالب الداخلية المصرية بمثل هذه الاستعدادات الخرافية ، وإنما نطلب منها المعقول فقط ،وهو أن تكون هناك ثلاثة أرقام فقط يحفظها كل مواطن حتى الفلاح فى قريته ! ولا تكون هذه الأرقام صورية ،بمعنى ألا يكون حال من يطلبها كحال «المؤذن فى مالطا » كما يقول المثل المصرى الشهير - كما حدث للسيدة المحامية ببنك التعمير .

أما أن نصل إلى نظام على مستوى نظام ٩١١، أو نين وان وان ،فنرجو أن تضعه الدولة فى أولوياتها حرصا على أمن المواطنين .

بوليس النجدة.. مرة أخرى!

اهتمت وزارة الداخلية بما نشرته في عدد الخميس ٢٠ يونية ، تحت عنوان «المستغيث بالنجدة كالمؤذن في مالطا» والذي انتقدت فيه تباطؤ بوليس النجدة في الاستجابة لاستغاثات المواطنين ، وصعوبة حفظ أرقام بوليس النجدة الطويلة والمعقدة .

وقد وصلني الرد الآتي من السيد اللواء شريف جلال مدير الإدارة العامة للإعلام والعلاقات بوزارة الداخلية وهو على النحو الآتي :

أولا ، بالنسبة لشرطة نجدة القاهرة ،لم يتم تغيير أرقام تليفونات الإدارة العامة لشرطة نجدة القاهرة ،ولا تزال الإدارة تتلقى بلاغات المواطنين من خلال رقم ١٢٢ ، الذي تم زيادة عدد خطوطه التليفونية من ٢٠ خط إلى ٣٠ خط. وأنه يجري بصفة مستمرة تجربة تلك الخطوط بالتنسيق مع سنترال الخدمات الخاصة بالهيئة القومية للاتصالات للتأكد من صلاحيتها .

الاثنين ٢٠٠٢/٧/١ .

ثانيا ، يمكن لأى مواطن الاتصال بذلك الرقم الآن للتأكد من تلك الحقيقة .

ثالثا ، بالنسبة لرقم تليفون ٥٧٦٠١٢٢ ،فهو خاص بسويتش الإدارة للاتصال بالجهات المعنية مثل (الغاز /الكهرباء / الإسعاف / المطافئ) ، ولا يتم تلقى بلاغات المواطنين من خلاله .

رابعا ، بالنسبة لشرطة نجدة الجيزة ،فلم يتغير رقم ١٢٢ الخاص بشرطة النجدة ، والمخصص لتلقى بلاغات وشكاوى المواطنين ، وأن غرفة عمليات نجدة الجيزة تضم عدد ٣٥ خط تليفونى لتلقى البلاغات على مدار ٢٤ ساعة.

ذلك بالإضافة إلى أن الخط التليفونى ٥٦٢٢٨٧٠ ،لا يوجد ضمن أرقام شرطة نجدة الجيزة.

« كما أود الإحاطة بأنه عند تطوير أو تحديث الخدمات الأمنية الجماهيرية فان الإدارة العامة للإعلام والعلاقات تبادر بوضع خطة إعلامية لتكثيف الإعلام عن ذلك مرارا عبر وسائل الإعلام المختلفة ، بهدف توعية وإرشاد المواطنين ،وتيسيرا عليهم للحصول على الخدمات الأمنية المختلفة دون عناء . وهو ما توليه الوزارة أهتماما بالغا وأساسيا».

هذا هو فحوى الرد الذى تلقيته من السيد اللواء شريف جلال مدير الإدارة العامة للإعلام والعلاقات. وأود أن أقول له أن الأرقام التى أوردتها فى مقالى سالف الذكر ، قد استقيتها بناء على اتصال

بدليل التليفون رقم ١١٤٠ والمهم هو أن خدمة بوليس النجدة ليست كأية خدمة أمنية ،وإنما هى خدمة استغاثة ! وبالتالى فلا ينفع فيها أى رجل بوليس عادى ،وإنما هى تحتاج إلى رجل بوليس تلقى تدريبات ودراسات خاصة ، ويتمتع بخصائص و مميزات إنسانية خاصة ،وعقلية بوليسية تستشعر الخطر قبل وقوعه ، وتملك القدرة على الاستجابة السريعة له.

ومن هنا فنرى أيضا أن رجال البوليس الذين يتلقون البلاغات يجب أن يكونوا على مستوى عال من رهافة الحس ، والتعاطف مع الجماهير، لأن الإنسان لا يطلب بوليس النجدة إلا عندما يشعر بأنه فى مأزق ، فيسعى إلى بوليس النجدة لإنقاذه منها ، ولست أدرى لماذا لا ترسل بعثات أمنية إلى الخارج لدراسة نظم هذه الخدمة الخاصة ، التى تعتبر من إنجازات المدنية الحديثة. فنحن فى أشد الحاجة إليها.

خطر السرطان الزاحف!

كم أتمنى لو قامت وزارة الصحة بنشر إحصائية عن مرض السرطان فى مصر ، توضح مدى انتشاره أو انحساره ! وإن كان من المحقق أن هذا المرض اللعين قد انتشر اليوم انتشارا مخيفا فى مصر، وتعدى كبار السن إلى الشباب ثم إلى الأطفال.

وهذا ما يلمسه المرء بسهولة إذا ذهب إلى معهد الأورام ، أو إلى معهد ناصر، أو إلى أى مستشفى حكومى أو خاص .

وفى الوقت نفسه فان هذا المرض اللعين قد اتسع نطاق انتشاره فى جسم الإنسان ، حتى غزى كل أعضاء الجسم ، من قمة الرأس إلى أخمس القدمين وتزايد انتشاره فى مخ الإنسان.

إنه لا تكاد توجد أسرة فى مصر اليوم تخلو من هذا المرض اللعين يصيب فردا من أفرادها ، وبالنسبة لى شخصيا فقد أصاب ابنتى الكبرى ، وماتت به بعد عناء طويل وعذاب فى معهد الأورام فى

الخميس ٢٧/٦/٢٠٠٢ .

القاهرة. كما أصيبت به شقيقتى ،وأصيبت زوجة ابنى ، كما أصاب والد زوجتى ومات به !

وهذه نسبة مرتفعة جدا بالنسبة لأى مرض من أمراض الإنسان ، بما يهيئ لهذا المرض اللعين الفرصة لأن يحصل على قصب السبق فى مضمار الأمراض التى تصيب الإنسانية .

وقد كنت منذ أسابيع قليلة فى معهد ناصر أتابع حالة والد قرينتى، وعرفت من الدكتور محمد شريف ، المدير النشط لهذا المعهد العظيم الذى تفخر به مصر ، أن الحالات المصابة بالسرطان قد تزايدت تزايدا كبيرا ،بدرجة لم يعرفها المعهد من قبل !

ومن حسن الحظ أن وزارة الصحة المصرية لم تكن غافلة عن هذا الانتشار الكبير للمرض فى مصر ، فقد أسست مراكز للأورام فى كل محافظة تقريبا من محافظات مصر ، وذلك فى عهد الوزير السابق الدكتور إسماعيل سلام . وهو ما يحافظ عليه ويعمل على تطويره الأستاذ الدكتور محمد عوض تاج الدين وزير الصحة الحالى .

وفى الوقت نفسه فانه مما يبعث على الفخر بنظامنا السياسى ، انه وسع من دائرة الرعاية الطبية لمرضى السرطان ،بدرجة لم يعرفها نظام من الأنظمة ! وهو ما يضاعف من الأعباء المالية الملقاة على عاتق الدولة ، نظرا للتكاليف الباهظة جدا لعلاج هذا المرض اللعين ، حيث تصل أسعار بعض الجرعات إلى عدة آلاف من الجنيهات. ولكن الدولة تتحمل ذلك بدافع من إحساسها بواجبها تجاه الشعب .

ومن الطبيعى أن هذه الأعباء تتـزايد مع تزايد أعداد المصابين بالمرض ، الأمر الذى دعا بعض الأصوات الرجعية المتخاذلة إلى المناداة بتخفيض النفقات التى تتحملها الدولة ! ولكن حكومتنا لم تصغ إلى هذه الأصوات ،وأعلن وزير الصحة الجديد الدكتور محمد عوض تاج الدين انه لا ينوى على الإطلاق تخفيض الاعتمادات المخصصة للعلاج على نفقة الدولة .

ولكن الخوف هو أن يدفع زيادة أعداد الذين يعالجون على حساب الدولة ، إلى العمل على تخفيض الاعتمادات المخصصة لهذا الغرض ،وإن كان اعتقادنا الراسخ أن نظامنا السياسى يدرك جيدا أن صحة أى نظام سياسى مستمدة من صحة أفراد الشعب ، وأن الشعب المريض لا يستطيع أن يؤسس نظاما سياسيا صحيا .

ومع ذلك فاعتقد أن الحاجة قد باتت ماسة لأن يعرف شعبنا مدى انتشار المرض اللعين ليكون على بينة من أمره ، ولكى يعطى الدعم المناسب لحكومتنا للوقوف فى وجه الأصوات الرجعية.

رحمة بتلاميذ الابتدائى!

أعتقد أن الذين وضعوا امتحان اللغة العربية للصف الرابع الابتدائى هذا العام ، يستحقون العرض على أطباء نفسانيين متخصصين فى فك العقد النفسية، أو يعاد تأهيلهم للتدريس للمدارس الابتدائية !

منذ أن كنا صغارا، كنا نحفظ بسهولة ، ونفهم معانى الآيات الكريمة فى صورة الإسراء التى تحض على طاعة الوالدين ورعايتهما ، واحترامهما ، وهى آيات شهيرة ، تأمر الابن عدة أوامر تفيض رحمة وحبا واحتراما. وتبدأ بالآية الكريمة "ولا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيرا».

وكنا نفهم كلمة «أف» بسهولة فهى من الكلمات النادرة التى لا يختلف معناها لغويا فى الفصحى عن معناها فى العامية ،فهى تستخدم فى الفصحى وفى العامية على السواء ، ويستخدمها المرء فى حياته العامة ، بل يستخدمها الطفل الصغير ، فهى تعبر عن التضجر من إنسان ما أو من شئ ما .

الأحد ٢٠٠٢/٦/٣٠ .

وكان من الطبيعى ، ومن حسن الاختيار أن تقرر وزارة التربية والتعليم ، هذه الآيات الكريمة على تلامذة المدارس الابتدائية ، وفى الصف الرابع الابتدائى - وكان مفروضا أن تبسط معانى كلمات الآية، أكثر مما هى مبسطة بالفعل .

ولكن شاءت عبقرية واضعى امتحان اللغة العربية للصف الرابع الابتدائى هذا العام ، أن يعقدوا الأمر على ذهن التلميذ الصغير بدلا من تبسيطه ، وأن يجعلوا من معنى كلمة «أف» معميات يعجز عن تفسيرها الكبار أنفسهم .

وعلى سبيل المثال ، فقد استغرق بعض الوقت منى فهم ما أرادته ورقة الأسئلة من التلميذ الصغير فى تفسير كلمة «أف» ، فقد طلبت الورقة من التلميذ الصغير أن يختار معنى لكلمة أف إحدى هذه الجمل: (أعظم شئ يقال - أقل شئ يقال - أى شئ يقال)!!!

فهل هذا معقول؟

لقد كان يقال فى الماضى - من قبيل السخرية - : «فسر الماء بعد الجهد بالماء » ! ولكننا فى هذه القضية أمام شئ أصعب ، وهو فسر الماء بالأكسجين والهيدروجين !

لقد كان يكفى أن يقال فى تفسير كلمة أف ، التى لا تحتاج أصلا إلى تفسير «بتفسير محمد فريد وجدى لها ، وهى كلمة: «تضجر» ! أما تفسيرها بعبارة «أقل شئ أو بأى شئ أو أعظم شئ» ! فأخشى ما أخشاه أن هذا التفسير قد يصيب الأولاد الصغار بالتخلف العقلى مثل أولئك الذين وضعوا هذا الامتحان!

قطع الغيار المضروبة!

انتشرت فى الآونة الأخيرة قطع الغيار «المضروبة» (المزورة والمقلدة) فى مصر انتشار النار فى الهشيم ، وذلك بفضل فساد الشركات الأجنبية فى الخارج ، وفساد الشركات المصرية فى الداخل !

لقد اكتشفت بعض الشركات الفاسدة الأجنبية أن مصر سوق رائج للبضائع المزورة ،وانه لا توجد رقابة فعالة على هذه البضائع ،وإذا وجدت هذه الرقابة فبالإمكان التغلب عليها بسهولة ببضعة دولارات !

فلا يكاد المرء يشترى قطعة غيار، حتى يكتشف بعد قليل أنها قد فسدت ، مهما كان عليها من أختام تثبت أنها صنعت فى إيطاليا ، أو فى هذا البلد الخارجى أو ذاك !

والتواطؤ واضح بين المستوردين المصريين والمصانع الفاسدة فى الغرب التى تقلد البضائع الأصلية ،وتملك الإمكانات على ذلك .

وخطورة هذه الظاهرة تتمثل فيما يمكن أن تسببه من كوارث خسائر ، ليس فقط فى الخسائر المادية التى تترتب عليها ، وتكلف

الخميس ٢٠٠٢/٧/١١ .

الشعب المصرى غاليا ، حيث يضطر المستهلك المصرى إلى شراء قطعة الغيار عدة مرات ،ولكن الخطورة تتمثل فى أن بعض هذه القطع الفاسدة يمكن أن تسبب كوارث كبيرة!

وعلى سبيل المثال ، فخرطوم البنزين فى موتور السيارات ، إذا لم يصنع من مادة مطابقة للمواصفات الأصلية فانه يمكن أن يسرب البنزين فى الموتور ، وتكفى بعد ذلك شرارة صغيرة فيصبح الموتور كتلة من النار! وإذا لم يتم الإصلاح فى ورشة معتمدة فان المسئولية تضيع ، لأن الميكانيكى فى الورشة الصغيرة سوف يهز كتفيه على اعتبار أنه لا مسئولية عليه فيما حدث ، وإنما المسئولية على الشارى الذى هو صاحب السيارة . فإذا حدث حريق فى الموتور فعلى من تقع المسئولية؛ ومن يمكن أن يكتشف المسئولية ؟ وكثير من الحوادث تحدث لهذا السبب .

لقد حدث معى أن غيرت شركة مقار خرطوم للبنزين فى موتور سيارتى، وعند تجربة الموتور لاحظ فنيو الشركة أن الخرطوم يسرب بنزينا، وكان ذلك مبعث دهشة لأن الخرطوم مصنوع فى إيطاليا ،و عليه خاتم بختم صنع فى إيطاليا ، فأوقفت الشركة على الفور العمل بهذه الخراطيم ،وردت النقود وتعاملت مع خراطيم أخرى ،وقامت باتخاذ الإجراءات اللازمة مع المستورد .

وفى هذا الصدد فقد علمت من كثيرين أن معظم بطاريات التليفون المحمول فى مصر اليوم ،هى بطاريات «مضروبة » ، الأمر

الذى يؤدى إلى أن تفرغ شحنة البطارية بعد شحنها بمدة وجيزة جدا. وتجار قطع الغيار يعرفون ذلك فعندما يعيد الشارى البطارية إلى البائع فانه يغيرها ، ويدعوه إلى تجربتها هى الأخرى. وقد أدى ذلك إلى أن الكثيرين توهموا أن تليفوناتهم هى التى أصابها التلف ،وعمد بعضهم إلى شراء تليفونات أخرى !

ويطبيعة الحال فان هذا لا يحدث إلا فى مصر. فمصر "أم الدنيا" ! وما دامت أنها أم الدنيا ،فانه يمكن أن يستباح فيها أى شئ .

والقضية أطرحها أمام المسئولين! فهى من الخطورة بمكان ، ويترتب عليها خسائر مادية وكوارث، والأمر يتطلب تحقيقا يتناول الأجهزة الرقابية التى تراقب دخول هذه البضائع المضروبة إلى بلدنا ، فقد يتبين أن الفساد ليس فى قطع الغيار وحدها ، وإنما فى بعض هذه الأجهزة الرقابية ذاتها!

حول أطباء الأسنان!

شاهدت الحلقة التليفزيونية التى أدارتها الدكتورة هالة سرحان ، حول ما نشرته الصحف من انحرافات عدد من أطباء الأسنان. وكانت الحلقة مفيدة لأنها أظهرت بعض الحقائق والأمراض التى يعانى منها مجتمعنا. وأول هذه الحقائق ما نبه إليه الأستاذ الدكتور كمال الإبراشى ، من أن المجتمع المصرى يشهد حاليا ما أطلق عليه اسم «سيولة فى الأخلاق» بمعنى أن هناك تسيبا أخلاقيا ،تناول كل ركن وموقع من مواقع المجتمع .ونبه إلى أن قواعد ممارسة مهنة الطب تقضى بألا ينفرد الطبيب بالمريض ،فى مكان مغلق ،وإنما لابد من تواجد مساعد أو ممرضة فى أثناء الكشف ، وذلك حماية لكل من المريضة والطبيب من اغراءات الانحراف الخلقى .

ثانيا أنه لاحظ أن هناك عيادات خاصة لا يعلم أحد منشأها تظهر فى الأحياء الشعبية ،ويعمل فيها أطباء شبان لا يعلم أحد مستواهم الطبى، أو مدى انضباطهم الخلقى ، وكل ذلك تحت سمع الدولة وبصرها.

الخميس ٢٠٠٢/٨/١١ .

كذلك كشفت الحلقة من انحرافات مجتمعنا أنه يدين المتهم ويحكم بإعدامه ، ويعدمه بالفعل فى غيبة القضاء العادل !

عندما كنت أعيش فى لندن قبض على قاتل بتهمة اغتصاب وقتل عدد من النساء ، وجرت محاكمة هذا القاتل ، ولكن لم يسمح القضاء بنشر صورة له أثناء المحاكمة ،فكان الصحفيون يرسلون رسامى الجريدة لرسم صور له أثناء المحاكمة. ولم تنشر صورة له إلا بعد انتهاء المحاكمة بإدانته. ولكن فى مصر تنشر الصحف صور المتهمين بالتهم الخطيرة فى صفحاتها الأولى من قبل أن يقول القضاء كلمته فى صحة الاتهامات الموجه إليهم ، فإذا صدر الحكم بالبراءة يكون المتهم قد فقد سمعته ومركزه الاجتماعى وأسرته وثروته وأولاده ،وكل شئ يتعلق به.

خصوصا ولدى صحفنا عادة عريقة ، هى نشر أخبار التهم فى الصفحات الأولى ،ونشر أخبار البراءة من هذه التهم فى خبر صغير من بضعة سطور داخل صفحات الجريدة .

كذلك كشفت الحلقة أن النقابات المهنية تحمى أعضائها المنحرفين ،وتغطى على جرائمهم وانحرافاتهم لحتى يضمن أعضاء مجلس النقابة إعادة انتخابه.

وقد تحدى الأستاذ كرم جبر مدير تحرير روز اليوسف أن يدين مجلس أى نقابة فردا واحدا من أعضاء المهنة. وللأمانه فانه عمم القضية لتشمل جميع النقابات المهنية .

وفى رأيى أن مصر فيها عدد هائل من أطباء الأسنان وكلهم ملتزمون بأداء وشرف المهنة ، ومن الظلم البين ومن العبث ،أن يؤخذ عشرون ألف طبيب أسنان فى مصر بوزر ثلاثة أطباء ،خصوصا ولم تثبت إدانتهم قضائيا حتى اليوم .

إننا بذلك ندمر أنفسنا !

عندما تتجاهل الصناعة المصرية خطر العولمة!

لعلى من أكثر الكتاب الذين نبهوا إلى خطر العولمة على صناعاتنا المصرية ، بسبب ما ألاحظه من رداءة الكثير من هذه الصناعات ،الأمر الذى يهدد بزوالها عندما تطبق شروط العولمة على مصر، وعندما تنتهى الحماية التى تفرضها الدولة على المصنوعات المصرية ، وينفتح الباب أمام المنافسة الأجنبية بدون أى حماية لصناعتنا.

كل بلاد العالم النامى واجهت العولمة بتجويد صناعاتها على نحو يستطيع منافسة الصناعات الأوروبية والأمريكية واليابانية ، ولكننا فى مصر نغط فى نوم عميق ، ولا نشعر بأى خطر ، ونترك الصناعة المصرية تتدهور ، وتعجز عن منافسة أى صناعة أجنبية حتى ولو كانت من بلاد العالم الثالث!

ولقد تعرضت كثيرا فى مقالاتى لصناعة السيارات ، وقلت إن أوضاعها الحالية لن تستطيع منافسة صناعة السيارات فى العالم المتقدم أى الفرنسية أو الألمانية أو الأمريكية أو غيرها. وكنت أظن أن

الخميس ٢٠٠٢/٨/٨ .

هذا التحذير سوف يحفز رجال صناعة السيارات فى مصر على تجويد هذه الصناعة من ناحية ، والنزول بأسعارها من ناحية أخرى ، وكل هذه النداءات لم يسمعها أحد.

وقد تنبأت بأن عصر الحماية الجمركية لهذه الصناعة سوف يسقط. وعندما يسقط سوف يسقط معه كل العاملين فى هذه الصناعة .

منذ عامين تقريبا آثر ابنى وهو أستاذ جامعى أن يشترى سيارة ماركة شاهين ، على اعتبار أن الشركة التى تصنعها هى أقدم شركة لصناعة السيارات ، وهى شركة النصر لصناعة السيارات ، ولكنه لم يلبث أن تبين انه لو كان اشترى سيارة قديمة من صنع الخارج لما سببت له هذه المتاعب !

فعندما ذهب إلى الإسكندرية لقضاء شهر الصيف ، وعاد إلى القاهرة أكتشف أن السيارة قد أصيبت بمرض «البارومة» وهو الصدأ ،وهو مرض يسبب تآكل الصاج ، بسبب تعرضها لرطوبة البحر. واضطر إلى الرجوع إلى التوكيل فى شركة مصريات ، حيث أجروا لها إعادة دهان لحماية الصاج .

ولم يكد يمضى شهر آخر حتى أكتشف أن علبة الدركسيون قد أصابها التلف. وعاد مرة أخرى إلى شركة مصريات التى قامت بتغيير علبة الدركسيون.

ولم يمضى بعض الوقت حتى أكتشف أن تكييف السيارة قد أصابه التلف ، وأنه لا يحدث التبريد الكافى الذى يتناسب مع ما دفع فيه من مبالغ .

هذا بالإضافة إلى لأعطال الأخرى التى استطاع إصلاحها عن طريق الورش الفنية .

ولو أن هذه السيارة قد دفع فيها ثمن بخس لكان هناك عذر لرداءة صناعاتها ، ولكن ابنى دفع فيها خمسين ألف جنيه ، وهو مبلغ يستطيع أن يشترى به الإنسان فى لندن سيارة ممتازة جدا يستطيع أن يجوب بها أوروبا كلها دون أعطال فور شرائها .

والسؤال الآن.. لو انتهت الحماية الجمركية التى تفرضها الدولة على صناعة السيارات ، وانفتح الباب أمام المنافسة مع السيارات الأجنبية ، هل يفكر ابنى وأمثاله من الشباب فى شراء سيارة مصرية الصنع ليمضى وقته فى إصلاحها من حين لآخر ؟

إننى أطرح هذا السؤال أمام السيد وزير الصناعة. لقد بح صوت الرئيس مبارك من تكرار دعوته لرجال الصناعة عموما بتجويد صناعاتهم حتى تتحمل المنافسة الأجنبية عند انتهاء عصر الحماية الجمركية ، ومجيء العولمة ،ومن أجل التصدير إلى الخارج. فهل آن الأوان ليتنبه الجميع للخطر القادم؟

أزمة الصناعة المصرية!

سبق أن كتبت عن الأزمة التى تمر بها الصناعة المصرية ، وما يشوب بعض المنتجات المصرية من عيوب جسيمة تؤثر على سمعة الصناعة المصرية. وتساءلت عما سيؤول إليه مصير هذه الصناعة فى عصر العولمة ، عندما تختفى الحماية الجمركية ، ويتساوى سعر السلعة الأجنبية الجيدة مع السلعة المصرية الرديئة .

كنت أنطلق فى كلامى من حرص أكيد على سمعة رجال الصناعة المصرية ، وعلى رزق العمال المصريين ، لأنه إذا آثر المستهلك المصرى شراء السلعة الأجنبية حرصا على مدخراته وماله ،فان الصناعات المصرية سوف تتساقط واحدة تلو الأخرى، بما يؤدى ذلك إلى نتائج خطيرة ،تؤثر على سوق العمالة ، وتدفع البلاد دفعا إلى عصر بطالة لا تستطيع مصر تحمل نتائجها وأعبائها .

وقد كان بعد هذا المقال أن وصلنى هذا الخطاب ،الذى يرسم صورة بشعة لبعض المنتجات المصرية التى كنا نعتز بها ! ويمضى على الخطاب على النحو الآتى :

الخميس ٢٩/٨/٢٠٠٢ .

اشتريت ثلاجة إيديال منذ تسعة أشهر ،وبعد سبعة أشهر فقط من شرائها حدث عطل بالفريزير! فاتصلت بخدمة العملاء ، وأرسلوا لى من أصلحوا العطل وتم تغيير الفريزير.

وبعدها مباشرة وجدت ثقوبا تحدث فى هيكل الثلاجة من الداخل ! ثم وجدت هناك تآكلا فى جسم الثلاجة ،ووجدت ما أثار فزعى ! الثلاجة تتساقط منها قطع صغيرة ، والدرج تتزايد الشقوق به ، والجانب الأيسر من الثلاجة حدث به شرخ بطول الثلاجة !

وإزاء ذلك حاولت الاتصال تليفونيا بخدمة العملاء ،ولكن دون جدوى ،فالخط مشغول باستمرار ! وعلى نحو يبعث على اليأس من الاتصال ·وبذلك وجدت نفسى أمام كارثة هذه الثلاجة العجيبة.

سيدى الدكتور ماذا أفعل ؟هل أشترى ثلاجة كل تسعة أشهر ؟ هل هناك بيت مصرى يستطيع ذلك ؟ هل أثق بعد ذلك فى صناعة بلدى ؟هل أرفع قضية على الشركة صانعة الثلاجة ؟ وكم تكلفنى مثل هذه القضية ؟

هذا هو الخطاب الذى وصلنى من سيدة ، وقد سجلت اسمها و رقم تليفونها وعنوانها فى الخطاب لمن يهمه الأمر.

واعترف بأنى حزنت لهذا الخطاب حزنا شديدا. فقد وصلنى بعد أن عدت من رحلتى العلاجية فى ألمانيا ، حيث يوجد الضبط والربط والصناعات التنافسية ،وحيث تتنافس دول العالم على جودة الصناعة ، اعترافا منها بأن هذا هو الطريق الوحيد للبقاء .

ووجدت نفسى أردد ما سبق أن رددته فى مقالى السابق : ترى لو وجد المستهلك المصرى نفسه بعد تطبيق اتفاقية الجات بين ثلاجة مصرية تتآكل جدرانها على النحو الذى وصفته السيدة صاحبة الرسالة ، وثلاجة ألمانية الصنع أو حتى صينية بنفس السعر ، هل يفكر فى الداعى الوطنى ؟ وهل يأبه بتشجيع الصناعة المصرية؟ وإذا كان أرباب هذه الصناعة ، والعاملون فيها لا يأبهون بمصلحتهم ، فهل يطلب من المستهلك المصرى أن يبحث عن هذه المصلحة على حساب مصلحته ؟

بالله أيها السادة اتقوا الله فى اسم مصر وفى شعبها ،وتذكروا أننا مقبلون على محنة ،وعلى اختبار صعب ،عندما تتنافس الصناعة المصرية ـ بصورتها الراهنة ـ مع صناعات البلاد الأخرى التى تعى الخطر ،والتى تتقى الله فى صناعتها واسم بلدها !

مأساة فاتورة التليفون!

لست أدرى أى شيطان أو حى لهيئة الاتصالات التليفونية بأن تقسم فاتورة التليفون السنوية إلى أربع دفعات!

قد يكون هذا التصرف مقبولاً أو «مبلوعًا» لو أن الهدف كان التخفيف عن المواطنين من مشقة الذهاب إلى السنترالات المختصة لدفع فاتورة التليفون، أما والنتيجة هى مضاعفة تردد المواطنين على السنترالات أربع مرات فى العام، بدلاً من مرة واحدة كما كان الحال فى البداية، فمن حق جماهيرنا أن تستنتج من هذا التصرف أن الغرض الحقيقى هو خداع جماهير المشتركين فى التليفون، وامتصاص غضبها بسبب المبالغات الكبيرة التى طرأت على فاتورة التليفون.

لقد كان الجمهور المصرى فى البداية يضج من المبالغات التى طرأت على فاتورة التليفون، وقفزت بها إلى أرقام فلكية، وقد خشيت هيئة الاتصالات أن ينفجر هذا الغضب مع الارتفاع المتوالى فى أرقام فاتورة التليفون، فقامت بتقسيمها إلى أربع دفعات، دون مبالاة بما يسببه ذلك

الخميس ٢٦/٩/٢٠٠٢.

من مضاعفة تردد الجماهير على السنترالات أربعة مرات فى العام، بدلاً من مرة واحدة، ومضاعفة أعباء العمالة فى الهيئة.

وعلى سبيل المثال، فقد كان أقصى ما يدفعه المواطن فى فاتورة التليفون فى العام فيما مضى ألف جنيه، ولكنه اليوم أصبح يدفع هذا المبلغ تقريبًا كل ثلاثة أشهر! مما يعنى أن الهيئة تضحك على ذقن الجمهور!

وقد دفع هذا بالبعض إلى الاستغناء عن التليفون كلية، مع وجود البديل وهو المحمول الذى أصبح يحمله معظم أفراد الشعب!

وبطبيعة الحال فإن الهيئة تعلم جيدًا أن نظامها الحالى يساعدها على عملية الخداع هذه، فهى لا تعطى المشترك أى بيان عن مكالماته التى تتقاضى ثمنها، لكى يتمكن من التحقق من أن ما يدفعه هو المطلوب الفعلى منه!

والهيئة بذلك تخالف ما جرى عليه العرف فى أوروبا، من أن كل فاتورة حساب يصحبها بالضرورة بيان بالمكالمات التى جرت، مع تواريخها ومع مددها!

والغريب أنه إذا طلب مواطن هذا الحق، طولب بأن يدفع مبلغ ١٨ جنيه لقاء الحصول على حقه فى أن يعرف! مع أ، حقه فى أم يعرف بيان مكالماته، هو حق طبيعى، وهو ما يحدث فى أى مجال آخر، فلا يدفع أحد فاتورة حساب إلا إذا كان فى يده بيان بمشترواته.

وبفضل هذا الستار من السرية، الذى تلقيه هيئة الاتصالات على مكالمات العملاء، فإنها تستطيع أن تخفى كل الأخطاء التى ترتكبها أجهزتها، والتى يضج منها الجمهور!

واعتقد أنه قد آن الأوان لأن تحترم الهيئة جمهور العملاء، وتطور خدماتها بما يتفق مع التقدم الذى وصلت إليه الهيئات المثيلة فى الخارج، فليس من حقها أن تطالب بالمزيد، وخدماتها تتخلف يومًا بعد يوم!

واعتقد أن احترام الهيئة للجمهور المصري، يحتم عليها التعامل معه بالأساليب المتقدمة، بدلاً من الأساليب المتخلفة، التى تتبعها حاليًا!

الفساد من واقع تقرير رسمى!

لولا أن المعلومات التى نوردها فى هذا المقال مستقاة من التقرير السنوى للنيابة الإدارية ، لما صدق القراء أن الفساد فى مصر قد وصل إلى هذا الحجم !

فوفقا لما ورد فى هذا التقرير فإن عام ٢٠٠١ شهد ٦٤ ألف قضية فساد داخل أجهزة الحكومة ! بواقع ١٦٧ قضية فساد تشهدها مصر يوميا!! وهناك ٥٠ ألف جريمة اختلاس ورشوة وتربح داخل الأجهزة الحكومية خلال عام ، وهناك ضياع مائة مليون جنيه بسبب الامتناع عن العمل والانقطاع عنه ، ويقول التقرير الرسمى أن أغلب هذه القضايا هى قضايا استيلاء على المال العام ،وتسهيل الاستيلاء عليه ، واختلاس ومخالفات إدارية جسيمة أضاعت ملايين الجنيهات على الخزانة العامة للدولة .

هذه الحقائق التى يكشفها التقرير السنوى للنيابة الإدارية يعتبر جرس إنذار عال ينبه إلى الوضع الخطير الذى صارت إليه البلاد اليوم!

الثلاثاء ٢٠٠٢/١٠/١ .

وفى الوقت نفسه فان ظهور هذه الحقائق فى تقرير رسمى للنيابة الإدارية ، يعد إيجابية كبيرة من إيجابيات نظامنا السياسى ! ففى عهود سابقة كانت هذه الحقائق عن الفساد لا تظهر للرأى العام، بل لا يسمح بإعلانها ، سواء من قبل النيابة الإدارية أو غيرها ، حرصا على ماء وجه النظام !

ففى طوال عصر عبد الناصر - على سبيل المثال - لم يقرأ جمهورنا الكريم شيئا من هذه التقارير ، لسبب بسيط هو انها كانت توضع فى الأدراج ،ولا يسمح بنشرها!

وهذه إحدى ثمار الديمقراطية والمكاشفة ٠ فنظامنا السياسى لا يخفى عن الشعب ما يحدث من فساد فى الإدارة الحكومية ،لسببين :

السبب الأول ،لإثبات عدم تورطه فى هذا الفساد ،وبأنه لا يخشى أن يكشف عنه حتى ولو طال كبار المسئولين ٠وهذه إيجابية تحسب للرئيس مبارك .

أما السبب الثانى ، فهو انه يعلن للشعب انه لا يتغاضى عن معاقبة الفاسدين ، وإنما هو يلاحقهم بالتحريات والتحقيقات ، وتقديمهم للقضاء ، حتى يعلم كل مفسد انه سوف يقع فى يد العدالة فى يوم من الأيام .

على انه إلى جانب هذه الإيجابية ،فان هناك سلبيات يجب أن يتلافاها النظام ،وهى التى تتمثل فى عدم وجود تشريعات قوية ، وسلطات أوسع للنيابة الإدارية حتى تتمكن من ردع المفسدين داخل

أجهزة الدولة وفى الوقت نفسه بطء التحريات ،وبطء التحقيقات ،وبطء الإجراءات القضائية ، وهو ما يعطى للمفسدين الأمل فى عدم كشف فسادهم فى أثناء حياتهم ،والمفسدون فى ذلك يعتنقون المثل الشعبى الشهير : «موت يا حمار..! »

ومن المحقق أن هناك الآلاف من المفسدين الذين أفلتوا من المحاسبة ومن العقاب لهذه الأسباب.

ومن هنا فان العلاج الذى نطالب به ، هو تشديد التشريعات المناهضة للفساد ، ومضاعفة أجهزة الرقابة الإدارية ، والإسراع فى إجراءات المقاضاة ، فمن المحقق أن الأجهزة الرقابية فى بلدنا ليست بالحجم الكافى لمواجهة الفساد الذى يتزايد بشكل خطير، وأصبح يتخطى إمكانات هذه الأجهزة. وإذا استمر هذا الحال ، فسوف يأتى اليوم الذى يتغلب فيه الشر على الخير، ويتغلب الفساد على كل جهود الدولة لمحاربته، وفى هذه الحالة فسوف يكون هذا اليوم يوما مشهودا!!

الإسماعيلية.. مدينة الذباب!

مدينة الإسماعيلية تعتبر من أجمل مدن مصر، وفى الوقت نفسه فإنها مدينة مناضلة ذات سمعة عالمية. ومن هنا تعقد فيها المؤتمرات والمهرجانات حتى أصبحت تعرف بمدينة المهرجانات !

وشعب الإسماعيلية شعب مناضل بحكم موقعه على قناة السويس، وبحكم اشتراكه فى كل الحروب التى شهدتها قناة السويس فى طول تاريخها. وهو يتميز بخصائص خلقية تضعه على رأس شعوب مدن أخرى!

وقد زرت الإسماعيلية مؤخرا مدعوا لحضور مهرجان الأفلام التسجيلية والقصيرة الدولى السادس. وكانت إقامتنا فى «القرية الأوليمبية »، التى بنيت حديثا. وهى قرية ساحرة على شاطئ القناة ، وتمر أمامها السفن ذهابا وإيابا. و تتوافر فيها الخدمات وكافة المرافق التى تتميز بها مثل هذه القرى ،وتعد مكانا طيبا لإقامة

الأحد ٥/١٠/٢٠٠٢ .

المؤتمرات ، وضيوف الإسماعيلية. وتقع القرية على بعد نحو ستة كيلو مترات من مدينة الإسماعيلية .

ومع ذلك فإذا كانت هناك ملاحظة تستحق أن تذكر بالنسبة لهذه القرية ،وهى ملاحظة تشمل مدينة الإسماعيلية كلها، فهى عن الكم الهائل من الذباب الذى ينتشر فى أرجاء المدينة الجميلة!

وهى ظاهرة جديدة على الإسماعيلية! فلم أشهد مثل هذا الكم الرهيب من الذباب منتشرا فى المدينة فى كل زياراتى السابقة قبل عدة سنوات .

وحين يكون مثل هذا الكم من الذباب فى مدينة سياحية ،فانه لا يسئ فقط إلى مدينة الإسماعيلية ،وإنما إلى مصر بأجمعها ! لأن المدينة هى مدينة سياحية بالدرجة الأولى ، وتستضيف فيها الدولة المهرجانات العالمية. وقد شاهدت بنفسى ضيق الضيوف الأجانب المدعوين لمهرجان السينما ،وأيديهم تذهب يمينا وشمالا وفى كل اتجاه لطرد جيوش الذباب المهاجمة! وقد قلت لأحد أصدقائى : أخشى انه إذا استمر هذا الحال بالنسبة لكميات الذباب ،فقد يطلق العالم الخارجى على مدينة الإسماعيلية فى المستقبل اسم «الإسماعيلية مدينة الذباب» لعلى نسق ما توصف به بعض المدن مثل مدينة الذهب، أو مدينة العاج أو مدينة الفيروز !

وألهم شعب الإسماعيلية عبدالناصر المقاومة؟

شعب الإسماعيلية ، شعب مقاتل ، شهد كل الحروب التى دارت على ضفتى القناة . ومن هنا فانه يتميز بشجاعة فائقة ، وأعصاب من حديد ، لا تبالى بالخطر.

وقد لعب دورا مهما فى إدخال السكينة إلى قلب عبد الناصر فى أثناء حرب العدوان الثلاثى ، ورد إليه رباطة جأشه ، بعد أن انهارت بسبب المفاجأة التى أصيب بها عندما أدرك أن إنجلترا وفرنسا قد دخلت الحرب إلى جانب إسرائيل ضد مصر .

وهذه الحقيقة يرويها لنا عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته . فيروى كيف انه بعد احتلال إسرائيل سيناء ، وتواطؤ بريطانيا وفرنسا معها «تشرخ نظام عبد الناصر وانهارت القيادة العسكرية» واستقرت على الاستسلام ، وطلب صلاح سالم من عبد الناصر وقف القتال ، «ونقوم نسلم أنفسنا للسفير الإنجليزى» واستقر الأمر على فكرة الانتحار! وجئ بزجاجات سم «سيانور البوتاسيوم» سريع المفعول ، بما

الأثنين ٦/١٠/٢٠٠٢ .

يكفى عدد أفراد نظام عبد الناصر! قرر عبد الناصر المقاومة والذهاب مع عبد اللطيف البغدادى إلى بور سعيد ليقاتل مع الجيش.

ويقول البغدادى : وبينما نحن فى طريقنا إلى الإسماعيلية ، قال جمال بصورة مؤثرة ومحزنة ، بعدما شاهد العربات والدبابات محطمة على جانبى الطريق، «إنها بقايا جيش محطم!» وأخذ يتحسر على المبالغ التى كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلا : «إن مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء»! كما قال بالإنجليزية "لقد هزمنى جيشى ! «وكنت أقول له لا تيأس» و كان يرد على بقوله : إنك تعرف إننى لا أيأس أبدا «وكنت أحس أن أمامى رجلا محطما» ويتوقف عليه وعلى تصرفاته مستقبل بلدى! وشعرت بالعطف عليه ، وكنت أقارن بينه فى تلك اللحظة وبينه فى لحظات أخرى سابقة ،عندما كان يشعر بالانتصار ، وأن لا حول له ولا قوة ،رغم انه قائد ثورة ورئيس جمهورية!

ولم تكتمل رحلة عبد الناصر إلى بور سعيد، فقد نصحهما كمال الدين حسين الذى كان يتولى الدفاع عن الإسماعيلية ، بالبقاء فى الإسماعيلية حتى مساء ثانى يوم ، لأن استمرار رحلتهما سيعرضهما لهجمات طائرات العدو عندما يطلع النهار. وقد قبل النصيحة ، وآويا إلى فراشهما حوالي الساعة الخامسة صباحا .

كان البغدادى يبيت مع عبد الناصر فى غرفة واحدة. وبعد لحظة من انفرادهما ، وجه عبد الناصر الكلام إلى البغدادى قائلا : «أنا

تعبان» قالها وهو يتقلب فى فراشه ، قالها وهو فى حالة يأس شديد .
وقال البغدادي له : « أنا عارف ولكن شد حيلك» !

وفى الصباح ،وعلى الرغم من أن العدو كان قد أنزل جنود مظلاته في بور سعيد ، فى محاولة للاستيلاء على المدينة ، فانه عندما وقف عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادى فى الصباح فى إحدى شرفات مبنى القيادة ، كانت مشاهدة الأهالى كافية لبث الأمل فى نفسيهما بعد يأس!

فيقول عبد اللطيف البغدادى : «وقفنا فى إحدى فرندات مبنى القيادة ، وشاهدنا سكان المدينة ،وهو يسيرون فى شوارعها ،وكأن الحياة طبيعية ، وليست الحرب على بعد عشرات الكيلو مترات منهم ! وكان كل منهم يحمل بندقيته على كتفه، حتى البائع المتجول كان يجلس على الرصيف ، وبندقيته إلى جواره ! فأشعرتنا هذه الصورة بالأمل ،واحسسنا أن الجو فى الإسماعيلية يختلف تماما عن الجو الذى يحيط بنا فى مبنى مجلس قيادة الثورة فى القاهرة ».

وهذا الكلام يدل على أن شجاعة أهالى الإسماعيلية قد ألهمت كل من عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى السكينة بعد فزع ، والأمل بعد يأس ، وكانت نقطة تحول فى مقاومة عبد الناصر للعدوان الثلاثى!

شركات المحمول واستغلال الجماهير!

تتجاهل شركات المحمول التى تعمل فى مصر ، باستغلالها الجمهور المصرى القواعد الاقتصادية التى استقرت منذ زمن بعيد، وهى ارتباط العرض بالطلب ،والذى أطلق عليه اسم قانون العرض والطلب! ويعنى ارتباط سعر السلعة بالطلب عليها صعودا وهبوطا ، زيادة ونقصانا، فحين يكون العرض أقل من الطلب يرتفع السعر تلقائيا ،وحين يكون العرض أكثر من الطلب ينقص السعر بالضرورة .

وهذا لمصلحة الاقتصاد فى أى بلد من البلاد ، وهو الذى يدفع إلى الإنتاج الغزير وإلى الإنتاج الوفير الذى يحدث تأثيره فى تشغيل الأيدى العاملة من جهة ،وتخفيض سعر السلعة من جهة أخرى .

ولهذا نمت الدول الصناعية فى العالم أجمع ،لأنها تعمل باستمرار على تخفيض ثمن السلعة عن طريق زيادة الإنتاج ، وتوفيرها فى السوق ، وقد يصل الأمر إلى أزمة اقتصادية عندما تتوافر السلعة فى السوق، بشكل يفوق الطلب عليها فتتعرض للركود ،أو تتراكم السلع بدون أن يشتريها أحد وتكون هناك أزمة اقتصادية !

الأربعاء ٦/١٠/٢٠٠٢ .

وهذا هو ما حدث تماما فى أزمة الثلاثينيات الاقتصادية العالمية ، عندما زاد الإنتاج على الطلب زيادة كبيرة ، فتراكمت السلع بدون أن يشتريها أحد ، وتسبب ذلك فى تلك الأزمة الاقتصادية العالمية !

وهى أزمة اقتصادية معقدة ذات طبيعة خاصة ، لأنه إذا زاد الإنتاج على الطلب ،وبقيت السلع بدون شراء ، فان المصانع تضطر إلى ان تغلق أبوابها ، وعندما تغلق المصانع أبوابها ،تتعطل الطبقة العاملة عن العمل ويشح المال فى أيديها وتعجز عن الشراء فتتضاعف بذلك الأزمة العالمية!

وهذا ما يدفع اليوم المصانع فى الدول التى يزيد فيها العرض على الطلب إلى إقراض جمهور المستهلكين وعرض السلع بأسعار أرخص حتى لا تتعرض للإفلاس !

هذا هو ما يحدث فى العالم كله إلا فى مصر! ففى مصر تتجاهل كثير من الشركات هذه القاعدة الاقتصادية ، وعلى رأسها شركات المحمول !

فمنذ نشأت هذه الشركات تجاهلت هذه القاعدة كأنها لم تسمع بها! وصنعت لنفسها قاعدتها الاقتصادية الخاصة تقوم على الضحك على ذقون المشتركين !

وعلى سبيل المثال ،فإن المشترك فى كل بلاد العالم يشترى الكارت بمائة جنيه ، ثم يحصل على مكالمات بمائة جنيه. ولكن فى مصر يحدث العجب العجاب ! فالمشترك يدفع مائة وعشرة جنيه ليشترى

مكالمات بمائة جنيه ، ولكنه يحصل على مكالمات بثمانين جنيها فقط ، وأما الثلاثون جنيها فلا يدرى أحد أين تذهب ولمن ، وفى جيب من تذهب؟

ومعنى ذلك أن هذه الشركات تستحل لنفسها ثلث ما يدفعه المشترك!!

ونظرا لأن الجمهور المصرى جمهور طيب ، واعتاد على تصرفات النصب والخداع ، ولم تعد تؤثر فيه ، فان هذه الشركات قامت مؤخرا بزيادة ثمن الكارت خمسة جنيهات ! وجمهورنا الكريم يفاجأ بهذه الزيادة و يضرب كفا على كف ،ولكنه لا يجرؤ على اتهام هذه الشركات المستغلة !

ومن هنا يسألنى الكثيرون من القراء: إلى متى سوف تستمر هذه المهزلة ؟ وإلى متى سوف تترك حكومتنا السنية الجمهور المصرى الكريم تحت بطش واستغلال هذه الشركات ؟

بعد تغيير إدارة كلية رمسيس

سعدت كثيرًا بالتغيير الإدارى الذى حدث فى كلية رمسيس. وأرى أنها استجابة مشكورة من الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم، بعد المقال الذى كتبته فى جريدة الوفد تحت عنوان «هل عدنا إلى عهد دانلوب؟».

كما أسعدنى الاتجاه الوطنى الذى عبرت عنه الإدارة الجديدة تحت رئاسة السيدة الفاضلة فادية مكرم عبيد. فهى من بيت وطنى معروف، أسس على الوحدة الوطنية التى بنيت عليها مصر الحديثة.

فصحيح أنه من الضرورى إلى حد بعيد أن يتعلم أولادنا اللغات الأجنبية، ويتفقون فيها، بعد أن أصبح العالم اليوم عالمًا صغيرًا، ويزداد صغرًا مع يومًا بعد يوم! كما أنه من الضرورى تسليح أبنائنا منذ الصغر باللغات الأجنبية.

ولكن ما حدث من الإدارة السابقة كان شيئًا مهينًا للوطنية المصرية! فقد كانت الإدارة السابقة تعطى للغة حجمًا يفوق الحجم الذى يجب

الأربعاء ٢٠٠٢/١٠/٦ .

أن تنفرد به اللغة العربية. فلم نسمع أن فى إنجلترا - على سبيل المثال - مدرسة للغات تسقط اللغة الإنجليزية من حساباتها، لحساب اللغات الأخرى!

وعلى كل حال فقد ذهبت الإدارة السابقة إلى غير رجعة، ويبقى الأمل على الإدارة الجديدة أن تصحح أخطاء الإدارة القديمة، وتعيد لكلية رمسيس هويتها المصرية، التى تقوم على الوحدة الوطنية.

وهو على كل حال درس لكل مدارس اللغات الجديدة فى بلدنا، ويعضهم ابتليت به مصر بالفعل! بعد أن عجز المشرفون عليها عن فهم رسالتها التعليمية الصحيحة، التى من الضرورى، ومن الواجب الأخلاقى والوطنى، أن تقوم على تنمية الولاء لمصر فى نفوس التلامذة، وليس تنمية الولاء للشعوب التى تقوم بتعليم لغتها لأبنائنا!

لقد خلط الكثيرون بين الواجب التعليمى والواجب الوطنى! فكل واجب فى هذا البلد يجب أن يقوم على الوطنية المصرية، وعلى الولاء لمصر، وليس على تنمية الولاء للغة التى يتعلمها أولادنا، وللشعوب التى تتحدث بهذه اللغة!

فقد كان مما أفسد هويتنا الوطنية فى السنوات الأخيرة، هو أن الكثير من شبابنا الذين تخرجوا من مدارس اللغات، تخرجوا وقد أداروا ظهرهم للغة العربية، حتى أصبحت اللغة العربية غريبة فى دارها! ولم نسمع أبدًا أن اللغة الإنجليزية أصبحت غريبة فى إنجلترا لدى من يتعلمون اللغات الأخرى!

ومن هنا فإننا نحيى وزير التعليم الوطنى د. حسين كامل بهاء الدين، ونحيى الإدارة الجديدة لكلية رمسيس، ونتمنى لها التوفيق فى خدمة شعب مصر العظيم.

دراسة مثيرة حول المتنبى وشوقى !

الكتاب الذى كتبه الدكتور مصطفى أمين الرفاعى عن «المتنبى وشوقى» يثير الكثير من علامات التعجب ! فللوهلة الأولى يتوقع القارئ أن يكون الدكتور مصطفى أمين الرفاعى أستاذا فى الأدب ،ولكنه يفاجأ حين يكتشف أن الفرع الذى تخصص فيه الدكتور الرفاعى لا صلة له بالأدب من قريب أو بعيد ،فهو أستاذ فى جراحة المسالك البولية ! وعندئذ قد يثور السؤال فى ذهن القارئ : وما صلة المسالك البولية بالمتنبى وشوقى ؟ وما صلة جراحة المسالك البولية بالشعر العربى ؟

ومن هنا قد يتصور القارئ أن كتابات الدكتور مصطفى الرفاعى فى الشعر والأدب لا تساوى ثمن الحبر الذى تكتب به ، وانه يقحم نفسه فيما ليس من شئونه ،ومما لا يدخل فى تخصصاته ،خصوصا وأن الفرق بين جراحة المسالك البولية ، وشعر شاعرين عربيين كبيرين مثل المتنبى وشوقى هو مثل الفرق بين السماء والأرض ،ثم يدهش

الأربعاء ٢/٧/٣-٢٠٠٢ .

القارئ إذا عرف أن دراسات الدكتور الرفاعى فى الشعر هى دراسات لا يقدر عليها إلا ذوو العزم من علماء اللغة العربية ، والمتخصصين فى الأدب والشعر العربى.

بل انه يناطح أكبر العلماء و الشعراء المعاصرين فى تخصصاتهم!

وربما كان كتابه المتنبى وشوقى هو الدليل على هذه الحقيقة ! بل إن إدراك الصلة بين المتنبى وشوقى فى حد ذاته يوضح عمق التخصص الدقيق الذى خاضه الدكتور الرفاعى! خصوصا وبين الشاعرين تسعة قرون.

فالكتاب يقدم إنجازات كلا الشاعرين العبقريين على بعد المسافة الزمنية بينهما ، ويصحح الكثير من المفاهيم الخاطئة حولهما. وعلى سبيل المثال فالمتنبى لم يكن متنبيا ،وهى تهمة باطلة ألصقت به حتى عرف اسمه بها. والشاعر أحمد شوقى لم يكن عميلا للقصر ، وإنما كان وطنيا ومناضلا.

وهناك تشابه بين عصر المتنبى فى القرن العاشر الميلادى ،وعصر شوقى فى القرن العشرين ، ويوضح ذلك الكاتب فيقول انه فى القرن العاشر الميلادى (عصر المتنبى) كانت الدولة العباسية فى حالة تمزق إذ قسمت إلى دويلات يحكم أغلبها الفرس والأتراك (بنو بويه فى فارس ، وبنو الإخشيد فى مصر ، والأتراك فى العراق). وكان الأمن غير مستتب فى أرجاء الدولة .

وفى عصر شوقى سقط العالم العربى تحت نير الاستعمار الأوروبى ، كما سقطت الخلافة الإسلامية فى تركيا.

وعلى الرغم من هذا الاضطراب السياسى فى هذين العصرين ، فقد شهدا نهضة أدبية غير مسبوقة !

دراسة مثيرة حول المتنبى وشوقى (٢)

قلنا فى مقالنا السابق أنه على الرغم من طول البعد الزمنى بين عصر المتنبى وعصر شوقى، وعلى الرغم من أن العصرين حفلا باضطرابات سياسية كبيرة ،فقد لاحظ الدكتور مصطفى أمين الرفاعى فى كتابه «المتنبى وشوقى» أن العصرين شهدا نهضة أدبية كبيرة. وعلى سبيل المثال فقد شهد عصر شوقى ظهور البارودى وإسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم وبشارة الخورى والمويلحى والمنفلوطى وطه حين والعقاد وجبران وغيرهم .

ولكن المتنبى وشوقى كانا على قمة عصريهما ، ولم يرق إليهما أحد ،وقد فاقت شهرتهما آفاق الدولة الإسلامية .

فالمتنبى كان سلطانا غير متوج ، وشوقى كان أميرا للشعراء ، كلاهما كتب عنه عشرات الكتب على مر السنين ، وكلاهما كان يعتد برأيه ويتمسك به ويدافع عنه.

الجمعة ٢٠٠٢/٧/٥ .

كذلك فان وكليهما أوذى من أجل ذلك. فالمتنبى أدخل السجن ثم اضطر إلى ترك موطنه ورحل إلى مصر ، وكانت حياته مملوءة بالعناء والقلق والاضطراب .

وشوقى نفى من مصر وأبعد إلى أسبانيا ، كما أبعد عن عباس حلمى الثانى الذى عزل عن العرش، حيث كتب باقة من أجمل قصائده فى الأندلس.

ولا شك أن قسوة البعد عن الوطن أعطى كليهما القوة والصلابة على تحمل المشاق .

وفى الوقت نفسه فان كليهما كان يشعر بعبقريته ،ويعتز بنفسه ويفتخر بها فوق المألوف.

يقول المتنبى فى رثاء جدته :

«وإن لم تكونى بنت أكرم والد

فان أباك الضخم كونك لى أما»

ويقول شوقى فى رثاء جدته أيضا:

«ولو لم تظهرى فى العرب إلا

بأحمد كنت خير الوالدات»

كذلك فان كليهما هوجم من النقاد بدون وجه حق . وكلاهما مدح الملوك والأمراء وقد هوجما من أجل ذلك .

لقد كان المتنبى يمدح مع احترامه لنفسه واحتفاظه بكرامته، وكان شوقى يمدح الملوك والأمراء لما أنجزوه من إصلاحات مثل محمد على، و إسماعيل ، وإبراهيم ،وفاطمة التى أنشأت جامعة القاهرة.

على انه إذا تعارضت مصالح القصر مع مصالح الشعب ،انحاز شوقى على الفور إلى جانب الشعب وإلى دستور الشعب .

وبعد أن أنهى الدكتور مصطفى أمين الرفاعى ، ملاحظاته عن أوجه التشابه بين المتنبى وشوقى ،تحدث عن أوجه الخلاف ، فذكر أن شوقى نشأ ثريا عاش فى بحبوحة من العيش ، فى حين نشأ المتنبى فقيرا محتاجا ، إذ كان أبوه سقاء ، الأمر الذى دعا خصوم المتنبى لمعايرته بأصله ، ولكنه رد ردا متعاليا جدا ،وضع نفسه فيه فوق أصحاب النسب فقال :

«لا بقومى شرفت بل شرفوا بى .. وبنفسى فخرت لا بجدودى».

دراسة مثيرة حول المتنبى وشوقى (٢)

العبقرية منحة إلهية فردية يختص الله بها بعض الأفراد دون غيرهم لحكمة يعلمها الله ، ولا صلة لها بأصل أو منبت ،فهى ظاهرة استثنائية ، وحالة تدرس على علاتها ولأسبابها الخاصة ، ولا يوجد ما يبشر بها ، فالمتنبى كما ذكرنا كان والده سقاء ، ولم ينشأ فى أسرة تملك موهبة الشعر ، ولكنه كان نسيج وحده ، وكان يمكن أن يكون شاعرا فقط ، وشاعرا عظيما ،أما أن يتربع على عرش الشعر ،فهذه هى الموهبة الإلهية التى نتحدث عنها .

وهذا هو السبب فى أن المتنبى لم يفتخر بأصل أو منبت ،وإنما افتخر بنفسه، ودعا أهله أن يفتخروا به.

وقد اتهم النقاد المتنبى بادعاء النبوة حتى أصبح اسمه الحقيقى منسيا ! كما يقول الدكتور مصطفى الرفاعى. فاسمه الحقيقى هو «أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفى» . والحقيقة انه لم يدع النبوة مطلقا ، وإنما ثورته كانت ثورة سياسية ضد الموالى الفرس والأتراك الذين

السبت ٦/٧/٢٠٠٢ .

استولوا على مقدرات الدولة ، وأصبح لهم الأمر والنهى ، وأبعدوا العنصر العربى .

فقد ثار عليهم المتنبى ، وجمع حوله القبائل العربية . وأهانهم إهانات بليغة فى شعره : «ما تفلح عرب ملوكها عجم لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم».

وهو ما يدعونا إلى أن نقارن بينهم والشاعر المصرى الكبير محرم، عندما دعا بعض العرب إلى خلافة عربية ،بدلا من الخلافة التركية فى الأستانة. فقد هاجم الفكرة قائلا بيته الشهير : «ما للخلافة إلا الترك تحرسها ».

والمهم هو أن بسبب مهاجمة المتنبى العرب لتخاذلهم ولسماحهم للفرس والأتراك بتولى الأمر فى بلادهم ،اتهموه بإدعاء النبوة ،وأدخلوه السجن ، وكانت هذه تهمة باطلة ، فالمتنبى لم يكن متدينا فكيف يدعى النبوة ؟ وكان لا يطيق هذه التسمية .

لقد تصيد له خصومه قوله انه «غريب كصالح فى ثمود ،أو كالمسيح بين اليهود» ! مع أن هذه الأقوال مبالغات كثيرة الورود فى الشعر العربى .

وهذا يشبه ما قاله شوقى :

«خلقت كأننى عيسى حرام على قلبى الضغينة والشمات»

وكتان حظ شوقى أفضل من حظ المتنبى فلم يتهمه أحد بإدعاء النبوة .

عندما عاقب المتنبى كافور!

يعتبر صدام المتنبى مع كافور الإخشيدى درسًا لكل حاكم يصطدم بأديب أو شاعر! ويظن أن سلطته كفيلة بمعاقبة هذا الأديب أو الشاعر. وقد ثبت من صدام المتنبى وكافور أن سلطة الشعر أقوى من سلطة أى حاكم.

والدليل على ذلك أنه ماذا بقى للتاريخ من إنجازات كافور الإخشيدى أو أعماله؟ لم يبق إلا ما هجاه به المتنبى!

نعم لم يعد أحد يذكر كافور الإخشيدى إلا بالأبيات التى هجاه بها المتنبى:

«من علم الأسود المخصى مكرمة أقومه البيض أن آباؤه السود»؟

فهنا ينكر على كافور أنه تعلم أية مكرمة من آبائه السود، فالمكارم يعرفها البيض، ولا يعرفها السود! ومعنى ذلك أن المتنبى أفضل من كافور بسبب لونه! وهو تمييز عرقى يعاب على المتنبى، ولكنه يغتفر فى الهجاء.

الأحد ٢٠٠٢/٧/٧ .

وعندما ينقلب المتنبى على سيف الدولة الحمدانى، ويهجوه لا ينسى ثأره مع كافور فيقول:

«وذاك أن الفحول البيض عاجزة   عن الجميل، فكيف الخصية السود»؟

وعندما ينتقم منه كافور وبمنعه من الخروج من مصر، ويفلح المتنبى فى الهروب ـ يطلق أبياته الشهيرة، التى تذكر بهروبه من كافور فيقول:

«عيد بأية حال عدت يا عيد   بما مضى أم لأمر فيك تجديد؟

لم يترك الدهر من قلبى ولا كبدى   شيئًا تتيمه عين ولا جسيد

يا ساقيى أحمر فى كؤوسكما   أم فى كؤوسكما هم وتسهيد؟

وكان كافور يخشاه وقد برر عدم إعطائه ولاية بقوله: كيف أعطى ولاية لمن أدعى النبوة؟ ولم يكن ذلك صحيحًا، فالمتنبى لم يدع النبوة!

وفى مقابل هجاء كافور، والحط من شأنه، رفع المتنبى نفسه إلى أعلى مقام، وقال أبياته الشهيرة:

الخيل والليل والبيداء تعرفنى   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والمهم أنه من كل إنجازات كافور الإخشيدى، لا يذكر الناس إلا الأبيات التى هجاه بها أبو الطيب المتنبى وهو تحذير لأى حاكم أن يدخل فى صدام مع أديب أو شاعر! فالأدب والشعر أبقى على الدهر من سلطة أى حاكم! فالسلطة تزول بموت الحاكم، ولكن الشعر والأدب يبقيات إلى آخر الدهر!

حول تاريخ الخليج العربى

المتخصصون من المؤرخين المصريين فى دراسة تاريخ الخليج العربى قلة! ربما لأسباب ترجع إلى أن أهمية الخليج العربى لم تبرز إلا بعد ظهور البترول ،ومحاولات الدول الأوروبية السيطرة عليه. وعلى الرغم من أن الموقف تغير الآن ،إلا أننا لا نجد فى الباحثين الجدد الذين يعدون رسائل الماجستير والدكتوراه ، من يهتم بإعداد دراسة عن تاريخ الخليج العربى . وربما كان السبب الأساسى فى ذلك ، هو أن الغالبية العظمى من المؤرخين المصريين غير متخصصين فى تاريخ الخليج العربى .

هذا يوضح أهمية الدراسة الموسوعية التى قدمها مؤخرا الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم ،وهو أكبر المؤرخين العرب المتخصصين فى هذا الحقل من الدراسات التاريخية.

والدراسة تشتمل على خمسة مجلدات تحت عنوان تاريخ الخليج العربى ، تتناول فى مجموعها معالجة علمية شاملة لتاريخ الخليج

الأربعاء ٢٠٠٢/٤/١٧ .

العربى ، من مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وذلك منذ بداية العصور الحديثة حتى وقتنا الحاضر ، وعلى وجه التحديد من عام ١٥٠٧ ، الذى يوافق الغزو البرتغالى لمنطقة الخليج العربى ،إلى عام ١٩٩١ ،الذى شهد نهاية حرب الخليج الثانية وما أسفرت عنه من نتائج ٠

وقد اشتمل المجلد الأول ،على تاريخ إمارات الخليج العربى فى عصر التوسع الأوروبى الأول ، وذلك منذ الغزو البرتغالى حتى بداية تدعيم النفوذ البريطانى. و على وجه التحديد فيما بين عامى ١٥٠٧ و١٨٤٠.

أما المجلد الثانى، فيتناول تطور النفوذ البريطانى فى إمارات الخليج العربية ، والمنافسات الإقليمية والدولية ، وذلك خلال الفترة من بداية تدعيم النفوذ البريطانى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ،أى فيما بين عامى ١٨٤٠ و١٩١٤ .

أما المجلد الثالث، فيتعرض للأوضاع الداخلية فى إمارات الخليج العربية وعلاقاتها خلال الحربين العالميتين من١٩١٤ إلى ١٩٤٥. ويتناول بصفة خاصة هذه الدول بالمملكة العربية السعودية والعراق وإيران ٠

أما المجلد الرابع ، فيتناول تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية فى إمارات الخليج العربية حتى وصولها إلى الاستقلال . أى منذ نهاية

الحرب العالمية الثانية حتى تنفيذ بريطانيا سياستها الخاصة بالانسحاب فى عام ١٩٧١.

ومن المهم أن نقول أن هذا الكتاب صدرت الطبعة الأولى منه فى عام ١٩٩٦ ثم صدرت الطبعة الثانية فى عام ٢٠٠١ وهى مجلدة تجليدا فاخرا .

أبطال يوليو المجهولون (١)!

لكل ثورة من الثورات التى قامت فى العالم ، ظاهر وباطن . أما الظاهر فهو ما يعرفه الجميع ، وما تعلنه الثورات عن نفسها بعد نجاحها . وأما الباطن فهو ما يعرفه المؤرخون من واقع الدراسات المعمقة والبحث عن الوثائق فى كل موطن تقع فيه .

والحقائق التى يخفيها هذا الباطن ،حقائق مثيرة لكل من عرف هذه الثورات كما ظهرت به .

وعلى سبيل المثال ،فمن المعروف أن الثورة الفرنسية ،هى ثورة الطبقة البرجوازية (الرأسمالية) ، و هى التى غيرت علاقات الإنتاج بما أتاح قيام الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر .

ولكن الذى لا يعرفه الجميع ، أن الطبقة الإقطاعية هى التى أشعلت نيران هذه الثورة الفرنسية ، وانه لولا ثورة الطبقة الإقطاعية ، لما نجحت ثورة الطبقة الرأسمالية!

السبت ٢٠٠٢/٧/٢٧ .

والأمر كذلك لحد بعيد فى مصر، فمن المحقق أن مجيء الوفد إلى الحكم فى ١٢ يناير ١٩٥٠، وما أطلقه من حرية التعبير للشعب ، وحرية الاجتماعات ،وحرية المظاهرات ، وفتح باب الكفاح المسلح ضد الإنجليز فى قناة السويس ،كان يعد بمثابة ثورة شعبية بلغت ذروتها بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

كان فى وسع هذه الثورة الشعبية ، أن تنتهى بسقوط الملك فاروق ، لولا أن الجيش كان فى يد فاروق ، فاستطاع به تحويل الثورة الشعبية إلى نكسة شعبية ! واستولى بفضل القوى الرجعية على الحكم بعد أن أوقف الحياة النيابية ، وأصبح يحكم البلاد مستعينا بالجيش وحده .

فى ذلك الحين كانت العناصر الحرة فى الجيش المصرى الوطنى نفسه تتحرك للثورة على هذه الأوضاع ، التى جثم بها فاروق على صدر البلاد ،وذلك ببناء قاعدة ثورية بين ضباط الجيش ، عن طريق إنشاء خلايا ، وتجنيد من يصلح للعمل الثورى من الضباط ،وتنظيم الصفوف على مستوى الأسلحة كلها .

وليس من قبيل الصدف أن هذا التحرك بدأ مع استيلاء القصر على السلطة، بعد إقالة حكومة الوفد فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وتأليف حكومة قصر برياسة أحمد ماهر باشا. فكأن تحرك العناصر الحرة بين الضباط قد تواكب مع تحرك العناصر الحرة فى النضال الشعبى ضد القصر.

كانت هذه المجموعة مكونة من كل من : اليوزباشى (اللواء فيما بعد) سعد عبد الحفيظ ، واليوزباشى) السفير فيما بعد) جمال منصور، واليوزباشى (اللواء فيما بعد) عبد الحميد كفافى، واليوزباشى (اللواء فيما بعد) مصطفى نصير .

وهذه هى المجموعة الأولى من الضباط الأحرار ، باعتراف الجميع.

أبطال يوليو المجهولون (٢)!

انتهينا إلى تحرك أول مجموعة من ضباط الجيش ، لتأسيس قاعدة ثورية بين الضباط ضد الملك فاروق فى عام ١٩٤٥، على يد كل من اليوزباشى سعد عبد الحفيظ ، واليوزباشى عبد الحميد كفافى، واليوزباشى مصطفى نصير واليوزباشى جمال منصور. وهى أول مجموعة من الضباط الأحرار باعتراف الجميع. وقد كانت هذه اللجنة هى التى أشترت آلة الطباعة «رونيو» ، وهى التى أعدت المنشورات وقامت بطباعتها وتوزيعها .

وقد كانت تصدر منشورا فى كل مناسبة لتوعية الضباط بالأحوال السيئة فى الجيش والبلاد .

ومن المهم أن نذكر أن هذه اللجنة التأسيسية هى التى أطلقت اسم «الضباط الأحرار» على تنظيم الضباط ،ولم يكن هذا الاسم معروفا من قبل، وذلك فى أكتوبر سنة ١٩٥٠، حينما انضمت هذه اللجنة إلى مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين .

الأحد ٢٠٠٢/٧/٢٨ .

وقد كان بعد هذا الانضمام بين المجموعتين ، أصبح تشكيل اللجنة الرئيسية لسلاح الفرسان على النحو التالى وفقا للأقدمية العسكرية:

عثمان فوزى .

خالد محيى الدين .

سعد عبد الحفيظ .

جمال منصور.

مصطفى نصير.

عبد الحميد كفافى.

وكان يتبع هذه اللجنة الرئيسية جميع خلايا الضباط فى الآلايات ووحدات السلاح التى تم تجنيدها فى الفترة والمشكلة من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٩. ثم المجموعة الثانية التى تم تجنيدها تحت اسم «الضباط الأحرار».

ويتضح من هذه الحقائق الدامغة أن مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ، لم يكن لها رصيد سابق فى العمل الثورى المنظم داخل الجيش حتى نهاية ١٩٤٩ .

وأن هذه المجموعة حينما اندمجت فى عام ١٩٥٠ مع المجموعة الأولى التى تأسست فى عام ١٩٤٥ على يد سعد عبد الحفيظ وجمال منصور ومصطفى نصير وعبد الحميد كفافى ، استندت إلى القاعدة الثورية التى بنتها هذه المجموعة ،واستفادت من سابق خبرتها ومن آلة طباعتها ومنشوراتها وما حققته من كسب للرأى العام داخل الجيش وخارجه.

أبطال يوليو المجهولون (٣)!

قلنا أنه بعد اندماج اللجنة التأسيسية لتنظيم ضباط الجيش ، مع مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين فى عام ١٩٥٠ ، أن أطلق على تنظيم الجيش اسم تنظيم الضباط الأحرار.

وقد استفاد التنظيم الجديد من الرصيد الذى حققته المجموعة الأولى بقيادة سعد عبد الحفيظ وجمال منصور وعبد الحميد كفافى ومصطفى نصير ،بنضالها بين ضباط الجيش وسابق خبرتها فى العمل الثورى ، ومن الخلايا التى شملت الأسلحة كلها من الضباط الذين تم تجنيدهم منذ عام ١٩٤٥ وشارك معظمهم فى ليلة ٢٣ يوليه ١٩٥٢.

وكانت قد ظهرت بالفعل بعض الانتفاضات داخل الجيش لتعبر عن مطالب بذاتها ، ولكنها توقفت بسبب اليأس من تحقيق هذه المطالب ، إذ لم يكن لأصحابها النفس الطويل لكى تقطع الطريق البعيد الذى يصل بين الأفكار الثورية وتنفيذها . ولذلك لم تسهم فى بناء القاعدة

الأثنين ٢٠٠٢/٧/٢٩ .

الثورية وتنفيذها فى الجيش. وبالتالى لم تكتسب رأيا عاما واضحا بين الضباط .

وعلى كل حال فمما يهم ذكره من الحقائق ،عن هذه المجموعة الأولى أنها هى التى وضعت ما عرف باسم مبادئ الثورة الستة وهى :

١- القضاء على الاستعمار وأعوانه الخونة .

٢- القضاء على الإقطاع .

٣- القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.

٤- إقامة عدالة اجتماعية .

٥- إقامة جيش وطنى قوى.

٦- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وقد تم إعداد هذه المبادئ لتوضيح أهداف التنظيم ،ولتكون بمثابة ميثاق عمل وطنى بين الشعب والجيش .

وقد كان بعد نجاح الثورة مباشرة أن طلبت اللجنة الرئيسية لسلاح الفرسان ،بأن يقوم مجلس قيادة الثورة بنشر وتوزيع المبادئ الستة للضباط الأحرار ،لتكون دستورا للعمل من أجل الشعب.

ولكن هذا الطلب لم ينفذ ،وبذلك أصبح الشعار الذى أطلقته الثورة فى ذلك الحين لتعبئة الجماهير خلفها هو هذا الشعار السطحى:

«الاتحاد . والنظام . والعمل» !

أبطال يوليو المجهولون (٤)!

قلنا إن قيادة الثورة بعد نجاحها أغفلت ما طلبته مجموعة اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان ، من نشر وتوزيع المبادئ الستة للضباط الأحرار ، التى وضعتها هذه اللجنة ،مكتفية بإذاعة شعار الاتحاد والنظام والعمل.

على انه مع تطور الصراع بين الثورة والقوى الاستعمارية ، فى مناخ الحرب الباردة بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى. لم يجد عبد الناصر أمامه من طريق سوى الطريق الثالث الذى اختارته مجموعة الدول الإفريقية والآسيوية ، واختارته مصر أيضا من قبل قيام الثورة ، وهو طريق عدم الانحياز ، والحياد الإيجابى ،وهو الذى اتبعته حكومة الوفد الأخيرة من قبل ، بوقوفها موقف الحياد فى حرب كوريا .فاشترك عبد الناصر فى مؤتمر باندونج فى ١٩ إبريل ١٩٥٥.

وبطبيعة الحال لم يكن فى وسع عبد الناصر أن يذهب إلى هذا المؤتمر، ليعلن أن مبادئ الثورة هى الاتحاد والنظام والعمل ، ومن هنا

الثلاثاء ٢٠٠٢/٧/٣٠ .

كان بعث المبادئ الستة ،وقد ألقاها عبد الناصر فى خطابه فى مؤتمر باندونج ،على النحو الآتى :

١-رفع مستوى معيشة الفرد العادى فى مصر ماديا ومعنويا .

٢- إقامة حياة ديمقراطية حقة ،على أساس سليم فى البلاد .

٣- القضاء على الإقطاع بالإصلاح الزراعى .

٤- تخليص الاقتصاد القومى من قبضة الاحتكار ،الذى يحرم الفرد من حريته والدولة من سيادتها .

٥- تقوية الجيش للمحافظة على سيادتنا وحماية مسئوليتنا الدولية .

٦-نشر العدالة الاجتماعية .

وبعد شهر واحد ، ألقى فى يوم ١٩ مايو خطابا ،فى الحفلة التى أقامها له ضباط القوات المسلحة، أحدث تعديلا فى هذه الأهداف على النحو الآتى :

١- القضاء على الاستعمار وأعوانه .

٢- القضاء على الإقطاع .

٣- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.

٤- إقامة عدالة اجتماعية شاملة .

٥- إنشاء جيش وطنى قومى قوى .

٦- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

أبطال يوليو المجهولون (٥)!

استبعد عبد الناصر عمدا أسماء التنظيم الأول للضباط الأحرار، وهم اليوزباشى سعد عبد الحفيظ، واليوزباشى عبد الحميد كفافى، واليوزباشى مصطفى نصير، واليوزباشى جمال منصور. وعمد إلى طمس دور هذه المجموعة الأولى. وهذا ما يشهد به الجميع .

يقول خالد محيى الدين فى مذكراته المنشورة بعنوان الآن أتكلم : «لم يشترك جمال منصور وكفافى ونصير فى ليلة الثورة فقد كانوا فى إجازة. ولم استدعهم للاشتراك معنا .

وكان صاحب فكرة عدم استدعائهم جمال عبد الناصر، الذى أكد أنهم سوف يثيرون كثيرا من الأسئلة والاستفسارات عن الاستعدادات والترتيبات ،ومدى ملاءمتها وكفايتها .. الخ. وقال إن الوضع لا يحتمل مثل هذه الأسئلة ،وهذا الجدل «من أناس يريدون كل شئ مثاليا قبل التحرك» ! وكان حسين الشافعى حاضرا المناقشة ،ووافق على ذلك .

«وهكذا تركتهم فى الإجازة ،ولم استدعهم للمشاركة».

الأربعاء ٢٠٠٢/٧/٣٠ .

وفى كتاب ثوار يوليه الوجه الآخر الصادر عن دار الهلال فى يوليه ١٩٧٧ ، ورد على لسان البكباشى عاطف نصار من الضباط الأحرار البارزين بسلاح المدفعية قوله:

«اذكر للتاريخ أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ،قد حرص بالفعل على عدم إبلاغ عناصر معينة من الضباط الأحرار بموعد التحرك ! ليس خوفا عليهم بل تخوفا منهم ومن طبيعة تكوينهم ونشاطهم القديم (وخاصة من كان له نشاط ثورى سرى قبل أن يندمج فى تشكيل جمال عبد الناصر. بعضهم وليس كلهم.. ساورته المخاوف منهم بعد نجاح الثورة إذا قدر لهم أن يشاركوا فيها تحركا وإيجابا. وكان جادا فى البحث عن وسيلة للخلاص منهم قبل نهاية الشهور الستة الأولى من عمر الثورة » .

وقد كان بعد الثورة بشهر، أن اجتمعت اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان ،فى أغسطس ١٩٥٢، لكى تبدأ فى تسجيل أحداث ما قبل الثورة وفترة التمهيد والإعداد لها. ووافق مجلس الثورة على هذا التسجيل.

وقد أبلغ خالد محيى الدين اللجنة ،أن مجلس الثورة يريد أن يطلع أولا بأول على ما تكتبه اللجنة .

على انه لم تمض سوى أيام قليلة ،حتى عاد خالد محيى الدين يحمل للجنة قرار مجلس الثورة بوقف الكتابة فى هذا الموضوع ،بحجة الحرص على عدم حدوث بلبلة !

أبطال يوليو المجهولون (٦)!

رفض مجلس قيادة الثورة تسجيل أحداث ما قبل الثورة ، أو فترة التمهيد والإعداد ! بعد أن قبل بذلك فى أغسطس ١٩٥٢ ، وكانت حجته عدم إحداث بلبلة فى الرأى العام ،ولكن الهدف الحقيقى كان هو طمس دور المجموعة التى سبقت مجموعة عبد الناصر فى العمل الثورى ، بدليل حرص عبد الناصر على عدم دعوة أعضاء هذه اللجنة للاشتراك فى ليلة ٢٣ يوليو باعتراف خالد محيى الدين .

وقد استمر دور هذه المجموعة مجهولا طوال عهد عبد الناصر وحتى وفاته. فلما تكونت فى عهد الرئيس السادات فى عام ١٩٧٦، لجنة لكتابة تاريخ الثورة ،برياسة نائب رئيس الجمهورية (فى ذلك الوقت) محمد حسنى مبارك . انتهزت هذه المجموعة الفرصة لتسجيل دورها الملموس على يد عبد الناصر ،وقدمت للواء محمد حسن غنيم، مساعد وزير الحربية ، ورئيس اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تقريرا مهما سجلت فيه بدقة هذا الدور، كشفت فيه النقاب عن علاقتها بتنظيم عبد الناصر.

السبت ٢٠٠٢/٨/٣ .

وقد كان مما أوردته فيه :أولا ،أن مرحلة التمهيد للثورة مرت بفترتين ، الأولى من ١٩٤٥ حتى حرب فلسطين ،والثانية من ١٩٤٩ ، حتى قيام ثورة يوليو١٩٥٢ . وقد كشفت فيه أسرار مجهولة عن نشاط هذه اللجنة ، فتحدثت عن طبع منشورات الضباط الأحرار ، وكيفية كتابتها عن طريق أحد الموظفين بمكتب «قطان» للمحاسبة بميدان لاظوغلى ، ثم طباعتها على سطوح مبنى مصلحة السكة الحديد بمحطة مصر ، وباستعمال ماكينة الطباعة الخاصة بهذه المصلحة. وهو ما استمر حتى نهاية حرب فلسطين.

ثم أورد التقرير أيضا أن هذه اللجنة هي التي قامت بإطلاق اسم «الضباط الأحرار» على الحركة ، وتم ذلك في شقة بالزيتون تم استئجارها باسم السيد سعد منصور، شقيق اليوزباشى جمال منصور .

وذكر التقرير ان اللجنة كانت هي التى اصدرت أول منشور باسم «الضباط الأحرار» وقد تضمن هذا المنشور أول هجوم على الملك ،وقد تحدثت عنه كافة الصحف. «وبمجرد ظهوره حضر البكباشى جمال عبد الناصر والتقى بالملازم جمال منصور في شقة شقيقه سعد منصور بشارع الملك بحدائق القبة (مصر والسودان حاليا) وعانقه مبديا إعجابه وتقديره بما جاء في المنشور ، وتأثيره العظيم على ضباط الجيش، الأمر الذى زاد من تكتلهم حول الفكرة ،وتمسكهم بضرورة التغيير.

والطريف ما ذكره التقرير من انه عندما أرادت مجموعة عبد الناصر أن تشارك اللجنة الأولى فى كتابة المنشورات ، خرجت عن أهدافها إذ صدر منشورها «هابطا عن المستوى اللازم» إذ كان بعيدا عن المضمون ، واتجه إلى مهاجمة الأشخاص ، مما دعا اللجنة إلى مطالبة لجنة عبد الناصر بعدم استخدام اسم الضباط الأحرار فيما تصدره من منشورات .

ظاهرة التفكك الأسرى فى المجتمع المصرى!

إننى حزين لما أراهحولى من تفكك الأسر المصرية! فلا أكاد أنظر فى أى اتجاه إلا وأرى حولى التفكك الأسرى، والطلاق وتشرد الأبناء! حتى بت أعتقد أن هناك «فيرس» قد أصاب الأسر المصرية، وأحدث فيها هذا التفكك والإنهيار.

ومن المحقق أن الأسر المصرية فى القرن الماضى، فى عصر الحريم، كانت أكثر تماسكا واستقرارا، وأن أحوالها كانت أفضل كثيرا منأحوالها اليوم.

وهو الأمر الذى يستدعى اهتمام وتدخل المجلس القومى للمرأة، والجهات المعنية بالأسرة.

إننا عندما نقارن بين الوضعين، سوف نلاحظ أن الخلاف بينهما ينحصر فى تعلم المرأة ، وخروجها إلى سوق العمل، وانشغالهابأمور الحياة التى تشغل الرجل!.

فى عصر «سى السيد» - أى سيطرة الرجل على الحياة الأسرية، كانت أحوال الأسرة مستقرة لحد بعيد.

الخميس ٢٠٠٢/٧/١٨ .

وحتى فى عصر تعدد الزوجات كانت الأسرة المصرية مستقرة، ولم يكن زواج الأب بزوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة يسبب تشرد الأبناء. لأن المجتمع كان ينظم هذه العلاقات على نحو يحفظ كيان الأسرة من التفكك والانفصال.

وعندما تعلمتالمرأة المصرية، ونزلت إلى سوق العمل، وأصبحت تناضل جنبا إلى جنب مع الزوج لرفع مستوى الأسرة، والارتقاء بها، لاحظنا أن التفكك بدأ يسرى فى الأسر المصرية، حتى أصبح الخلع مطلبا مهما من المطالب التى تصر عليها المرأة! وقد كنتشخصيا من الذين ساندوا هذا الحق فى مجلس الشورى، أثناء عرض مشروع قانون الأسرة.

والمهم أننا أصبحنا اليوم، فى وضع جديد تماما بالنسبة للمجتمعالمصرى، وضع تفككتفيه معظم الأسر، وإذا استمر الوضععلى هذا المنوال. فأخشى أن الزواج سوف يصبحمما قريب أثر من آثار الماضى، خصوصا بعد انتشار ظاهرة الزواج العرفى.

فما هى الأسباب الحقيقية التى أدت إلى هذا الوضع المتدهور؟ وعلى من يقع اللوم: هل يقع على الزوج؟ أو يقع على الزوجة؟ أو على الأسرة؟

وأية أسرة؟ هل هى أسرة الزوج؟ أو هى أسرة الزوجة؟

أو هى ظروف الحياة الاجتماعية الجديدة، التى نقلت المرأة المصرية من ظلام عصر الحريم، إلى نور الاختلاط فى الجامعة، وفى العمل، وفى غير ذلك من مجالات الاختلاط؟

وبمعنى آخر هل هو الاختلاط بين الرجل والمرأة؟ الذى أتاح لها التعرف على نماذج أخرى من الرجال، غير النموذج الوحيد الذى كانت تعرفه جدتها فى عصر الحريم؟

أو هو الحرية التى أصبحت تتمتع بها المرأة فى الخروج، وفى الاختلاط بمجتمع الرجال؟

أو هو تراخى قبضة الرجل على الحياة الأسرية، بعد أن أصبحت تشاركه فى مسئولياتها الزوج؟

أو السبب تراخى سيطرة الرجل الاقتصادية على الحياة الأسرية، التى كانت تحفظ لها ترابطها وتماسكها؟

هذه أسئلة سوف نحاول الإجابة عنها..

ظاهرة التفكك الأسرى فى المجتمع المصرى (٢)

فى مقال الخميس الماضى ،كنت قد تحدثت عن ظاهرة التفكك الأسرى الحالى الذى يشهده المجتمع المصرى. والذى أصبح يهدد الجيل الجديد فى أمنه ومستقبله. وكنت قد أرجعت بداية هذا التفكك إلى خروج المرأة من عصر الحريم ، واقتحامها المجتمع المصرى عن طريق التعليم والعمل ، واقترحت عدة أسباب لهذه الظاهرة الخطيرة ، ووعدت بدراستها.

وقد غضبت الكثيرات من القارئات العزيزات من هذا الطرح ، الذى ينسب هذا التفكك إلى نزول المرأة إلى سوق العمل جنبا إلى جنب مع الرجل. وتساءلت الكثيرات هل تريد حرمان المرأة من حق العمل ؟

وبطبيعة الحال فإنى أومن إيمانا تاما بأن نزول المرأة إلى سوق العمل هو مكسب أكيد للمجتمع المصرى. فالمرأة هى نصف المجتمع ، وحرمانها من العمل معناه تعطيل طاقة نصف المجتمع الإنتاجية .

الخميس ٢٠٠٢/٧/١٨ .

ويحضرنى فى ذلك أن المجتمع الغربى لم يتقدم هذا التقدم المذهل إلا بعد نزول المرأة إلى سوق العمل. فأنت فى المجتمع الغربى لا تكاد ترى الرجل ، وإنما ترى المرأة فى كل موقع من مواقع الحياة ، وهى تؤدى عملها بكفاءة منقطعة النظير ، وبمهارة تفوق مهارة الرجل .

ولكن المشكلة هى أن المجتمع الغربى قد تكيف مع عمل المرأة ، واستعد لذلك بالتشريعات والقوانين والتقاليد الجديدة ، التى تجعل المرأة تذهب إلى العمل صباحا ، وهى مطمئنة إلى أن المجتمع قد وفر لأطفالها فرصة التعليم ، والانتقال من البيت إلى المدرسة ،وفى الوقت نفسه وفر لها الأجهزة المنزلية الحديثة التى توفر وقتها وجهدها فى إعداد الطعام للأسرة عند العودة من العمل ـ علما بأن وقت العمل فى المجتمع الغربى يبدأ من التاسعة صباحا حتى السادسة مساء .

والمهم أن عمل المرأة فى المجتمع الغربى لم يسبب لها ما يسبب للمرأة المصرية من أعباء وهموم ،ولم يؤثر على تربية أطفالها ، ولم يؤثر أيضا على واجباتها نحو زوجها وعلاقتها به ،وبالتالى لم يؤثر على حياتها الزوجية .

كما أن تنظيم العمل فى المجتمع الغربى على نحو يخصص خمسة أيام فى الأسبوع للعمل ويومين للراحة (ويك إند (قد أتاح للأسرة الغربية الفرصة لتعويض النقص المترتب على ازدحام أيام الأسبوع بالعمل ، ولكن المجتمع المصرى قد تجاهل تجاهلا مؤسفا ما طرأ عليه من تطور بسبب عمل المرأة .

فالمرأة فى مصر مطحونة تماما بين واجباتها فى البيت نحو الزوج ونحو الأطفال ، ونحو ظروف المعيشة ، وبين أعبائها فى العمل. ذلك أن عملها هو على الدوام على حساب واجباتها المنزلية. وواجباتها المنزلية هى على حساب أعبائها فى العمل .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك هى أن المرأة المصرية تحولت إلى نصف رجل أو نصف امرأة، ولم تعد تمثل فى البيت ما كانت تمثله المرأة المصرية فى عصر الحريم من اهتمام بنفسها ومن اهتمام بزوجها –الأمر الذى أفقد الحياة الزوجية جاذبيتها القديمة. فالكل يدور فى طاحونة العمل .

فإذا أضفنا إلى ذلك عبئا آخر هو تولى الأم والأب فى الكثير من الأسر مهمة مساعدة أطفالهما فى أداء واجباتهما المدرسية فى البيت ـ وهو ما يستغرق معظم الوقت حتى منتصف الليل لفماذا يبقى بعد ذلك للأسرة المصرية من وقت لممارسة العلاقات الإنسانية ؟

ظاهرة التفكك الأسرى (٣)

ظاهرة التفكك الأسرى فى بلدنا هى نتاج عوامل كثيرة ، يجب الكشف عنها ، إذا أردنا العلاج .

وربما كان أهم هذه الأسباب هو خروج المرأة المصرية إلى حقل العمل جنبا إلى جنب مع الرجل.

فقد ترتب على خروج المرأة إلى حقل العمل أن أصبحت مصدرا أساسيا من مصادر دخل الأسرة، بعد أن كان الرجل هو المصدر الوحيد. وقد ترتب على ذلك تغيير جوهرى فى العلاقة الزوجية ، على رأسها ما تجاهر به المرأة اليوم من أن قوامة الرجل عليها لم يعد لها مبرر. وقد اعتمدت المرأة فى ذلك على ما ورد فى الآية الكريمة : «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض ،وبما انفقوا من أموالهم»!

فبعد أن أصبحت المرأة تنفق جنبا إلى جنب مع الرجل ،انتفى على الفور سبب تفضيله عليها.بل انقلب الحال ـ كما يحدث حاليا فى كثير

الخميس ٢٠٠٢/٧/١٢ .

من الأسر ـ وأصبحت المرأة هى التى تنفق على الأسرة ! وهو ما يعنى انتفاء فضل الرجل .

وعلى العكس من ذلك فـإن الزوجـة فى هذه الحـالة هى التى تستحق القوامة على الرجل !

هذا المنطق قـد تحـول إلى واقع ملمـوس فى حياة كثيـر من الأسـر المصرية . فإن الطالبة الجامعية التى كانت تحصل على مصروفها من والدها ، وأصبحت تحصل عليه اليوم من والدتها ، كان من الطبيعى أن ينتقل ولائها إلى والدتها !

وكذلك الأمـر بالنسبة للطالب الجامعى ،وحتى بالنسبـة لتلامذة الثانوى والإعدادى ! لأن الولاء يتجه ـ بالضرورة ـ لمصدر المنفعة ،فإذا كان هذا المصدر هو الأب استقام وضع الأسرة ، وإذا كان هذا المصدر هو الأم انقلب وضع الأسرة .

ومن سـوء الحظ أن الكثـيرين من الأزواج ومـن الآباء ،قـد فـقـدوا نخوة الرجولة ، بعد مـشاركة المرأة للرجل فى الإنفـاق ، حتى أصبح الكثـيرون منهم يعـتمـدون كلية على المرأة فى الإنفـاق على الأسـرة! وبعضهم أضاف نفسه إلى قائمة الأولاد الذين تنفق عليهم الزوجة!

ولا يمكن تصـور الأثر السلبى لضيـاع نخـوة الرجـال على الأسـرة المصرية. فهيبة الأب تنبعث بالدرجة الأولى من إعالته لأولاده ، وإنفاقه على الأسرة ، فإذا انتقلت هذه الإعـالة إلى الأم ، فقد الأب ـ بالضرورة ـ هيبته واحترامه بين الأبناء .

فى الوقت نفسه فقد احترامه لدى الزوجة ، بعد أن أصبحت هى المهيمن على الحياة الاقتصادية للأسرة ! ولم تعد فكرة قوامة الرجل على المرأة تكتسب أية مصداقية .

وهذا هو السبب فى أننا نرى اليوم مشاهد عائلية لم يكن أحد يتصورها فى بداية هذا القرن ، ويكفى أن نعرض صورة الحياة العائلية فى ثلاثية نجيب محفوظ العظيمة ، وصورتها حاليا ،لنعرف حجم التطور الذى حدث على الحياة العائلية. صحيح أننا لا نطالب أولاد الأسرة بان ينتظروا حتى ينتهى والدهم من تناول الطعام ، ولكننا نتوقع تصرفا حضاريا من الأب يتفق مع التطور الاقتصادى الذى طرأ على حياة الأسرة .

وفى كل الأحوال ،فمما لا شك فيه أن نزول المرأة إلى حقل العمل ، ومشاركتها الرجل فى الإنفاق على الأسرة ، لم يحدث الأثر الإيجابى المطلوب ، بل انه كان ،فى كثير من الأحيان أحد العوامل المهمة فى تفكك الأسرة.

ظاهرة التفكك الأسرى (٤)

التفكك الأسرى يهدد مجتمعنا المصرى ، على نحو أصبح يتطلب التحليل ، ومعرفة الأسباب ، ومواجهة السلبيات ٠فلا نكاد ننظر حولنا فى أى مكان حتى نرى الأسر تتفكك ، وطلبات الطلاق تتزايد ، وكذلك طلبات الخلع بكل ما يترتب على ذلك من تشريد الأبناء ، أو تربيتهم أسوأ تربية، والدفع بهم إلى الجريمة .

ومن سوء الحظ أن تقاليد مجتمعنا ، لا تجعل الحب واحدا من أسباب الزواج! بل ربما كان الحب أحد الأسباب التى تمنع الزواج ، والسبب فى ذلك أن مجتمعنا فى طبيعته العامة هو مجتمع ريفى يمنع الاختلاط بما يترتب على هذا الاختلاط من إقامة علاقات بين الفتى والفتاة. ومن هنا فان الزواج فى مجتمعنا يتم عن طريق وسائط تتمثل إما فى صديقات للأسرة أو أقرباء أو خاطبات. و يتم السؤال عن العريس لتبين حالته المادية بالدرجة الأولى فإذا تبين انه ميسور الحال اعتبر ذلك مؤهلا كافيا لإتمام الزواج !

الجمعة ٢٠٠٢/٩/٢٠ .

ومن هنا فان الزواج فى مجتمعنا يتم غالبا بين شاب وشابه لم يسبقهما تعارف يتبين كل منهما من خلاله الطباع الحقيقية للطرف الآخر ، وما إذا كان يستطيع العيش مع هذه الطباع أو لا ؟

وفى الماضى درجت العادة ، على انه إذا تبينت الزوجة أن طباع زوجها لا تتفق مع طباعها ، فان رد أسرتها عليها يكون بأن الزمن كفيل بتغيير هذا الشعور إلى قبول.

وبطبيعة الحال ،فان الزمن لا يفعل المعجزات ،فقد يتحول النفور إلى كراهية على نحو تتعذر معه الحياة.

ومع مرور الزمن وتعرض الأسرة للأخطار ، تكتشف الزوجة أن الزوج هو الحامى الطبيعى للأسرة، وتتغير المشاعر على نحو إيجابى.

هذا كان فى الماضى ، حيث كان الزواج يمثل علاقة مقدسة ،لا تتأثر بأية مشاعر، إذ كان يعد وظيفة اجتماعية لا مفر منها لاستمرار النوع، ولاستمرار المجتمع. وكان الطلاق يعد فى ذلك الوقت من الحالات النادرة .

ومع التطور الاقتصادى الذى وقع فى علاقات الإنتاج ،وتحول المجتمع الزراعى إلى مجتمع صناعى ، وتغير العادات والتقاليد ،ومع الاختلاط الذى صاحب ذلك ،وأدخل المرأة المصرية فى علاقات عمل أو تعليم مع رجال غرباء عنها ،أصبحت المرأة المصرية فى وضع جديد لم تعرفه المرأة فى المجتمع الماضى. ففى عصر الحريم لم تكن المرأة المصرية تعرف غير زوجها ، وبالتالى لم يكن أمامها من مكان لعقد

مفاضلة بينه وبين رجل آخر، ولكنه فى المجتمع المعاصر ، مع الاختلاط أصبح المجال أمامها واسعا أمامها للمقارنة بين زوجها وبين رجال آخرين ، وأصبح خطر تحول مشاعرها وعواطفها من زوجها إلى رجل آخر خطرا قائما، وكان ذلك أحد العوامل المهمة التى أدخلت التفكك فى الأسرة المصرية ، فسوف نكتشف أن هذا التفكك يحدث بالدرجة الأولى فى أسر تعمل فيها المرأة ، وتختلط بالرجل فى مكان عملها.

ظاهرة التفكك الأسرى (٥)

◆ فى مقالنا السابق ، تحدثنا عن ظاهرة التفكك الأسرى فى المجتمع المصرى ، وعزونا أحد هذه الأسباب إلى الاختلاط الذى طرأ على المجتمع المصرى، مع تطور علاقات الإنتاج ، من علاقات إنتاج شبه إقطاعية إلى علاقات إنتاج رأسمالية ، وما صاحب ذلك من نزول المرأة المصرية إلى حقل العمل جنبا إلى جنب مع الرجل .

ففى الماضى عندما كانت المرأة لا تعرف غير زوجها ، كانت بمنجاة من العوامل الأخرى التى تؤثر على عاطفتها نحو زوجها .فكان البيت مُصانا ، وكانت الأسرة أسرة متماسكة بالضرورة ، وكانت عواطف المرأة متجه لزوجها وحده لا شريك له فى هذه العواطف ، ولكن مع الاختلاط بأنواع أخرى من الرجال أتيحت الفرصة للمرأة للمفاضلة . فبعضهن سقطن فى التجربة ، وبعضهن نجون !

وقد كان هذا التطور الكبير مما كان يستوجبهُ من الرجل المصرى إحداث تغيير إيجابى فى علاقته بزوجته ، حتى لا يعرضها لإجراء

السبت ٢١/٩/٢٠٠٢ .

مفاضلة ضده مع رجل آخر ،ولكن البعض استمر فى علاقته القديمة دون إحداث تغيير فيها -الأمر الذى جعل عواطف الزوجة تتحول تدريجيا إلى الرجل الآخر !

وبالنسبة لبعض الزوجات ، فان هذا التحول أدى بهن إما إلى إقامة علاقات غير سوية ، وإما طلب الطلاق أو الخلع ، لإقامة علاقة سوية مع الرجل الآخر.

ونظرا لأن مجتمعنا المصرى جديد فى الاختلاط ،ولا يقوم على المكاشفة ، فان الكثيرات من الزوجات ،يقعن فى الوهم ، فتبيع زوجها متوقعة تقدير الرجل الآخر ،ولكن الرجل الآخر يكون فى معظم الأحوال عابثا وغير جاد !

ولكن الكارثة تكون قد وقعت ! فان الأسرة تكون قد تفككت بالفعل، والزوجة قد ضلت الطريق ، والأولاد فقدوا الأب والأم ، ومشاعرهم تبدلت تجاه كل من الأب والأم ، وتكون الأسرة قد أصبحت فى خبر كان!

ولا نستطيع فى هذه الحالة أن نلقى بكل اللوم على الزوجة ، التى تقع فى حبائل عابث فى مناخ الاختلاط الجديد ، وإنما على الأزواج أن يتأقلموا مع التغيير الاجتماعى الذى صاحب تطور علاقات الإنتاج ! وعليهم أن يعرفوا انه إذا خرجت المرأة من البيت إلى العمل ، فان الضمانات التى كان يوفرها عصر الحريم لالتزامها الخلقى والأسرى عن طريق غلق الباب ،تكون قد تبددت! ذلك أن غلق باب الحريم الذى

كان كافيا لإقامة علاقة وثيقة مع الزوج ، لم يعد قائما وبالتالى أصبح على الزوج أن يستبدل بغلق باب الحريم علاقة أخرى إيجابية يقيمها مع زوجته ، حتى يحتفظ بحبها واحترامها وتمسكها بالبيت الذى انفتحت أبوابه ، وهبت عليه أعاصير الاختلاط !

ظاهرة التفكك الأسرى (٦)

ومن أكبر أسباب التفكك الأسرى ، ما تلعبه الحموات فى حياة الزوجين ! وهى ظاهرة قديمة جديدة ،وقد عالجتها السينما المصرية على طوال تاريخها ،وتخصصت فى أدوار الحموات ، ممثلات شهيرات كانت أبرزهن المرحومة مارى منيب .

وهى ظاهرة غريبة لما فيها من تناقض ! فالأم سواء كانت أما للزوج ، أو أما للزوجة تحلم طول حياتهما ،ومنذ ولادتهما بالزواج ، حتى أصبحت هذه اللهفة تتمثل فى اللعب والعرائس. فإذا شب الولد، وإذا شبت البنت لعبت أم كل منهما الدور الأساسى فى البحث عن عروس لولد و عريس للبنت لثم تنفق الأم نفقات طائلة فى الإعداد لحفل الزواج الذى تقام فيه الأفراح والليالى الملاح !

فإذا انتهى هذا الفصل الأول ،انتقلنا إلى الفصل الثانى ، الذى معظمه غم ونكد ! فلا يكاد الابن يظفر بعروس يكن لها الحب ، حتى تدب الغيرة فى قلب الأم ،وتبدأ فى النظر إلى زوجة ابنها نظرة منافس

السبت ٢١/٩/٢٠٠٢ .

فى قلب ابنها ! ويبدأ مسلسل الدس والسخرية من الزوجة ومن كل ما تقوم به فى حياة ابنها.

وكذلك الحال بالنسبة لأم الزوجة ،فهى تريد من زوج ابنتها أن يكون ملاكا مطهرا فإذا دب خلاف بينه وبين ابنتها انحازت تلقائيا لابنتها ، وأخذت فى تبرير تصرفاتها! وشيئا فشيئا تبدأ الروابط بين الابنة وزوجها تتفكك وتتفصم ،ولا ترى الأم فى كل ذلك من حل إلا الطلاق!

وهكذا فإن حلم الزواج الذى كانت تتطلع إليه كل من أم البنت ، وأم الولد ،يتحول إلى كابوس رهيب ،تشاهد المحاكم بعض أجزائه ، وتبدأ دورة جديدة تتطلع فيها كل من أم البنت وأم الولد إلى تزويجهما ، ولكن فى هذه المرة بشروط أقل ،فالبنت أصبحت «معيوبة» لأنها مطلقة وليست بكرا (وفرصتها-بالتالى- فى الزواج أقل مما كانت عندما كانت بكرا. والابن أصبح معيوبا بدوره، لأن تجربته الفاشلة الأولى أصبحت تنبئ بفشل محتمل فى زواجه الثانى !

وفى حالات كثيرة تتزوج البنت مرة ومرتين وثلاث وأربع ! ويتزوج الابن مرة ومرات ، وتنتهى الحياة بالبنت والولد إلى سلسلة من النكسات والنكبات ،ويضاف إلى عدد المطلقات والمطلقين عدد آخر، بفضل بركة الحموات !

ظاهرة التفكك الأسرى (٧)

المشاحنات اليومية بين الزوجين ، هو أمر طبيعى للغاية ، وهو جزء لا يتجزأ من الحياة الزوجية. فكلا من الزوجين أتى من بيئة مختلفة، وتطبع بطباع مختلفة ، واختلف تقييمه للأشياء عن تقييم الآخر. فما يراه أحد الزوجين مصيبة كبرى يراه الآخر أمرا عاديا ، وما يراه أحد الزوجين خطأ يمكن اغتفاره، يراه الآخر خطأ لا يغتفر !

ومن هنا فان خمائر الدس وتهييج أحد الزوجين ضد الآخر موجودة باستمرار ! وهذه الخمائر تستغلها الأمهات استغلالا سيئا ·فحماة الزوج لا تغفر له أبدا أى مساس بكرامة ابنتها ،حتى ولو كانت ابنتها هى المخطئة ! وزوج الابنة هو مخطئ على الدوام ،حتى ولو كان خطؤه رد فعل لخطأ الزوجة ! وقد جرت عادة الأمهات على تذكر فعل الزوج للزوجة ، وتجاهل فعلها ! فقد يكون فعل الزوج هو مجرد رد فعل لما فعلته الزوجة التى هى ابنتها ،ولكن الأم لا تسأل ابنتها على الإطلاق هذا السؤال :ماذا فعلت حتى فعل بك زوجك كذا وكذا؟ فقد

الأربعاء ٢٠٠٢/٩/٢٥ .

يكون ما فعلته ابنتها مما يستحق أضعاف رد فعل زوجها ،ولكن الأم – أو حماة الزوج لا تسأل أبدا عن فعل ابنتها ! فهى تتصور ابنتها فى صورة الملاك البرىء الذى لا يخطئ ، وتتصور زوج ابنتها فى صورة الشيطان المريد.

وما يحدث من حماة الزوج ،يحدث بالمثل من حماة الزوجة ،دون زيادة أو نقصان!

ومن هنا نضع أيدينا على عامل مهم جدا من عوامل تفكك الأسرة ، لأن السؤال الذى يطرح نفسه :ما الذى أنبأ حماة الزوج بما فعله بابنتها ؟ وما الذى أنبأ حماة الزوجة بما فعلته بابنها ؟

السبب الوحيد فى ذلك هو إفشاء الزوجين أسرار حياتهما الزوجية لأسرة كل منهما لفمن المفروض أن حياة الزوجين هى صندوق مغلق لا يجب أن يفتحه أحد غير الزوجين ، ولا يجب أن يعلم بما يدور فيه غير الزوجين ! ولكن العادة جرت على أن كل زوجة تروى لأمها ما يدور بينها وبين زوجها ،وأن كل زوج يروى لأمه ما يدور بينه وبين زوجته ! وبحكم حب وتعاطف كل من الحماتين مع ابنها أو ابنتها ،فإن صورة الخلاف تبدو أمامهما مجسمة وتثير غضبهما ،ولا يترددان فى نقل أحاسيسهما إلى الزوجين ،فيزيدان الطين بلة ، ويعود كل من الزوجين من عند أسرته وهو ممتلئ غضبا على الطرف الآخر، وشيئا فشيئا تزيد النار اشتعالا ،وتتسع الهوة بين الزوجين –بحسن نية الحموات ! ولكن الطريق إلى جهنم –كما هو معروف–مفروش بالنوايا

الطيبة ، والطريق إلى الطلاق مفروش بالنوايا الطيبة للحموات لولا أستطيع هنا أن ألوم الحموات ،وإنما ألوم الزوجين اللذين بلغت حماقتهما ،أن يكشفا مشاحناتهما الطبيعية إلى أمهاتهما ،فتتحول المشاحنات الطبيعية إلى مشاحنات غير طبيعية ، ويمتلئ قلب كل من الزوجين سخيمة ضد الطرف الآخر ، وتمضى الأمور إلى نهايتها الطبيعية ، وهى التفكك الأسرى والطلاق!

ومن هنا ، فكم وددت لو أن كل أم وهى تزف ابنتها أو ابنها أسرت فى أذنها أو أذنه ، بألا يروى لها على الإطلاق شيئا مما يدور بينه وبين الطرف الآخر ! فبذلك توقف اندلاع النار ، ونوقف التفكك الأسرى !

ظاهرة التفكك الأسرى (٨)

ومن أكبر أسباب التفكك الأسرى أن بعض الأزواج لا يزالون يعيشون فى كنف أمهاتهم ،ويتأثرون بآرائهن ونصائحهن ،حتى ولو كان ذلك على حساب علاقته بزوجته !وهؤلاء أطلق عليهم الشعب المصرى لقب «ابن أمه» !

وهو ارتباط مدمر للأسرة الصغيرة وللحياة الزوجية ! فالمفروض أن الزواج يمثل علاقة أسرية جديدة منفصلة كل الانفصال عن الأسرتين اللتين خرجا منهما الزوجان ،فإذا ظل الزوج مرتبطا بأمه(التى هى حماة زوجته) متبعا أوامرها ونواهيها بعد الزواج ،فإنه يكون قد حفر حفرة كبيرة لدفن حلم الزواج السعيد !

إن المطلوب من الزوج هو أن يحترم أمه ويحبها وفقا لأوامر الشرع الحنيف ، ولكن ليس المطلوب منه أن يأتمر بأوامرها ونواهيها ، فيما يتصل بعلاقته بزوجته التى هى شأن من شئونه وزوجته وحدهما .

السبت ٢٠٠٢/٩/٢٨ .

ذلك أن مفهوم الرجولة عند الكثير من الأمهات ، هو مفهوم تسلط الزوج على زوجته! وإخضاعها لأوامره ونواهيه ، فإذا كان الحب بين الزوجين يفرض علاقة أخرى أساسها الحب والتفاهم ،واحترام الزوج لزوجته ،فان هذا يوغر على الفور صدر الأم التى ترى أن ابنها قد صار "دلدولا" لزوجته (أى زيلا)وانه أصبح ضعيف الشخصية ،وأن زوجته تتحكم فيه !

ويظل هذا الشعور عند الأم قائما حتى بعد أن ينجب الزوجان ، ويصبح الابن أبا .

كثير من الزيجات تتفكك وتتحطم ، لا لسبب إلا لأن الزوج لا يزال يعيش فى" حجر" أمه! وهو وضع لا ترضاه الزوجة ، ويوغر صدرها ضد حماتها!

فهى تريد أن يكون زوجها لها وحدها ، وترى فى الزوج الذى يظل متعلقا بأمه زوجا ناقص الرجولة ، وتغلب عليه الطفولة ! إن الرجولة فى نظر الزوجة ، هى أن يكون الزوج لها وحدها، والرجولة فى نظر الأم، أن يكون ابنها متحكما فى زوجته ! ومن هنا تبدأ بوادر تفكك الأسرة الصغيرة فى الظهور.

كذلك فانه مما يفكك الأسرة المصرية ، تفضيل الزوج قضاء أوقات فراغه مع أصدقائه وخلانه ،بدلا من أن يقضيها مع زوجته !

كثير من الأزواج المصريين ، يمضون أمسياتهم مع أصدقائهم فى المقاهى والنوادى ، ويتركون زوجاتهم يمضون أوقاتهن أمام التليفزيون ،

فتتباعد العلاقات بين الزوجين شيئا فشيئا ، وتتقطع أواصر المحبة بينهما !

إن الحياة الزوجية تتحول فى نظر الزوجة بعد ذلك إلى حياة لا روح فيها ولا معنى! فزوجها يمضى نهاره فى العمل ، ويمضى مساءه مع أصدقائه وخلانه! وبالتالى فهى تشعر أنها لا دور لها فى حياة هذا الزوج الكئيب ! الذى تزوجها «ليركنها» فى البيت ،ويستمتع بحياته فى الخارج! إن الكثيرين من الأزواج لا يتصورون رجولتهم إلا فى مصاحبة الرجال ، ويتركون زوجاتهم فريسات للانتظار والقلق والغضب !

ظاهرة التفكك الأسرى (٩)

كنا قد ذكرنا من أسباب التفكك الأسرى أن الأم المصرية ، تكرس حياتها منذ ولادة طفلها تمنى نفسها بزواجه ، وتختار له العروس ما أمكن وتنفق نفقات باهظة لزواجه ، حتى إذا تم ذلك أخذت فى المرحلة الثانية تتفرغ لطلاق ابنها من زوجته ! فهى لا تطيق أن يكون على علاقة طيبة بزوجته ، ويخالجها الإحساس بأن الزوجة قد اختطفته منها.

وبذلك تكون الأم التى كانت إيجابية فى المرحلة الأولى من حياته ، تكون قد تحولت إلى سلبية فى المرحلة الثانية من حياته ! وهذا الأمر ينطبق على أم الزوجة أيضا.

وقد ساعد على ذلك المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى طرأت على حياة المجتمع المصرى وعلى الأسرة المصرية والحياة الزوجية فى نصف القرن الأخير!

لقد تربى الجيل القديم على قدسية الحياة الزوجية ، ففكرة الطلاق لم تكن مطروحة فى ذهن المجتمع القديم ، لما يترتب عليها من

الجمعة ٢٠٠٢/١/١٠ .

مشاكل لا حصر لها ، إنما كان قصارى ما يحدث أن تغضب الزوجة فى بيت والدها .وتعيش هناك فترة ما يشعر الزوج فيها بالحنين إلى زوجته ، وتثمر الجهود التوفيقية إلى عودة الزوجة إلى بيتها وحياتها الزوجية.

ولكن اليوم ، ومع الإيقاع السريع للحياة ، فان غضب الزوجة فى بيت والدها قد تحول إلى فكرة الطلاق !

فلقد كان أشد ما يربط الزوجة ببيت زوجها ، هو انه كان العائل الوحيد لها بعد والدها ، ولم تكن تتصور أن تخرج من بيته إلى بيت ابيها فتضيف إلى أعبائه! وبالتالى كانت تتحمل حتى مضايقات الزوج ، و توفق نفسها مع طباعه !

اليوم الزوجة تعمل ، ولم تعد فى حاجة كثيرة إلى إعالة زوجها لها ، وبالتالى فهى لا تجد ما يدعوها إلى الارتباط بزوج تغير شعورها نحوه ،ولا تجد من سبيل لذلك إلا التخلص منه عن طريق الطلاق !

طلب الزوجة الطلاق من زوجها ظاهرة جديدة لم تكن موجودة من قبل بهذا الانتشار! وقد بلغت قمتها بقانون الخلع ، الذى لم يكن معروفا فى مجتمعنا المصرى من قبل .

إذن فإن عمل المرأة قد ساعد على حالات الطلاق الكثيرة التى أصبحت تمثل فى حد ذاتها ظاهرة من ظواهر مجتمعنا الحالى. إنك لا تكاد تنظر حولك حتى تجد زوجات مطلقات "بالكوم"! وربما ساعد على أن تطلب الزوجة الطلاق على غير العادة فى المجتمع القديم ، هو ظاهرة "الإستنطاع"!

ظاهرة التفكك الأسرى (١٠)

قلنا فى مقالنا السابق إن أحد أسباب ظاهرة التفكك الأسرى فى مجتمعنا المصرى ، هى ظاهرة «الإستنطاع الجديدة»!

ونقصد بذلك أن كثير من الأزواج اليوم ، مع عمل زوجاتهم ، أصبحوا يعتمدون على مرتبات هؤلاء الزوجات ! بل إن بعضهم لم يعد يرى فى هذا المرتب عاملا مساعدا فى الإنفاق ، وإنما أصبح يراه عاملا أساسيا، بل ووحيدا !

ومن هنا فقدت الحياة الزوجية عاملا مهما من استقرارها ، فالزوجة أصبحت فى غير حاجة إلى إعالة الزوج لها مع عملها ! والزوج لم يعد هو الزوج القديم الذى يتحمل مسئولية الحياة الزوجية ، بعد أن فقد الكثيرون منهم نخوة الرجولة ، وأصبحوا عالة على زوجاتهم بعد أن كانوا يعولون زوجاتهم ! وتحولت مشاركة الزوجة العاملة لزوجها فى الإنفاق على الأسرة تدريجيا ،إلى انفراد الزوجة بالإنفاق على الأسرة !

الأحد ٢٠٠٢/١٠/٢١ .

ومن هنا أيضـا فـقـدت الحـيـاة الزوجـيـة شـرطا جـوهريا من استـمـرارهـا .فـالزوج فى الإسـلام هو الذى يعـول المرأة .ويفـضل هذا الإنفاق فان الله فضله على المرأة. وقوامة الرجل للمرأة هى الأصل فى فضله عليها ، فالآية الكريمة تقول : «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم».

وهكذا لم يعد الرجل فى مجتمعنا المعاصر، أفضل من المرأة من الناحية المادية مع عملها وامتلاكها مرتبها .

فإذا تحول الأمر أن يصبح الرجل عبئا على المرأة ، وأن تصبح هى عائلته، فان الحياة الزوجية تفقد عنصرا هاما من مبررات استقرارها واستمرارها.

وهذا هو السـر فى أن مـعظم الزوجـات المطلقـات هن زوجـات عامـلات! يتمتعن باستقلال اقتصادى عن الرجل.

لقد تغير طعم الحياة الزوجية وتغيرت طبيعتها! بعد فقدت أحد الأسس المهـمـة لاستـمـرارها.فلم يعد الرجل هـو الرجل الشـهم الذى يشـعـر بمسئوليتـه نحـو أسرته ، والذى يعول أسـرته وإنما أصبحت الزوجة هى التى تعوله وتعول. ومثل هذا الزوج تفضل الزوجة المصرية التخلص منه بكل التضحيات .حتى أصبح بعضهن تدفعن ثمنا للطلاق!

ولا تعتقد المرأة المصرية اليوم كثيرا بالمثل المصرى القائل «ظل رجل ولا ظل حيطة»! فان المجتمع الذى تعمل فيه المرأة وتستطيع أن تعود إلى بيتـهـا فى أية سـاعـة متـأخـرة من الليل ، لم تعد فى حـاجـة إلى الاحـتـمـاء فى ظل حـائط . وبمعنى آخـر أنهـا لم تعـد فى حـاجـة إلى الاحتماء فى ظل رجل!

اشتعال الأسعار فى أوروبا بعد اليورو!

لم أكن أتصور أن يكون تأثير توحيد العملات الأوروبية فى شكل اليورو بهذا الشكل السلبى على الحياة الاقتصادية فى أوروبا ! فقد فوجئت بأن الأسعار فى ألمانيا ارتفعت ارتفاعا كبيرا . وفى باريس فوجئت أيضا بأن الأسعار ارتفعت عدة أضعاف. وبذلك أصيبت الحياة التجارية ـ كما شاهدت ـ بحالة ركود غير مسبوقة!

أقول هذا الكلام من منطلق المواطن العادى الذى كان يسافر إلى ألمانيا وإلى فرنسا ليجد الأسعار فيها أقل من مثيلاتها فى إنجلترا على سبيل المثال! حتى إننا كنا نعتبر انتقالنا من باريس إلى إنجلترا نقلة من أسعار معتدلة إلى أسعار مرتفعة!

ولكن هذا تغير بعد اليورو على نحو لم نكن نتصوره بعد توحيد العملات الأوروبية فى شكل يورور .

وعلى سبيل المثال فلم ترتفع الأسعار فى باريس بنسب مئوية كما يحدث فى الأحوال العادية ، وإنما ارتفعت بشكل مضاعف!

الأحد ٢٠٠٢/٨/٢٥ .

فقد تضاعف سعر أية سلعة عدة مرات على نحو أثر تأثيرا سلبيا على الحالة التجارية.

فقد دخلت مجمعات تجارية كانت تعج بالمشترين ،وكانت بعض السلع يتهافت عليها الجمهور ،وقد وجدت هذه المجمعات التجارية تعانى من الكساد ، بعد أن وصلت بعض السلع إلى أسعار فلكية وغير معقولة ،وقد أثر ذلك على الأسواق التجارية من ناحيتين ،الناحية الأولى قلة المترددين عليها ،والناحية الثانية قلة المشترين. وقد عن لى أن أراقب مجمعا تجاريا فى حى معروف لأخرج بقياس للحركة التجارية فيه ،فلم أشاهد ما كنت أشاهده من قبل من إقبال المترددين عليه على حركة الشراء .

وقد سبب لى هذا دهشة ا كبيرة ففى هذا الوقت بالذات كان سعر اليورو يرتفع ارتفاعا مضطردا، حتى تفوق على سعر الدولار. وقد ظننت أن هذا الارتفاع فى سعر اليورو يعكس تحسنا فى الحالة الاقتصادية ، وفى الحركة التجارية فى أوروبا حتى وصلت بالفعل إلى باريس لأفاجأ بالوضع الاقتصادى الذى شاهدته بنفسى! وعندئذ أدركت أن هذا الارتفاع فى سعر اليورو هو ارتفاع مصطنع وليس حقيقيا ، فسعر أية عملة يتوقف على الحالة الاقتصادية فى بلدها إيجابا وسلبا ،ومادام أن حركة البيع والشراء فى أى بلد تعانى من الركود والكساد فان أى ارتفاع فى سعر عملة هذا البلد ،يكون ارتفاعا مصطنعا.

وفى اعتقادى أن الرأسمالية الأوروبية سعت إلى توحيد العملات الأوروبيـة ليس فـقط لمنافسـة الدولار الأمـريكى ، وإنما لمضاعفـة مكاسبها وأرباحها. ولكنها أخطأت السبيل فالمثل الاقتصادى الشهير يقول: «بع رخيصا تبيع كثيرا «تكسب كثيرا» ولكن الرأسمالية الأوروبية ـ كما شاهدت ـ فعلت العكس .

اشتعال الأسعار فى أوروبا بعد اليورو (٢)

لست أظن أن أوروبا قد أصبحت بعد اليورو من الأماكن التى تجذب المشترين من مصر أو غيرها ، لسبب بسيط هو أن الأسعار قد تضاعفت فيها بشكل مصطنع يجبر الكثيرين على الإحجام عن الشراء! فما رأيته يحمل على الظن بأن الرأسمالية الأوروبية تستغفل المشترين ! فالسلعة كنت أشتريها من باريس بسعر الفرنك الفرنسى ، الذى كان يساوى نصف الجنيه المصرى ، قد أصبحت تباع - بعد استخدام اليورو - بما يساوى جنيهين أو ثلاث. وإذا لم يكن هذا مما يدخل فى باب استغفال الجمهور فبماذا يسمى ؟

لقد رأيت الكثيرين من الباعة أنفسهم يسخرون من ذلك لأنهم يعلمون قيمة السلعة فى عهد الفرنك ،وقيمتها فى عهد اليورو لويعلمون انه لم يحدث سبب فعلى يرفع قيمة هذه السلعة فى عهد الفرنك إلى ما أصبح عليه فى عهد يورو.

ولعل الرأسمالية الإنجليزية كانت ذكية حين أحجمت عن دخول

السبت ٢٠٠٢/٨/٢٤ .

منطقة اليورو ، واحتفظت بشخصيتها المستقلة ، وبذلك أوجدت نوعان من التعامل لصالح المستهلك :التعامل باليورو ، والتعامل بالإسترليني .

وبالنسبة لي شخصيا ،فإنني لم أعد أثق في صواب شراء سلعة بسعر اليورو، وإن كنت أثق في شراء سلعة بسعر الإسترليني ، على الرغم من أني أعلم أن السلعة التي كانت تباع بالإسترليني كانت تباع أغلى من السلعة التي كانت تشترى بالعملات الأوروبية .

لقد فقدت الثقة بسعر أية سلعة أشتريها من منطقة اليورو ،ففيها قدر كبير من النصب والاحتيال ، لا يعبر عن السعر الحقيقي للسلعة الأوروبية.

وهذا لصالح الدولار ،على غير ما كانت تأمل الرأسمالية الأوروبية. فالدولار على مستوى العالم كله خاضع في الغالب لعوامل اقتصادية طبيعية ، ولكن اليورو اليوم ، وبعد ما شاهدته في أوروبا، خاضع لعوامل صناعية .

ومن هنا فلعلي لأول مرة في حياتي استرحت لارتباط الاقتصاد المصري بالدولار! فالارتباط باليورو مجازفة خطرة في رأيي ،على الرغم من أني لست اقتصاديا كبيرا ولا صغيرا ، وإنما أنا مواطن عادي أتعامل مع السوق التجاري بعقل المستهلك الصغير، الذي يريد أن يحصل على أكبر فائدة مما يدفعه من نقود في أية سلعة يشتريها.

ويكفي في هذا الصدد أنني قررت ألا أشتري من أوروبا إلا ما تلزمني الظروف بشرائه!

مقاهي باريس!

يدهش المرء فى باريس لعدد المقاهى وعدد رواد المقاهى ، حتى ليكاد الزائر يعتقد أن هذا الشعب شعب من «العواطلية» ، الذين لا عمل لهم إلا الجلوس فى المقاهى.

فالمقاهى فى باريس مملوءة باستمرار ويكاد لا يخلو منها أى شارع. وهى مقاهى أنيقة ونظيفة وجميلة وتعطى باريس رونقا وجمالا. والناس لا ينقطعون فيها عن الكلام حتى ليخيل إليك أن الفرنسيين هم أكبر شعب «رغاى» فى العالم.

وصحيح أن مصر فيها مقاهى كثيرة لكنها مقاهى عشوائية لا جمال فيها ولا رونق ولا تنظيم ورروادها عادة من الطبقة الدنيا -أى على العكس من رواد المقاهى فى باريس الذين هم من الطبقة الوسطى.

فالمقاهى فى باريس هى منتديات أكثر منها مقاهى ، كما أنها تشمل تقديم المشروبات ، وتقديم الوجبات الغذائية الخفيفة. وللمقاهى فى باريس وظيفة اجتماعية واقتصادية ففيها تعقد

الثلاثاء ٢٠٠٢/٩/٩ .

الصفقات، وفيها تتم الاجتماعات ، وفيها تسجية الفراغ لمن لديه وقت فراغ .

ولأن رواد المقاهى فى باريس هم من الطبقة الوسطى ،فهم يضفون عليها مسحة من الشكل الحضارى والجمالى .

وتختلف عن المقاهى فى مصر ، فى أن عددا كبيرا من المقاهى فى مصر يقام فى الشارع ، بشكل عشوائى ،ولكن المقاهى فى باريس تقام فى أماكن محاطة بالزهور وبأصص الزهر ، أو بنوافذ من الزجاج يسمح لمن بالداخل بأن يرى من فى الخارج ، والعكس صحيح ·كما إنها على الدوام مغطاة بأسقف من القماش السميك الملون وعليه اسم المقهى لحماية الجالسين من المطر فى حالة هطوله .

والمطر فى باريس أو فى أوروبا بوجه عام حين ينزل فانه ينزل بكميات رهيبة لا يكاد يلاحقها الإنسان. ويخيل له أن البلد سوف تغرق بعد انقطاع المطر ، ثم يفاجأ بأن كل شئ عاد بسلام ، وأن الأرض قد اغتسلت ولم تغرق على العكس مما يحدث فى بلدنا حيث الأرض تغرق تماما ، وتمتلئ بالأوحال. ولكن فى باريس وفى أوروبا بصفة عامة فان الأرض تغتسل أو تستحم وكذلك كل المبانى .

وهذا ما حفظ لأوروبا رونقها ونظافتها وجمالها ،فلا تراب يصنع الأوحال كما يحدث فى بلدنا ، لسبب بسيط هو انه لا تحيط باريس الصحراء الغربية والشرقية أو جبل المقطم حيث تمتلئ القاهرة بالأتربة والرمال عند أول عاصفة .

وظاهرة المقاهى الباريسية ظاهرة توجد فى كل المدن التى تسطع فيها الشمس لوقت معقول، فعندما كنت فى فرانكفورت فكان الشارع الذى أقطن فيه ممتلئ بالمقاهى على الشكل الباريسى.

والأمطار فى باريس وفى كل أوروبا ليست أمطارا خجولة كالأمطار التى تهطل فى القاهرة ، وإنما هى أمطار عاصفة مصحوبة بالبرق والرعد وبغزارة رهيبة تثير الخوف وتبعث الرعب فى القلوب.

وهى تأتى فجأة وعلى غير انتظار وقد كان فى زيارتى فى فرانكفورت الصحفى المعروف عبد العظيم حماد ، كان الجو رائقا لا ينبئ بشئ ، وفجأة ادلهمت السماء بالغيوم ، وإذا بأصوات الرعد تملأ السماء ،كأنما هى أصوات مدافع جيش يغير على المدينة! وانقلب كل شئ فى لمح البصر ، ووجدنا أنفسنا نهرب إلى داخل المقهى، وانفضت الشوارع من المارة بسرعة فائقة. واستمر ذلك نحو ساعة ، ثم إذا بأصوات البرق والرعد تصمت فجأة ، وإذا بالأمطار الغزيرة تتوقف، وإذا بالحياة تعود إلى الشارع الذى انفض ، وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعى. ولم نملك إلا الضحك فلو حدث هذا فى مصر فأمامنا أسبوع على الأقل من الأوحال والمستنقعات .

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٣٦) الطبعة الأولى ـ (القاهرة: دار الكاتب العربى ١٩٦٨).

ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٣٦) ـ الطبعة الثانية (مكتبة مدبولى ١٩٨٣).

ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٣٦) ـ الطبعة الثالثة:

الجزء الأول ـ (١٩١٨ ـ ١٩٢٤).

الجزء الثانى ـ (١٩٢٤ ـ ١٩٣٦).

(الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٨).

٢ ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٤٨) ـ مجلدان ـ الطبعة الأولى (بيروت: دار الوطن العربى ١٩٧٣).

الطبعة الثانية :

ـ الجزء الثالث ـ (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩).

ـ الجزء الرابع ـ (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥).

(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨).

٣ ــ الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ ـ الطبعة الأولى ـ (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٧٥).

الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٩).

٤ ـ عبد الناصر وأزمة مارس. (القاهرة: دار روز اليوسف ١٩٧٦).

٥ ـ الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧).

٦ ـ صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ ـ ١٩٥٢). (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨ ـ **الطبعة الأولى**).

ـ الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ (مكتبة الأسرة).

٧ ـ الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) **الطبعة الأولى**. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩).

الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٥).

٨ ـ الفكر الثورى فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو. (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١).

٩ ـ المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ ـ ١٩٧٩):

الطبعة الأولى (القاهرة: دار روز اليوسف ١٩٨٢).

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب «مكتبة الأسرة» ١٩٩٦).

١٠ ـ الاخوان المسلمون والتنظيم السرى. **الطبعة الأولى** (القاهرة: دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣).

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

١١ ـ الصراع بين العرب وأوروبا، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية. (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٣).

١٢ ـ حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ. (**الطبعة الأولى**) ـ (القاهرة: مكتبة **مدبولى ١٩٨٤**)

الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مكتبة الأسرة، ١٩٩٥) .

١٣ ـ مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر، ١٨٩١ ـ ١٩٨١ (الطبعة الأولى) (القاهرة: دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

ـ الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

ـ الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مكتبة الأسرة، ١٩٩٨) .

١٤ ـ تحطيم الآلهة، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) ،الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

،الطبعة الثانية ـ الجزء الأول، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠) .

،الجزء الثانى،، (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠١) .

١٥ ـ الغزوة الاستعمارية للعالم العربى وحركات المقاومة. ،الطبعة الأولى، (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٥) ؛

الطبعة الثانية ،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٩، .

١٦ ـ مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الأول (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ:

الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين سنة ١٩٨٤) .

١٩ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان:

الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨).

الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦).

٢٠ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الثانى. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨).

٢١ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الثالث. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩).

٢٢ ـ مصر فى عصر السادات، الجزء الثانى. (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٩).

٢٣ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الرابع. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠).

٢٤ ـ الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة: الزهراء ـ ١٩٩٠).

٢٥ ـ حرب الخليج فى محكمة التاريخ. (القاهرة: الزهراء ـ ١٩٩٠).

٢٦ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) (القاهرة: سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١).

٢٧ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الخامس. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢).

٢٨ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك الجزء الأول. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٢٩ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، سلسلة تاريخ المصريين عدد٦١).

٣٠ ـ تاريخ مصر والمزورون. (القاهرة: الزهراء ـ ١٩٩٣).
٣١ ـ أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).
٣٢ ـ قصة بناء المواطنة الخليجية. (القاهرة: مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣).
٣٣ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك، الجزء الثاني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).
٣٤ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السادس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).
٣٥ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك، الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).
٣٦ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك، الجزء الرابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).
٣٧ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك، الجزء الخامس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
٣٨ ـ جماعات التكفير في مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
٣٩ ـ مصر قبل عبد الناصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
٤٠ ـ أوراق في تاريخ مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
٤١ ـ هيكل والكهف الناصري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
٤٢ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك ،الجزء السادس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
٤٣ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك ،الجزء السابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٤ ـ رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٥ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٦ ـ تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،الجزء الأول، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٧ ـ تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلي الحرب الباردة ،الجزء الثانى، من تسوية مؤتمر ڤيينا إلى تسوية مؤتمر ڤرساى [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٨ ـ تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،الجزء الثالث، من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٩ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق،الجزء الثامن (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٥٠ ـ الوثائق السرية لثورة يوليو الجزء الأول (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧).

٥١ ـ حرب الاستنزاف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) سنة ١٩٩٧.

٥٢ ـ مصر والحرب العالمية الثانية (معركة تجنيب مصر ويلات الحرب) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) سنة ١٩٩٧.

٥٣ ـ الصراع الاجتماعي والسياسى فى عصر مبارك ،الجزء الثامن، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧).

٥٤ ـ الصراع الاجتماعي والسياسى في عصر مبارك ،الجزء التاسع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧).

٥٥ ـ الوثائق السرية لثورة يوليو، الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨).

٥٦ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ،الجزء العاشر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨).

٥٧ ـ قصة عبد الناصر والشيوعيين (دراسة تاريخية) الجزء الأول (القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨).

٥٨ ـ قصة عبد الناصر والشيوعيين (دراسة تاريخية) الجزء الثانى (القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩).

٥٩ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ،الجزء الحادى عشر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩).

٦٠ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ،الجزء الثانى عشر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠).

٦١ ـ أسرار هوجة عرابى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠).

٦٢ ـ قضايا فى تاريخ مصر المعاصر (القاهرة: الهيئة المصرية العاممة للكتاب ٢٠٠١).

٦٣ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ،الجزء الثالث عشر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١).

٦٤ ـ خواطر مؤرخ الجزء الأول (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١).

٦٥ ـ خواطر مؤرخ الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١).

٦٦ ـ خواطر مؤرخ الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢).

٦٧ ـ القضية الفلسطينية بين مصطفى النحاس وعبد الناصر «رؤية جديدة» (الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢).

٦٨ ـ خواطر مؤرخ (الجزء الرابع) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣.

مع آخرين:

٦٩ ـ مصر والحرب العالمية الثانية، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة: مؤسسة الأهرام ١٩٧٨).

٧٠ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود. رءوف عباس. (القاهرة: دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

٧١ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود. رءوف عباس. (القاهرة: دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

كتب مترجمة:

٧٢ ـ تاريخ النهب الاستعمارى لمصر، (١٧٩٨ ـ ١٨٨٢) تأليف جون مارلو. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦).

الفهرس

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٤٥٧ / ٢٠٠٣

I.S.B.N . 977 - 01 - 8415 - 2



الذهن البشرى به مخزون هائل من الخبرات والتجارب. وهو بالنسبة للعالم والمفكر والمثقف عبارة عن بحر زاخر من المعرفة، والخاطر بالنسبة لهذا البحر هو أشبه بالرياح التى تحرك ساكنه وأمواجه، أو هو أشبه بحجر يلقى فى بحر ساكن فيحدث دوامات تتسع تدريجيا حتى تصل إلى أبعد شطآنه.

والحياة المعاصرة لا تترك للذهن البشرى الفرصة للراحة أو السكون؛ فالأحداث الجسيمة تتلاطم فيه يوميا تلاطم الأمواج العالية، ولا تترك للمفكر مجالا لتجاهلها.

ومن هنا أصبحت كتابة الخواطر اليومية جزءا من الحياة اليومية، وإفرازًا من إفرازات الأحداث، بل ممارسة حياتية.

لوحة الغلاف للفنان: أحمد حجازى
تصميم الغلاف: صبرى عبدالواحد

٧٥٠ قرشا
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب